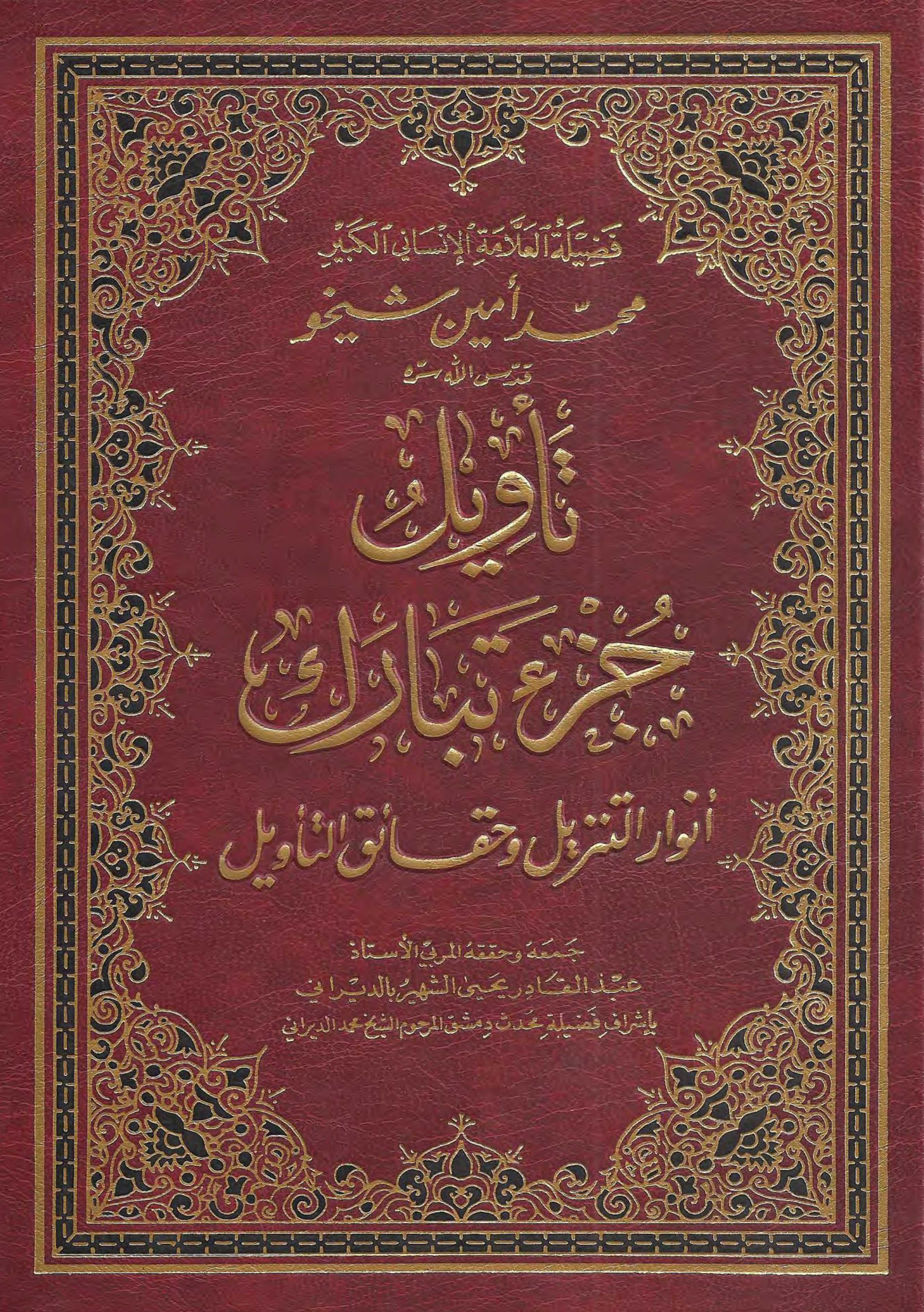


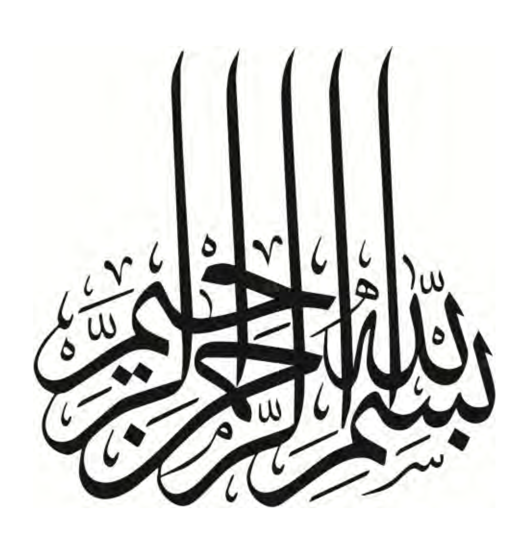
فضيلة العلامة الإنساني الكبير
محمد أمين شيخو
قدس الله سره
تأويل
جزء تبارك
أنوار التنزيل وحقائق التأويل
جمعه وحققه المربي الأستاذ
عبد القادر يحيى الشهير بالديراني
بإشراف فضيلة محدث دمشق المرحوم الشيخ محمد الديراني



تأويل

جزء تبارك

جمعه وحققه المربي الأستاذ
عبد القادر يحيى الشهير بالديراني
بإشراف فضيلة محدث دمشق الأكبر الشيخ محمد الديراني


بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس



مُقَدِّمَة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على السراج المنير المبعوث رحمةً للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

بات العالم على طوفانٍ من الشقاء والآلام، وأصبحت الحياة مرَّة وممجوجة، وغرق الناس في بحر من الضياع، لا يعرفون من أين كانت البداية وإلى ما تكون النهاية، وسوق الثقافة العالمية أضحت كاسدة لأنَّ بضاعتها مبتذلة فاسدة تبعث الملل والسآمة ولا جديد مفيد فيها، والعلوم الإنسانية صارت لا إنسانية تحمل الإبادة والتدمير وتكرس العسف والظلم وتهرق أنهاراً من الدماء.

إن عدم فهم الكثير من الناس لحقيقة الدين الإسلامي الحقيقي السامي قبل أن يبيِّنه فضيلة العلاَّمة الإنساني الكبير محمّد أمين شيخو قدّس سره وابتعادهم عنه وتصديقهم الدسوس الإسرائيلية والتفاسير المتناقضة التي تجعل الدين بنظر الكثيرين قالباً جامداً لا يلبي حاجات ومتطلبات العصر ولا يواكب التيارات الفكرية ويقف حائراً أمام الكثير من القضايا ويعجز عن تفسير أمور حياتية كثيرة قد جعل الدين مهجوراً عند غالبية المسلمين، قال تعالى: ﴿ **وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا** ﴾[1]. فسيطرت على الأذهان نظرية أن الدين أفيون

[1] سورة الفرقان: الآية (٣٠).

الشعوب، وأنه كلام أجوف رنان يملأ الفم ويقرع الآذان، كلام يُلقى من بروج عاجية يتدمر الواقع من تطبيقه، ووعود خلاّبة بالفردوس ولكنها كمن يبني بالرمال على الشطآن، حتى أعلن الملحدون أن عصر الأديان قد ولّى، فراح الناس يضعون القوانين ويبتدعون النظم التي تتماشى مع أهوائهم وشهواتهم وأطماعهم، فازداد الأمر سوءاً، وتوالت الأزمات على كافة المستويات وفي مختلف المجالات، فانهارت مجتمعات وتدهورت أمم وأفلست دول، وساد الطغيان وسقطت الحضارة التي كانت الأمل بعودة الفردوس المفقود.

وفجأة اهتزَّ العالم، وارتجَّت روحانية الأرض: نجم إلٰهي يستطيع قَلْبَ المفاهيم، ويحوِّل وجه التاريخ، ويدير الرؤوس، ويحني الجباه، ويضيء عوالم الفكر، ويحل أزمات الفكر العالمي وينتشله من الضياع وعبودية المادة والتبعية العمياء، خلَّص الفكر الديني من المشكلات والتناقضات والاختلافات، ولو اتَّبعه الناس لأصبحت الشريعة صافية نقية كيوم مبعثها أول مرة، ليلها كنهارها، هذا الفجر الجديد والذي أظهره العلاَّمة الإنساني الكبير محمد أمين شيخو قدّس سرّه، جعلت أكبر فيلسوف في القرن العشرين وهو السير "**جون بينيت**" يقول في عام /١٩٥٣م/:

(إن كل ما توصلنا إليه من علوم لا يعدل بحر ذلك العالم الكبير في الشرق)[١].

---

[١] من مذكرات السير جون بينيت التي دوَّنها في كتابه (**رحلات في بلدان إسلامية**) بحق العلاَّمة الإنساني محمّد أمين شيخو.

الذي من بيانه العظيم:

❖ عصمة السادة الأنبياء والرسل العظام عليهم السلام، وبرهن أنهم معصومون عصمة مطلقة، فلا يخطئون أبداً ولا يستطيع أن يتسلط عليهم أحد أبداً، لأنه لا يقع منهم خطأ، وحاشا أن يخطؤوا وهم: ﴿ **لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ..** ﴾: أي لا يسبقون الله بالقول: ﴿ **..وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ** ﴿٢٧﴾ [1]﴾.[2]

❖ وأيضاً هذه النبوءة التي ظهر أثر منها في عام /٢٠٠٠م/ بأصغر جراحة طبية على الإطلاق (**الحجامة**)، والتي خرَّت درة علوم الطب ساجدة على أعتاب شرطة محجمها، فاكتسحت كل الأمراض التي كانت عصيَّة على الطب والشفاء منها بحكم المستحيل كالأمراض الوراثية "الناعور" وأمراض الأورام "السرطان" والأمراض المناعية والأمراض العصيَّة "الشلل، والعقم..." وحملت الشفاء والعافية والصحة والوقاية لكل بني البشر، ورسمت يد النبوة البسمة والأمل على الشفاه التي آلمتها البأساء والضراء.

❖ ومن بيانه العظيم كلمة (**الله أكبر**) عند ذبح الحيوانات، والتي جعلت اللحوم التي نتناولها وأطفالنا عقيمة من كل أشكال الجراثيم والفيروسات والعوامل الممرضة، فدرأت عنّا وعن أبنائنا فلذات أكبادنا المعاناة والأمراض، وكانت الفيصل الذي أوقف ووقى من الجائحات والأوبئة والكوارث التي تهدد الثروة الحيوانية في سورية حين طبقوا التكبير على الدواجن والخراف والعجول

---

(١) لطفاً انظر كتاب (**عصمة الأنبياء**) لفضيلة العلاَّمة الإنساني الكبير محمَّد أمين شيخو.

(٢) سورة الأنبياء: الآية(٢٧).

بمسلخ دوما الكبير، ولو طبّقوا التكبير بالبلاد الأُخرى لما كان هناك جنون بقر أو أمراض طيور أو أنعام، ولما حرقوها بدل أن يغنموها ويتمتعوا ويأكلوها[١].

❖ أما كأس الماء النَّقي اللذيذ الرويِّ الذي يشربه العالم والذي لم تدرك تكنولوجيا الحضارة وأدواتها وعلومها أن ينبوعه يستقي من الأقطاب ماؤه، فهذا الإنسان العليم كشف تلك النظرية العلمية الجبارة، أن مياه الينابيع من القطبين، وكشف معاني سورة الفاتحة والقرآن الكريم ولم يسبقه لذلك بشر.

❖ وأما جلدة الختان "القلفة" **(الطهور)** التي أذهلت أساطين الطب بحكمة الخالق العظيم وكمال إبداعه بخلقه، بات من الكمال وجودها عند الجنين في رحم الأم ومن الكمال إزالتها بعد الولادة، وهذا أول من بيّنه فضيلة العلاَّمة الإنساني الكبير والتي جهل الطب قبله عن كشف سرها[٢].

❖ وأما العلوم الاقتصادية كانت نظرية توزيع الزكاة الحل الأمثل والوحيد لكل الأزمات الاقتصادية التي تعصف بالعالم من تفاديها إلى الخروج منها، هذه النظرية " توزيع نسبة الزكاة" التي تزهق كافة النظريات الإلحادية المدمرة وتولد الإنسانية والمحبة والسلام للبشرية في عصرنا، وتقضي على الفقر والشقاء والعداوة والخسارة. وفي مجال العلوم الاجتماعية والنفسية فقد بيَّن ما يكفل الخلاص من كل أشكال المعاناة النفسية واليأس والشفاء منها، وذلك ما لم

---

(١) لطفاً انظر كتاب **(الله أكبر رفقاً بالحيوان)** لفضيلة العلاَّمة الإنساني الكبير محمَّد أمين شيخو.

(٢) لطفاً انظر كتاب **(مصادر مياه الينابيع في العالم وبحث كشوفات سر الختان)** لفضيلة العلاَّمة الإنساني الكبير محمَّد أمين شيخو.

تستطعه علوم الشرق والغرب، ولو فكروا بجلالها ومنافعها وفوائدها لكانت السعادة في متناول الأيدي ولأصبحت الجنة على الأرض[1].

❖ وهو الوحيد في العالم الذي كشف أحابيل السحرة وخبثهم، بل الذي يقضي على السحر من وجوده بما بيَّنه وأظهره في كتابه (**كشف خفايا علوم السحرة**).

❖ ومن علوم اللغة ما جعل لحركة الحرف القرآني قيمة تحمل من المضامين والمعاني ما يحمل النفس على تقدير كلام الله العظيم، ناهيك عن قيمة الحرف والكلمة والآية بل السورة وما فيها من حبكة وترابط ومعاني ومشاهد قلبية يشبه حبك وترابط النظام الكوني الصارم بالدقة، ما أوقر في العقول أن الصنع والقول من مصدر واحد هو الإلّه العظيم جلَّ جلاله. وبدأت النفوس من خلال هذا البيان العظيم من معاني القرآن وحده، كما في بعض القارات من الأرض الآن تتجه إلى الخالق العظيم وتستنير بنوره. ولأمكن السير بكلام الله العظيم على الصراط المستقيم، ولتشربوا الحق بما عرفوا من الحق ولَدَلُّوا بعضهم على الحق، ولغدت الجنة على الأرض، ولراحت النفوس تدرك وتعي أن هذا البيان **(القرآن العظيم)** يتناسب مع كمال الله سبحانه وتعالى وأسمائه الحسنى، وذاته العلية، ومع كل المجتمعات العصرية الحاضرة.

وبما أن لله الأسماء الحسنى فلا يمكن أن يصدر عنه تعالى إلا الإحسان، شر لا يكون أبداً من الله ولا سوء، فلا ظلم في الكون، وحكم العدالة في البرية

---

(١) لطفاً انظر نظرية توزيع الزكاة بكتاب (**درر الأحكام في شرح أركان الإسلام "المدارس العليا للتقوى"**) لفضيلة العلاَّمة الإنساني الكبير محمَّد أمين شيخو، الصفحة/١٠١/ ولا صلاح للبشرية ولا نعيم إلا باتباعها.

ساري، والمشيئة والاختيار للإنسان، والتسيير من الله العظيم تعالى منزِّل هذا الكلام (القرآن).

الحقيقة يد الله على كافة خلقه وعباده، ولا يُمَكِّنُ إنساناً من الطغيان على إنسانٍ آخر إلا إذا كان هذا الإنسان الآخر قد قام بعمل يستحق العقوبة عليه، فالمظلوم بالأصل ظالم، ولو لم يكن هذا الذي نظنه مظلوماً قد سبق واعتدى على أضعف منه ما سلَّط عليه أقوى منه، ولو كان مستقيماً لما تسلَّط عليه أحد أبداً، وهذا ينطبق على الأفراد والأمم أيضاً، يقول تعالى: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ** ﴾[1]. فالحقيقة لا يقع الظلم إلا على مستحق، ولولا أنه استحق لما تسلط عليه أحد.

يقول تعالى أيضاً:

﴿ **مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا** ﴾[2]. والحقيقة أن الظالم هو ظالم لنفسه، والله موجود فلا يمكن أن يقع ظلم بوجوده تعالى أبداً، " إذن فلا ظلم لأن الله تعالى موجود" وفي الحديث القدسي:

« **يا عبادي إني حرّمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً..** »[3]، وهذه الحقيقة أنه لا ظلم بالكون، لم يبيِّنها أحد قبله سواه أبداً.[4]

---

(١) سورة الأنعام: الآية (١٢٩). (٢) سورة النساء: الآية (١٤٧).

(٣) أخرجه مسلم.

(٤) لطفاً انظر كتاب (**مصادر مياه الينابيع في العالم**) للعلاَّمة الإنساني محمد أمين شيخو.

وحب الله للإنسان مطلق وبلا حدود، وأوامره وأفعاله تعالى فيها المنطق المطلق والخير المطلق والإنسانية الكاملة، وهذا ما تشاهدونه في تأويل جزء تبارك الذي فهمناه منه بمنطقه العالي والسامي، وكما شاهدتموه من قبل في تأويل جزء عمَّ.

وما ورد في رسالة الحجاب والطلاق وتعدد الزوجات، تلك القضايا التي كانت العقبة الكأداء التي تقف ضد الإسلام وتصدّ الغرب عن الدّين، فبيّن حكمتها وإنسانيتها، حتى انذهل العالم الغربي بحكمتها وسموها، وأخذوا بجد يتدارسونها ويترجمونها للغاتهم الأجنبية... وغير ذلك الكثير.

واليوم تشرق شمس إلَهية جديدة من بيانه العظيم تأويل جزء تبارك الذي يُنبت في الأفئدة حبّ الإلَه العظيم، ويحملنا على تقدير فضله اللامحدود.

والحمد لله رب العالمين

تقديم المربي الأستاذ

عبد القادر يحيى الشهير بالديراني


عددُ آياتِها
٣٠
تأويلُ
سُورَةُ المُلكِ
رقمُ السُّورة
٦٧

سُورَةُ المُلْكِ

ترتيبها ٦٧ — آياتها ٣٠

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ ﴿٤﴾ وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ﴿٨﴾ قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ ﴿٩﴾ وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿١٢﴾

وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا
يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ
﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ
تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ
فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَكَيۡفَ
كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ مَا
يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي
هُوَ جُندٞ لَّكُمۡ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ إِنِ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ
﴿٢٠﴾ أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي يَرۡزُقُكُمۡ إِنۡ أَمۡسَكَ رِزۡقَهُۥۚ بَل لَّجُّواْ فِي عُتُوّٖ
وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا
عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٢٢﴾ قُلۡ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُمۡ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ
وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۖ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلۡ هُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ
فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ
صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٢٦﴾

فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى
كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ
أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ
ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ
﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ...﴾.

١ـ﴿ تَبَٰرَكَ ..﴾: خيره وبرّه لا ينقطع، أي: واضع البركة في كل شيء، فالقمحة تصبح سنابل، والبذرة ثماراً عديدة.

ومن النطفة جعل رب العالمين أمماً وأجيالاً أمدَّهم ويمدهم ويعطيهم ويغمرهم بفضله، فالله خيره وبرّه لا ينقطع.

كذلك المؤمنون الذين ساروا بالحق سمعوا من رسول الله ﷺ طبقوا، فكروا بالموت حتى خافت أنفسهم وتيقنت من فراق الدنيا فاستقاموا على طاعة الله، فأصبحت أعينهم لا تنظر إلى حرام، وآذانهم لا تسمع حراماً، وكذلك ألسنتهم لا تنطق بحرام، فكّروا بالكون بالشمس بالقمر بالليل والنهار، آمنوا بالله شهدوا أن لا إلَه إلا الله، فهؤلاء المؤمنون الله تعالى دائماً يزيدهم بالعلوم والجنات والمعارف، ودائماً بالسعادة، فمن سعادة إلى سعادة أعلى، ومن جنة لجنة أعلى، ومن علوم ومعارف إلى علوم ومعارف أوسع وأسمى وهكذا.

﴿ ..ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ..﴾: أي فكِّر أيّها الإنسان من الذي بيده الملك؟!.

﴿..وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا..﴾.

إن فكرت ترى وتشهد أن الذي جعل ذلك هو الذي بيده الملك ويصرِّف الأمور. من الذي خلق البذرة وجعلها شجرة وأشجاراً، من الذي يأتي بالهواء والمياه والنور، من الذي أوجد لك الكون كله بما فيه يمده ويسيِّره؟.

﴿..وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾: كل شيء بقَدر ما تستحق أيها الإنسان.

٢ـ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ..﴾: خلق الأنفس ثم أودعها في الأصلاب، ثم يرسلها إلى الحياة الدنيا، أي أوقف عمل الأنفس حينما أودعها في صلب سيدنا آدم عليه السلام لأنها انقطعت بالشهوات عن الله فبطل عملها، ثم يرسلها في الدنيا حية. فهذه الأنفس بعالم الأزل انقطعت عن حضرة الله حيث طلبت لذائذ الشهوات وغاصت بها، وهجرت ربها فماتت بانقطاعها عنه تعالى، فالله سبحانه وتعالى أرسلها إلى الدنيا وأحياها بهذا الجسم حتى ترجع لها الحياة الحقيقية القلبية الدائمة، فهؤلاء المكلَّفون حاملو الأمانة إن فكروا وآمنوا وأحبوا الرسول ﷺ رجعت لهم الحياة القلبية وذلك بالإقبال عليه تعالى.

﴿..لِيَبۡلُوَكُمۡ..﴾: ليمتحن الناس كيف يعملون. ﴿..أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا..﴾: هذا سبب مجيئنا للدنيا، لهذا خلقنا رب العالمين لنعمل الخير فيعطينا الجنات أي للسعادة . فليؤمن الإنسان أن كلَّ الذي حصل فيه الخير، لأن الهدف والغاية هو العمل الحسن.

﴿..وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ۝٢ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ۝٣﴾.

﴿..وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ..﴾: الفرد المتصرف، الذي لا يأتي الخير إلا منه. لذلك جعل رب العالمين هذا الكون بهذا الترتيب لتفكر وتنال منه تعالى الخير، إن فكرت نلت الخير والجنات والسعادة.

﴿..ٱلۡغَفُورُ ..﴾: الشافي، هو سبحانه الذي يشفي ما حل في نفس الإنسان من أدران الشهوات المظلمة الدنية بعالم الأزل. فالله يريد أن تُشفى نفسك من مرضها "حب الدنيا" وتلتفت إليه حتى يعطيك ما أعدَّه لك.

٣ـ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا..﴾: متطابقة بالخير وهي فوق بعضها. فسماء الشمس فوق سماء القمر وسماء القمر فوق سماء الغيوم.... والكل يعمل ويدور من أجلك أيها الإنسان.

﴿..مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖ..﴾: ليس من اختلاف، كل الكون وكل ما فيه مترابط متآزر متكاتف يعمل مع غيره، ففكر أيها الإنسان يد من التي خلقتهم وتمدهم وتسيرهم؟ أفلا تلتفت لهذا الرب المسيِّر وكله من أجلك ومن أجل طعامك وشرابك وراحتك وسعادتك؟!.

﴿..فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ..﴾: انظر وفكِّر بالكون مدقِّقاً.

﴿..هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ﴾: هل ترى من نقص أو خلل؟ هل ترى تنافراً وانفصالاً؟ فكل شيء يرتبط مع غيره وفق ترتيب محكم، فالثمرة تنشأ من البذرة، وهذه بحاجة للهواء والشمس والمطر...

﴿ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ ۝٤ وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِ..﴾.

٤-﴿ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ..﴾: مرة بعد مرة. ﴿..يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا..﴾: صاغراً خاسراً. ﴿..وَهُوَ حَسِيرٞ﴾: فالبصر عاجز عن إظهار أي فطور: مهما دققت لا تستطيع أن تجد نقصاً بل يعود إليك بصرك مهزوماً متقهقراً غير ظافر برؤية نقص أو خلل، وقاصراً أن يصل إلى كثير من خلق الله ومعرفة فضله الواسع. كذلك إن آمن الإنسان بربه بعد أن نظر بالكون وفكَّر فيه: يحب أهل الكمال وسيد الكاملين رسول الله ﷺ فيرتبط معه فيشاهد بمعيَّته التجلِّي الإلَهي المنصبّ على جميع مخلوقاته بأسمائه الحسنى عندها: ﴿..يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا..﴾ يصبح الحكم لعين النفس لا عين الرأس، ينظر بنور الله، بنور رسول الله ﷺ فيرى الخير خيراً والشر شراً عندها يرى الدنيا بنوره تعالى خسيسة لا شيء فيها وأن الله تعالى منه كل شيء.

حسير: يتحسر على الماضي وعلى ما فرَّط وما فاته، ويتمنى لو أنه آمن منذ الصِّغَر وما ضيَّع.

٥-﴿ وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ..﴾: كواكب متلألئة. ﴿..وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِ..﴾: يخرج منها شهاب يحرق المستمعين منهم، كذلك الإنسان الذي آمن مثل إيمان سيدنا إبراهيم عليه السلام ووصل لربه وصارت له رابطة برسول الله ﷺ العروة الوثقى، هذا المؤمن لا تستطيع الشياطين الدنو منه،

﴿..وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ۝٥ وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ۝٦ إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا وَهِيَ تَفُورُ۝٧ ﴾.

ولا الدخول عليه لإغرائه بالدنيا وشهواتها، لأنه ينال من الله تعالى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ما يغنيه عن الدنيا وما فيها، بل العكس هذا المؤمن بنوره وبنور الرسول ﷺ يرجم الشياطين. ﴿..**وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ** ﴾: كذلك فإن لهم يوم القيامة عذاباً مناسباً لهم. (**السَّعِيرِ**): عذاباً يختلف بحسب النفوس. فكلٌ على حسبه وبسعر ما قدَّم من أعمال منحطة، وعلى قدر مرضه.

٦-﴿ **وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ**..﴾: ما فكروا بربهم، ما عرفوا الذي يطعمهم ويسقيهم، ما فتّحت نفوسهم بنور الله فوقعوا بالتعدي والإجرام.

﴿..**عَذَابُ جَهَنَّمَ**..﴾: فالله سبحانه وتعالى رشَّح الإنسان لمقام عالٍ، وهذا الإنسان ضيَّع ما أهَّله الله تعالى له، فذهب عنه جاهه العظيم فاشتعلت فيه نار الحسرة والندامة. ﴿..**وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ** ﴾: عادت عليهم أعمالهم السيئة بالبؤس والنار لأنهم ما آمنوا.

٧-﴿ **إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا**..﴾: فالنار نفس مثلك تشهق مستغربة كيف جئتم إليها، تركتم ربكم وجناتكم وأتيتم لعندي ولا شيء عندي؟!.

﴿..**وَهِيَ تَفُورُ** ﴾: حزناً عليهم ومن شدة الغليان.

﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ۝٨ قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ ۝٩ وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ..﴾.

---

٨ ـ﴿ **تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِ..**﴾: تكاد أن تصبح ذرات متناثرةً وتترك وظيفتها من غيظها عليهم.﴿..**كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ..**﴾: جماعة. ﴿..**سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ..**﴾: الملائكة. ﴿..**أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ**﴾: رسول، أما أرسل الله تعالى لكم من أنذركم وبيَّن لكم، لماذا لم تؤمنوا؟ لماذا لم ترتبطوا بالله معهم حتى صرتم إلى ما صرتم إليه؟ وذلك من رحمة الملائكة بهم. فأجاب الذين كفروا:

٩ـ﴿ **قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا..**﴾: به وبدلالته. ﴿..**وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ..**﴾: ما نزَّل الله تعالى عليه من شيء، أنكروه لأنهم ما آمنوا.

﴿..**إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ**﴾: قلنا عنهم إنهم لا يفقهون من الدنيا شيئاً ولا من ملاذها.

كذلك الملائكة تقول للذين كفروا: الآن ضلالكم كبير، كنتم بالدنيا تستطيعون وبسهولة أن تستفيدوا من التذكير ويصبح لكم نور وجنات أما الآن فضلالكم كبير وذهبت الوسائل التي كانت لكم بالدنيا، فلا فكر ولا كون... ولا تستطيعون أن تقوموا بأعمال طيبة تقربكم من الله تعالى.

١٠ـ﴿ **وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ..**﴾: من الرسل عندما دلُّونا. الرسل دلُّوهم لكن ما سمعوا، ما طبقوا ولا سلكوا، سمعت آذانهم ولم تسمع قلوبهم، السماع

﴿..أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠ فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١١﴾.

هنا نفسي كما بالآية: (..**إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا..**)[1]، ظنوا أن الدنيا فيها شيء، فيها سعادة وبسط وراحة، لم يشاهدوا حقيقتها، ما رأوا المكر والخداع وأضرارها، لو شاهدوا ذلك لمجّوا الدنيا الدنية وطلبوا الحق والحقيقة ودانوا لها فنالوا السعادة في قلوبهم، فهذه الصفات الشريرة ضد الفطرة الإنسانية. ﴿..**أَوۡ نَعۡقِلُ..**﴾: من كلامهم الحق. ﴿..**مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ**﴾: بهذه النار التي تطفئ لنا نار جهنم التي بنفوسنا، ولكُنا من أهل الجنة والسعادة. لو فكَّرنا وطبقنا وعقلنا ما أصابنا ما أصابنا وأصبحنا في الحريق المناسب لنا.

١١ـ﴿ **فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ..**﴾: لكن ما الفائدة أن يعترف الإنسان بذنبه في الآخرة؟ لو اعترفوا بالدنيا لخلصوا من العذاب ونجوا. أخوة سيدنا يوسف عليه السلام لما اعترفوا تابوا إليه تعالى متاباً ورقَوا. لِمَ الاعتراف في الآخرة؟ حتى يعرف الإنسان أن الذي حلَّ به هو منه، هو بسبب عمله، فيرتاح، وهذه رحمة منه تعالى به للتخفيف عنه، كمن وقع في حفرة من تلقاء نفسه دون أن يوقعه أحد يختلف حاله عمن دفعه شخص آخر وأوقعه بالحفرة. ﴿..**فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ**﴾: ساء ما حاق بهم. كل ما يصيبهم لِيُسحق ما بنفوسهم من شرٍّ وكبر وخبث فيستطيعوا الإقبال على الله وتشفى نفوسهم فيدخلوا الجنة.

---

(١) سورة التحريم: الآية (٤).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢ وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٣ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤﴾ .

١٢ـ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ..﴾: أولئك الذين فكَّروا ورأوا الكمال المتجلِّي في الكون فخشوا الله فأسلموا واتبعوا الرسل. هؤلاء بعد أن غاب عنهم الوجود الإلۤهي دلَّهم النذير على طريق الإيمان، ففكروا وآمنوا وشاهدوا عظمة الله ورحمته، فتيقنوا أن الله تعالى موجود وأنه مشاهد عظيم، فقالوا: كيف نعصي العظيم؟!.

هؤلاء: ﴿..لَهُم مَّغۡفِرَةٞ..﴾: بإقبالهم بمعية الرسل يُغفر لهم ما أسلفوا، تشفى نفوسهم مما بها من أمراض وأدران وشهوات خبيثة بعد أن أقبلوا على الله تعالى بمعية رسوله ﷺ، عندها يقومون بأعمال كبيرة ونوايا عالية ولهم عليها: ﴿..وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾: على أعمالهم التي قدَّموها.

١٣ـ﴿ وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓ..﴾: الاختيار لك أيها الإنسان. ﴿..إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: لا تخفى على الله خافية، عليم بك وبنيتك.

١٤ـ﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ..﴾: الذي خلقك وكوَّنك ويمدك ألا يعلم؟ روحك بيده تعالى وإمدادك منه. ﴿..وَهُوَ ٱللَّطِيفُ..﴾ : معك بلطف أينما حللت، فالله مع الإنسان بلطف. ﴿..ٱلۡخَبِيرُ﴾: بحالك، خبير بنفسك، فهو سبحانه وتعالى ألبس نفسك ثوباً، وهو هذا الجسم، ركَّبه ويحرِّكه ويسيِّره لك، وجعله تحت إمرتك بناءً على رغبات نفسك، هذا الإلۤه ألا يعلم؟!.

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولاً فَٱمۡشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ۝١٥ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ۝١٦﴾.

١٥ـ﴿ **هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولاً**..﴾: طيِّعة ساكنة، تزرعها وتحرثها فتنبت لك. هذه الأرض جعلها الله تعالى مطيعة لك، تعمل بها ما شئت وهي مستسلمة لا تقاومك، فلماذا هذا التحدي بقولهم "سيطرنا على الطبيعة"؟!.
﴿.. **فَٱمۡشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا**..﴾: أطرافها، لا تغرق في الدنيا وشهواتها فتنسى الله وتخسر جناتك وتظلم نفسك. ﴿..**وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦ**..﴾: لكلٍّ رزق فليُجمل في الطلب، إذا غصتم بالدنيا أعرضتم وابتعدت نفوسكم عنه تعالى، فترون أنكم ترزقون بعضكم بعضاً، وتنسون أن الله هو الرزاق. ﴿..**وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ** ﴾: هو الذي ينشر الرزق على الخلق، لو انقطع المطر من يستطيع أن ينزله؟ فهو سبحانه وتعالى ينشر هذه الأرزاق على العباد، ولكل إنسان استحقاقه بحسب ما يناسبه.
١٦ـ﴿ **ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ**..﴾: هو الله سبحانه المتجلِّي على عباده. ﴿..**أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ**..﴾: أن يرسل عليكم زلازل، وكل علمك وتقدمك أيها الإنسان على هذه الأرض إذا خُسفت الأرض ذهب علمك وتقدمك. فهل تستطيعون بهذه العلوم أن تمنعوا زلزالاً واحداً أو إعصاراً؟ ما استطاعوا ولن يستطيعوا. ﴿..**فَإِذَا هِىَ تَمُورُ** ﴾: فالأرض تدور على نفسها بعد الزلزال، **تمور**: تدور بكم وأنتم في أعماقها محبوسون بالظلام والآلام وبالحرمان، ما حالكم عندها! هل من منقذ غيره سبحانه وتعالى؟!.

﴿أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ١٧ وَلَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ١٨ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُ..﴾.

١٧-﴿ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗا..﴾: قنابل نووية لا تبقي ولا تذر، وهذا البلاء سوف يحصل يوم الساعة الكبرى وبعدها[1] ﴿..فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ﴾: كيف ننذر وننفذ!.. عند الساعة الكبرى تعرفون كلام النذير، ما تكلم أحدٌ غيره عنها ولا عن سيدنا عيسى ﷺ، ما سواه جهلٌ بجهْلٍ بل أكثر من جاهلية العرب. فلا تظننَّ أيها الإنسان أن هذه الملايين المطمئنة الآمنة على حق، هؤلاء ما فكروا ولا سمعوا كلام النذير فسيَّروا أنفسهم إلى الهلاك.

١٨-﴿ وَلَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ..﴾: من الأقوام الماضية. ﴿..فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ﴾: نتائج نكران نعمتي ونكران كلام الرسل.

١٩-﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ..﴾: كي يؤمنوا بأن الأرض في الفضاء تسير، لينظروا إلى الطير كيف تبسط جناحيها وتقبضها. ﴿..صَٰٓفَّٰتٖ..﴾: تصطف مع بعضها. ﴿..وَيَقۡبِضۡنَ..﴾: أجنحتهن. ﴿..مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُ..﴾: فمن يمسكها أن تقع؟.

---

(١) انظر كتاب (**السيد المسيح رسول السلام يلوح بالأفق**) للعلاَّمة الإنساني محمَّد أمين شيخو.

﴿..إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ ١٩ أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٞ لَّكُمۡ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ إِنِ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ٢٠﴾.

فكل ما خلق الله من مخلوقات بيده سبحانه وتعالى يحركهم ويسيرهم، فأرواحهم بيده، فليس لأحد فعل، ولو كان بيدهم شيء لعجلوا بالهلاك، فالكلّ بيده سبحانه.

﴿..**إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ**﴾: بصير بكل ما خلق، يمدُّ ويحرِّك الكلَّ، وهو سبحانه يُبَصِّرُهم.

٢٠ـ﴿ **أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٞ لَّكُمۡ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ**..﴾: الله تعالى يخاطبنا فيقول: هؤلاء الذين تظنون أن لهم حولاً وقوةً بما لديهم من علوم وأموال وجُنْدٍ؛ إن أرسلت لكم مرضاً أو موتاً أو زلزالاً... هل يستطيع هؤلاء الجند منعه عنكم؟! هل يرفعون عنكم المرض أو الموت؟! وهل تستطيعون أن ترفعوا عنهم شيئاً من هذا. لا هؤلاء يستطيعون ولا هؤلاء، ضَعُف الطالب والمطلوب. ﴿..**إِنِ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ**﴾: مغرورون، مخدوعون، بعضهم مفتونٌ ببعض، وبالدنيا وزخارفها، يجعلون بعضهم بعضاً آلهة. فُتنوا ببعضهم بدل أن يُفتنوا بالله تعالى ورسوله العظيم ﷺ، دخلوا ببعضهم والله تعالى قال لهم: ادخلوا في عبادي، برسلي مستنيرين، ولا تدخلوا ببعضكم.

قالوا: في الأولاد والنساء لذة. المال يؤمِّن لنا ما نحتاجه. لكن هل في الأولاد والمال والنساء علمٌ ومعرفةٌ أُخروية؟! هل يخلِّصونكم وينجُّونكم من عذاب القبر وأهوال الآخرة والنار؟.

﴿أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي يَرۡزُقُكُمۡ إِنۡ أَمۡسَكَ رِزۡقَهُۥۚ بَل لَّجُّواْ فِي عُتُوّٖ وَنُفُورٍ ۝٢١ أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٢٢﴾.

٢١-﴿ أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي يَرۡزُقُكُمۡ إِنۡ أَمۡسَكَ رِزۡقَهُۥ..﴾: إن أمسك الله تعالى الماء، وما أَنزل أمطاراً، هل هؤلاء الملحدون الذين تعتزون بهم، وتظنون أن لهم فعلاً وحولاً وقوة هل يستطيعون إنزال المطر وإخراج الثمر، هل يرزقونكم؟ بعوضة لا تستطيعون مدَّها بالحياة، جاءت الزلازل والأعاصير والبراكين فهل ردُّوها عن أنفسهم؟!. ﴿..بَل لَّجُّواْ..﴾: غاصوا بالشهوات، غاصوا بالأرض، حفروا المناجم وآبار البترول، أقاموا معامل الأسلحة المدمرة. ﴿..فِي عُتُوّٖ ..﴾ : استعلاء، ليستعلوا على بعضهم وليقولوا نحن الأقوى والأعلم، وليجعلوا أنفسهم آلهة. ﴿.. وَنُفُورٍ﴾: من الحق وأهله.

(فِي عُتُوّٖ): عن أمر الله تعالى أي: شيئاً فشيئاً، حتى غاصوا بالأرض وشهواتها ونفرت نفوسهم من الله تعالى ورسوله العظيم، فوقعوا بالجرائم واشتعلت بينهم الحروب.

٢٢-﴿ أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ..﴾: مستغرقاً في أمور دنياه، لا يعي على شيء لاحقاً شهواته الدنية هل هو ﴿..أَهۡدَىٰٓ..﴾: أفضل. ﴿..أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾: أم هذا الذي يسير على طريق سوي متبعاً الحق وأهله، انظر سيْر الاثنين هل يستويان؟ انظر سيْر المعرض، أخلاقه،

﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ..﴾.

معاملته، كله قسوة وبخل وظلم ووساوس، وانظر سير المؤمن المقبل على الله تعالى السائر مع رسوله العظيم ﷺ، أخلاقه، رحمته، معاملته، حنانه ولطفه. لا يستويان.

٢٣ـ﴿ **قُلْ..**﴾: لهم يا محمد. ﴿..**هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ..**﴾: في بطون أمهاتكم، ألا ترى إذ كنت نطفة، فكيف؟!. ﴿..**وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ..**﴾: لتسمعوا الحق، وتسمعوا كلامه المنزَّل على رسوله وتطبقوه. ﴿..**وَٱلْأَبْصَـٰرَ..**﴾: إن سمعتم وطبقتم، نظرتم بالكون وبكلامه فصار لكم نور من الله وبصيرة ترون بها الحقَّ من الباطل والخير من الشر. ﴿.. **وَٱلْأَفْـِٔدَةَ..**﴾: القلوب، من جعل لك هذه الأعضاء؟ ألا تشكره على فضله؟. ﴿..**قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ** ﴾: ما تؤمنون! فهذا العطاء حتى تلتفت أيها الإنسان لربك وتقدم أعمالاً طيبة صالحة لعباده. لكن ما قابلوا هذا العطاء بشيء، ما التفتوا لله تعالى ولا للرسول الكريم، ما قدَّموا أعمالاً لآخرتهم، أعمالهم فقط لدنياهم ولغاياتهم ومصالحهم. للبشرية ما فيهم خير.

٢٤ـ﴿ **قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ..**﴾ : أنزلكم إلى الأرض بعد أن كنتم في بطون أمهاتكم. (**ذَرَأَكُم**): كل البشر بالنسبة لهذا الكون ذرات، فأنت أيها الإنسان بالنسبة للكون ذرة، والكون بعظمته وكبره خاضع ومستسلم

﴿..وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٤ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٥ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٢٦ فَلَمَّا رَأَوۡهُ زُلۡفَةٗ سِيٓـَٔتۡ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ٢٧ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَهۡلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوۡ رَحِمَنَا..﴾.

ومسلم زمام أمره لله تعالى، فهل أنت أعظم حجماً أم الكون؟ إذن لماذا هذا الاستكبار، لماذا لا تستسلم لربك حتى يعطيك ويهبك؟! فهو الذي يمنح الكون والكائنات. ﴿..**وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ** ﴾: غداً.

٢٥ـ﴿ **وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ..**﴾: وعدهم بالساعة، بالهلاك لكن ما صدَّقوا، كذَّبوا بسبب حبهم للدنيا. ﴿..**إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ** ﴾: بقولكم هذا.

٢٦ـ﴿ **قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ ..**﴾ : فقط أنا أنذركم منها. ﴿.. **مُّبِينٞ**﴾: وأبيِّن لكم ما فيها وكيف تنجون منها ومن أهوالها.

٢٧ـ﴿ **فَلَمَّا رَأَوۡهُ زُلۡفَةٗ..**﴾: وقع عليهم حقيقة. عند الموت، حينها يبصر الإنسان كل شيء. ﴿..**سِيٓـَٔتۡ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ..**﴾: من المقت والإعراض والخوف فكل شيء واجهوه وعملوه بحياتهم سوف يرجع عليهم بالسوء. ﴿..**وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ** ﴾: لا تريدون أن تسمعوا به.

٢٨ـ الخطاب الأخير لهؤلاء المعرضين: ﴿ **قُلۡ..**﴾: لهم يا رسولي. ﴿..**أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَهۡلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوۡ رَحِمَنَا..**﴾: هؤلاء يتمنون ويعملون لزوال الرسول ﷺ والمؤمنين، حتى لا يقف أحد ضد شهواتهم وانحطاطهم، فقال لهم

﴿..فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَـٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾﴾.

الرسول ﷺ: نحن لابدَّ ميِّتون ولنا أعمارنا نحياها سواء أهلكنا الله تعالى أو رحمنا، فالعذاب لا مفر لكم منه. ﴿..**فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَـٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾: فمن سيجيركم حين الهلاك من العذاب، هل بهلاكنا تخلصون من العذاب؟! فلينظر أحدنا أيُّ الفريقين يتبع، الفريق الضال المنحط أم الفريق السامي الكريم الخلق.

٢٩ـ﴿ **قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ..**﴾: صاحب الرحمة الذي يُحمد من الخلائق جميعاً. ﴿..**ءَامَنَّا بِهِۦ..**﴾: شاهدنا أسماءه الحسنى. ﴿..**وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا..**﴾: لأنه كله رحمة وحنان وعطف علينا وعلى ما خلق، وعرفنا أن كل ما يرسله لهذا الإنسان علاج وخير ورحمة وزيادة فضل منه سبحانه وتعالى لذا توكلنا عليه. ﴿..**فَسَتَعْلَمُونَ..**﴾: عند الموت ويوم القيامة.

﴿..**مَن هُوَ فِى ضَلَـٰلٍ ..**﴾: الآن عن الحق. ﴿..**مُّبِين**﴾: واضح بيِّن. فالرسول ﷺ بيَّن لهم ما هم عليه من ضلال وشقاء حتى يغيِّروا سيرهم فيسعدوا، لكن رفضوا وما غيَّروا، قالوا نحن أهل علم وحضارة. والحقيقة أنهم أهل كفر وفجور وفسق وضلال وقسوة وإجرام وظلم وانحطاط في الخلق، ورغم هذا، الذي لا يفكر ينظر لهم نظرة تقدير وتعظيم.

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَصۡبَحَ مَآؤُكُمۡ غَوۡرٗا فَمَن يَأۡتِيكُم بِمَآءٖ مَّعِينِۭ ٣٠﴾.

٣٠ـ الإنذار الأخير للبشرية :

﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَصۡبَحَ مَآؤُكُمۡ غَوۡرٗا..﴾ : إن غارت هذه الينابيع والأنهار، هبطت المياه. ﴿..فَمَن يَأۡتِيكُم بِمَآءٖ مَّعِينِۭ ﴾: يعينكم، إن جفت المياه وغارت هل تستطيعون أن تأتوا بها؟ هل علومكم وحضارتكم تأتي بماء؟!

والآن غارت الينابيع وأصبحت المياه التي يسقون منها آسنة...




عدد آياتها
٥٢
تأويل
سورة القلم
رقم السورة
٦٨

سورة القلم

ترتيبها ٦٨ — آياتها ٥٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا

رَأَوۡهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ أَلَمۡ أَقُل
لَّكُمۡ لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقۡبَلَ
بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ
رَبُّنَآ أَن يُبۡدِلَنَا خَيۡرٗا مِّنۡهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلۡعَذَابُۖ وَلَعَذَابُ
ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ
﴿٣٤﴾ أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمۡ
لَكُمۡ كِتَٰبٞ فِيهِ تَدۡرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمۡ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمۡ لَكُمۡ أَيۡمَٰنٌ
عَلَيۡنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۙ إِنَّ لَكُمۡ لَمَا تَحۡكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلۡهُمۡ أَيُّهُم
بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَآءُ فَلۡيَأۡتُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾
يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾
خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ
﴿٤٣﴾ فَذَرۡنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ
لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرٗا فَهُم
مِّن مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَٱصۡبِرۡ
لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ﴿٤٨﴾ لَّوۡلَآ

أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ ﴿٤٩﴾ فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ
فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ
لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿نٓ..﴾.

١ـ﴿ نٓ..﴾ : الله سبحانه وتعالى يخاطب رسوله ﷺ قائلاً : أنت نور العالم من مشى بغيرك مشى بالظلام (ن): ونورٌ بين يديك يا محمد وهو القرآن يضيء للمؤمنين سبيل التقوى. قال تعالى: (**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا**)[1] هذا القرآن هو النور المنقذ من الظلام والعمى والجهل، فيه العلم الحق والدلالة الإنسانية المنطقية الرشيدة، بتطبيقه تتحقق السعادة وتنقرض الآلام والأسقام، وكيف لا يحصل ذلك وهو تنزيل من الرحمن الرحيم.

بالأزل قبل مجيئنا للدنيا كلُّنا كنَّا نفوساً مجردة، أي لم تلبس هذه النفوس هذا الجسم المكوَّن من اللحم والدم والعظام... والله خلق جميع الأنفس من نور، فلا فرق ولا تفاوت بينها في شيء، وقد عرض الله تعالى على الأنفس الأمانة، أي: إعطاؤها الإرادة والحرية في الاختيار في السير إلى الأعمال، فرضيت بالخروج إلى الدنيا دار العمل لتعمل صالحاً، وطلبت الشهوة لا لذاتها وما فيها

---

(١) سورة النساء: الآية(١٧٤).

﴿..وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١﴾.

من متعة، بل لتكون دافعاً لها للأعمال، لكن بالميثاق بعد التكليف غاصت النفوس بالشهوات فانطفأت بانقطاعها عن الله تعالى، إلا نفوس الأنبياء والرسل ظلَّت على عهدها ما انطفأت، بل ازدادت سطوعاً واستنارة، والرسول العظيم ﷺ كانت استنارته أقوى استنارة حتى أنها أحاطت باستنارة الرسل والأنبياء جميعاً صلوات الله عليهم أجمعين، وصار ﷺ نوراً لهم ولا يزال، فهو الشمس التي لا تنطفئ ولا تغيب. إذن نور رسول الله ﷺ يوصلك لنور الله الذي هو القرآن، فبنور رسول الله ﷺ ترى معاني وحقائق القرآن.

﴿..**وَٱلْقَلَمِ**..﴾: قلم القدرة الإلَٰهية، أي ما كتب في نفس رسول الله ﷺ وما طبع فيها، فالله سبحانه كتب بنفس رسوله القرآن الكريم، وخطَّ فيها حقائق ترجمها له إلى أقوال ومعانٍ لا يستطيع أحد أن يأتي بكلمة منها أو حرف، وخطَّ ﷺ أعمالاً يعجز السابقون واللاحقون عن القيام بمثلها، كل هذا بسبب نواياه العالية، فهدى الأمم والأجيال تلو الأجيال. والله جعل رسوله ﷺ بسبب نواياه العالية، قلم قدرته لنا، يخطُّ في نفوس المؤمنين ما خطه الله في ألواح صدره الشريف أنوار الله وأسماءه الحسنى وحقائق القرآن، وأسماؤه الحسنى فيها الجنات العلا.

﴿..**وَمَا يَسْطُرُونَ** ﴾: عنك، هذا البيان العالي الذي طلبته مني لهم لإنقاذهم وهدايتهم الذي لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله لعجزوا ويعجزون،

﴿مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٍ ۝٢﴾.

فالذين أطاعوه وأحبُّوه وارتبطوا به سطَروا النور والسعادة في قلوبهم ثم في قلوب الأمم، وهدوا البشرية ونقلوهم من الظلمات إلى النور.

﴿..وَمَا يَسۡطُرُونَ ﴾: إذا تركوك يا رسولي! وأنت النور لهم صاروا بالظلام، فماذا يسطرون؟! الذين تركوا الرسول العظيم ﷺ ما ساروا بهديه ولا بدلالته، ما أطاعوه، سطروا النار على أنفسهم، دمّروا الأمم والأجيال وأشقوا البشرية. الرسول ﷺ سائر بالحق، ولا ينطق لسانه إلا بالحق، وهو النور الذي يُستضَاءُ به، وهو رحمة للعالمين، فبدونه تعمى القلوب والأبصار، وهؤلاء (عميُ القلوب)، ماذا يسطرون وهم على هذا الحال؟.

٢ـ﴿ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٍ ﴾: أنت بالنور، والحق غير مستور عنك، أنت لا تجهل أسماء الله تعالى، وهذه الدلالة إلى الله، تشهد بأنك على درجة عظيمة من معرفة الله، وهي شهادة من الله سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ أنه ليس بمجنون كما قال وادَّعَى عُمْيُ القلوب؛ قالوا: إنّه يحرم نفسه من ملذات الدنيا ومن "الكيْف" والبسط، أما نحن فأصحاب علوم وحضارة ولا نحرم أنفسنا من شيء، ما عرفوا أن الحرام شقاء وعذاب، لذلك أشقوا أنفسهم ومن معهم والبشرية، منظارهم معكوس لأنهم خانوا الله وانقطعوا عنه فاختلفوا، أما رسول الله ﷺ ما انقطع وما اختلف في حبه لربه ولا أحد يباريه في هذا الحبِّ،

﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥﴾.

إذن: النور الذي بين يديك والذي طبع بنفسك وما يسطرونه مما يسمعونه منك كلها تشهد بأنك على درجة عظيمة من معرفة الله.

٣ـ﴿ **وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ** ﴾: غير مقطوع، أجرٌ دائم ورقيٌّ متزايد، السبب: لأن وظيفته ﷺ دائمة وأعماله جارية على الخلائق كلِّها، وكل الأعمال الصالحة تتم به ﷺ وبدونه لا عمل صالح، لأنهم بالظلام، فهل يستطيع الإنسان أن يعمل في الظلام؟!.

٤ـ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾: من إقباله ﷺ على الله وحبِّه العظيم له سبحانه وتعالى، خلق له ربه كمالات من رحمته وعطفه وحنانه ولطفه وملَّكها إيّاه، وهو صلى الله عليه وسلم تخلَّق بها وصارت خُلقه، وشملت هذه الأخلاق الخلائق بالرحمة والحنان، فصبر صبراً ما صبر مثله أحد.

وكل من آمن بربه وأحبَّ رسول الله ﷺ وصارت له به رابطة نفسيّة وعزَّره ووقَّره يحصل على خُلق بمعيته فهو على الطريق لله تعالى.

وهذه الآية شهادة من الله لرسوله بأخلاقه العظيمة، ومن أصدق من الله قولاً؟ وهي تنفي نفياً مطلقاً كل ما قيل عنه ﷺ من أنه أخطأ، وأنَّ الله عاتبه كما بقضية "عبس وتولى أن جاءه الأعمى".

٥ـ﴿ **فَسَتُبْصِرُ..**﴾: سترى حالهم. ﴿**..وَيُبْصِرُونَ** ﴾: وسيرون حالك، عندها الندم والحسرة على ما فرَّطوا وصنعوا وضيّعوا. فغداً ستظهر الحقائق وسترى وهم سيرون.

﴿ بِأَييِّكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ ۝٦ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ۝٧ فَلَا تُطِعِ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ۝٨ وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ۝٩ ﴾.

٦ـ﴿ بِأَييِّكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ ﴾: من هو المفتون بزخرف الدنيا، ومن هو الضال عن الحق. هم فُتنوا ببعضهم البعض، فُتنوا بالأموال والنساء والأولاد، خدعوا أنفسهم وخدعوا غيرهم، فُتنوا بحضارتهم فما كسبوا كمالاً، وعادت عليهم بالشقاء والآلام والحسرات.

٧ـ﴿ إِنَّ رَبَّكَ.. ﴾: يا محمد. ﴿ ..هُوَ أَعۡلَمُ.. ﴾: هو سبحانه وتعالى أعلمك بعلمه. ﴿ ..بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ.. ﴾: من المكذبين الضالِّين والمنافقين. ﴿ ..وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾: وأعلمك بالصادقين.

لا يعلم الغيب إلاَّ الله، والله أَعَلَمَ وأَطلَعَ رسوله ﷺ على أحوال الخلائق كلها لأنه ﷺ هو الطبيب والمنقذ، والطبيب يجب أن يعرف ويعلم كل شيء عن مرضاه، لذلك شملت علومه ﷺ الخلائق حتى نهاية الدوران.

٨ ـ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴾: بالحق، سر دوماً ولا تأبه للمكذبين، لا تسكت لهم عن أخطائهم، جَابِهّمْ بالحجة والمنطق، عسى أن يغيِّروا مسيرهم ويسلكوا طريق الحق الذي يعود عليهم بالسعادة والجنة بالدنيا والآخرة.

٩ـ﴿ وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ﴾: رغبوا في أن يكون بينك وبينهم تفاوض في الأمر وتتظاهر لهم بالوداد فيتظاهرون هم أيضاً. أرادوا من الرسول ﷺ

﴿وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۢ بِنَمِيمٖ ۝١١﴾.

أن يميل معهم عن الحق ويُسَتِّر عنهم فيميلوا معه لكن هذا لا يجدونه عنده.

١٠ـ﴿ **وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ**.﴾: يحلف بالكذب، محالف الدنيا وشهواتها، نفسه مترعة بالرذيلة لذلك يحلف بالكذب لأنه غيَّر وكذَّب، ما حالف الله تعالى ورسوله ﷺ، كذلك عاهد ربه بالأزل عندما حلف وأقسم أن يأتي للدنيا ولا ينقطع عنه وأن يفكر بالآيات ويستنير ويصبح ذا بصيرة ويتَّبع الرسول. (**وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوۡمَ يَأۡتِيهِمُ ٱلۡعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَآ أَخِّرۡنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ نُّجِبۡ دَعۡوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَۗ أَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ أَقۡسَمۡتُم مِّن قَبۡلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٖ**)[1]: وعندما جاء للدنيا، خان ربه وغيَّر ونكث عهده مع الله، وبهذا أصبح: ﴿..**مَّهِينٍ** ﴾: فهو دنيء، أهان نفسه بالدنيا وشهواتها، صار يطلب ما عند المخلوق، ولا يطلب ما عند الخالق، فأذلَّ نفسه وجعلها أسفل سافلين، فللّه العزَّة ولرسوله وللمؤمنين.

١١ـ﴿ **هَمَّازٖ**..﴾: غارق فيها، أغرق نفسه بالدنيا، دائماً مشغول بطلباته وتحقيق شهواته، من حلالٍ... من حرامٍ... لا يهمه، همّاز بهمِّه، دائماً مهموم شقي معذَّب النفس (**خذ من الدنيا ما شئت وخذ بقدره هماً**). لا يكفيه أنه ضالٌّ بل يسعى لإضلال الناس بما لديه، يجعله لإفساد قلوب العباد وتحويلهم لشهوات الهلاك. ﴿..**مَّشَّآءِۢ بِنَمِيمٖ**﴾: يتكلم عن جماعة أمام جماعة ثم يعود ليتكلم عن

---

(١) سورة إبراهيم: الآية (٤٤).

﴿مَّنَّاعٍ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلِّۭ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣ أَن كَانَ ذَا مَالٖ وَبَنِينَ ۝١٤﴾.

تلك. يمشي بالفساد بين الناس، يُظهر غناه مما يجعل الفقير يحسده ويقع في الإثم. أي ما ينم بنفسه ويخطر على باله يمشي به، يتكلم عن المال وعن النساء والجنس، يحبب الناس بهذا فيوقعهم بالآثام والسرقة والزنا والحرام، وما أوصله لهذا إلا بُعده عن الله ورسوله ﷺ، ما فكر ولا شاهد النتائج، وعند الموت يشاهد نتائج أعماله وما ستعود عليه، يشاهد هذه الدنيا حجر، لا شيء فيه، وأن كل ما فيه من الله، وأنه ترك ربه من أجله، فتحل به الحسرة والندامة، ويصيبه الخوف والرعب ثم مأواه النار.

١٢ـ﴿ مَّنَّاعٍ لِّلۡخَيۡرِ..﴾: هذه صفته، لا يخرج منه إلا الشر وما يؤذي الناس، لا يسير إلا بالمعصية، ويصدُّ غيره عن عمل الخير، ويقاوم الحق وأهله. ﴿..مُعۡتَدٍ..﴾: على أعراض الناس وأموالهم، لا يهمه غير حاله وماله. ﴿..أَثِيمٍ﴾: نواياه سيّئة، لبس ثوب الإثم وأحاط به، أعماله منحطة ويجرُّ غيره حتى يكون مثله.

١٣ـ﴿ عُتُلِّۭ..﴾: سيحمل وزره وحامل لأوزار غيره وكلها بصحيفته. ﴿..بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾: مذموم بين الناس وساقط في عين نفسه، مهما مدحوه يعرف نفسه أنه ساقط.

١٤ـ﴿ أَن كَانَ ذَا مَالٖ وَبَنِينَ ﴾: كل ذلك يصيبه مهما كان له من مال وبنين لا يشبع من الدنيا لأنه يستعملها بغير الحق. والله يقول: هذا الإنسان ولو كان

﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٥﴾.

ذا مال وبنين لو أعطاه الله ما أعطاه فهو دائماً طامع بالمال الحرام، كذلك ولو كان عنده بنون ونساءٌ فاتنات يطمع بغيرهن من الفاتنات هذا حاله. «**منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال**»[1]، فالإنسان إما أن يتوسع بالدنيا وإما أن يتوسع بالآخرة وبربه.

فالمعرض عن ربه عينه دائماً بالدنيا ساعٍ وراءها، يخاف من الفقر ويسعى للزيادة ولا ينفق. السبب:

١٥ـ﴿ **إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا**..﴾: كلام رب العالمين المنزَّل على رسوله ﷺ. فعندما جاء الرسول بهذا البيان والمنطق الذي ما تكلم أحدٌ به وبسموّه. ﴿..**قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ** ﴾: كان يستهزئ حين النصح والإرشاد، قالوا إن سرنا بهذا الكلام حرمنا أنفسنا من البسط و"الكيْف" والشهوات، ﴿.. **أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ** ﴾: هذا الكلام سطَّره عن الأولين، لكن هل الأولون عرفوا معنى كلمة واحدة مما جاء به؟! لذلك قالوا: هو عبقري، كل ما قاله وتفوق به على أهل زمانه وسبقهم إليه من نسيجه، وأشخاص آخرون أعانوه على هذا البيان، فهو من اختراع البشر وليس له حقيقة، مع أن المتكلم هو رب العالمين على لسانه الشريف.

---

[1] أخرجه الطبراني من حديث ابن مسعود والبزار والطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس.

﴿ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ ١٦ إِنَّا بَلَوۡنَٰهُمۡ كَمَا بَلَوۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ إِذۡ أَقۡسَمُواْ لَيَصۡرِمُنَّهَا مُصۡبِحِينَ ١٧ ﴾.

إذاً: فهم لا يريدون الحق، وماذا بعد الحق إلا الضلال والتعدي. لذلك:

١٦ـ﴿ **سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ** ﴾: سنلقيه على أنفه، سيهان رغم أنفه فلابد لكل غني متكبر أو رجل دنيوي من إهانة تلحقه من ولده أو ماله أو نفسه، فالله تعالى لا يترك هذا الإنسان سائراً بالضلال، رحمته تقتضي علاجه، وعلاجه على حسب عمله، كل هذا حتى يتنازل عن كبره، ويصحو من سكرته، إذ أخطأ طريق الحق والسعادة فخرَّ هذا الإنسان وهبط من منزلته التي أَهَّله الله تعالى لها، خلقه ليكون سيد الكائنات، فغرق في الدنيا وملاذها، وظنَّها كل شيء. فاقتضت رحمة الله تعالى أن يعالج هذا الإنسان بما يرسله له من مصائب وأمراض وفقر وجوع وأعاصير وزلازل، ليعود إلى جادة الصواب ويدخل الجنة.

١٧ـ﴿ **إِنَّا بَلَوۡنَٰهُمۡ كَمَا بَلَوۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ..**﴾: إنما نمتحن الناس كما امتحنا أولئك الذين كانوا يملكون مزارع وبساتين، أي كانوا أهل دنيا ومال.

﴿..**إِذۡ أَقۡسَمُواْ لَيَصۡرِمُنَّهَا مُصۡبِحِينَ** ﴾: قرروا وأقسموا ليقطفوا في الصباح مزارعهم وأراضيهم وبساتينهم دون أن يعطوا منها حق الفقير. قالوا: هذه لنا ولأهلنا فقط، لا يريدون أن يعطوا الفقراء والمساكين حقهم، قالوا لِمَ نطعم الفقير؟! ليعملْ هو. (..**أَنُطۡعِمُ مَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطۡعَمَهُۥٓ..**)[1]: الذي يريد الخير

---

(١) سورة يس: الآية (٤٧).

﴿وَلَا يَسۡتَثۡنُونَ ١٨ فَطَافَ عَلَيۡهَا طَآئِفٞ مِّن رَّبِّكَ وَهُمۡ نَآئِمُونَ ١٩ فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ ٢٠ فَتَنَادَوۡاْ مُصۡبِحِينَ ٢١ أَنِ ٱغۡدُواْ عَلَىٰ حَرۡثِكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰرِمِينَ ٢٢ فَٱنطَلَقُواْ وَهُمۡ يَتَخَٰفَتُونَ ٢٣﴾.

له ولأهله فقط لا خير فيه لأنَّ «**الخلق كلّهم عيال الله..**» [1]وهؤلاء نظروا فقط للقرب الجسمي مع أن الإحسان للخلق جميعاً.

١٨ـ﴿ **وَلَا يَسۡتَثۡنُونَ** ﴾: يجنون الثمر صباحاً ولا يستثنون من الثمر شيئاً. لا يتركون فيها شيئاً من ثمر لأحد.

١٩ـ ﴿ **فَطَافَ عَلَيۡهَا طَآئِفٞ مِّن رَّبِّكَ.** ﴾: صقيع أو ما شابهه. ﴿..**وَهُمۡ نَآئِمُونَ** ﴾: ليلاً. البلاء فقط جاء على أرضهم؛ ضرب الشجر والثمر.

٢٠ـ﴿ **فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ** ﴾: لم يبقَ فيها شيء من الثمار، أصبحت يابسة، ثمارها متجعدة ذبلت من الصقيع.

٢١ـ﴿ **فَتَنَادَوۡاْ مُصۡبِحِينَ** ﴾: تنادوا في الصباح.

٢٢ـ﴿ **أَنِ ٱغۡدُواْ عَلَىٰ حَرۡثِكُمۡ..** ﴾: أرضكم والأثمار. ﴿..**إِن كُنتُمۡ صَٰرِمِينَ** ﴾: مصممون على القطع ومصممون على ما اتفقنا عليه.

٢٣ـ﴿ **فَٱنطَلَقُواْ وَهُمۡ يَتَخَٰفَتُونَ** ﴾: يتهامسون، يتسترون كي لا يراهم أحد من الفقراء، فقد كان للفقراء وقت معيَّن يحضرون فيه، قرروا القطاف قبل ذلك الوقت.

---

[1] رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبيهقي في الشعب عن ابن مسعود مرفوعاً.

﴿أَن لَّا يَدۡخُلَنَّهَا ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكُم مِّسۡكِينٞ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوۡاْ عَلَىٰ حَرۡدٖ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوۡهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

٢٤ـ﴿ أَن لَّا يَدۡخُلَنَّهَا ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكُم مِّسۡكِينٞ ﴾: لأجل هذا يتخافتون، لا يريدون إطعام المساكين.

٢٥ـ﴿ وَغَدَوۡاْ عَلَىٰ حَرۡدٖ..﴾: بهذا المنع، وبهذه النّية قطعوا الصلة مع الله. حَرِدَت نفوسهم: أي أعرضوا وابتعدت عنه تعالى. ﴿..قَٰدِرِينَ ﴾: على تنفيذ رأيهم. ظنوا أنهم قادرون على تنفيذ رأيهم والاستغناء عن الله تعالى.

٢٦ـ﴿ فَلَمَّا رَأَوۡهَا..﴾: رأوا أرضهم. ﴿..قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴾: حسبوا أنهم ضلوا بساتينهم، قالوا: هذه ليست بساتيننا، لم يعرفوها أول الأمر.

٢٧ـ﴿ بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ﴾: تأكدوا بعد ذلك من بستانهم وعرفوا أنهم حُرموا، قالوا: لا بل حرمنا الله إيّاها، نسبوها لله ما عرفوا أنهم هم السبب وأن نيتهم عادت عليهم.

٢٨ـ﴿ قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ..﴾: شيخهم مرشدهم الذي يدلُّهم على الله، الوسيط بينهم وبين الله تعالى. ﴿..أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ ﴾: أنفسكم بفضل الله، تذكرون نعم الله عليكم.

٢٩ـ﴿ قَالُواْ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ..﴾: ما أَعظمه!. ﴿..إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾: اعترفوا بذنبهم.

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ۝٣٠ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ۝٣١ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ۝٣٢ كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ..﴾.

٣٠-﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ﴾: أحسنهم قال: ألم أقل لكم أنه لا يجوز أن نحرم الفقراء؟! فقالوا له: لماذا تركتنا نفعل ما صممنا عليه؟! كان عليك ألا ترضى وتشدَّ وتهدَّ علينا.

٣١-﴿ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴾: متجاوزين لطريق الحق، خرجنا عن الحدود الإنسانية فلو أننا كنا مثل هؤلاء الفقراء والمساكين، والأغنياء ما أعطونا فماذا كنّا نفعل؟!.

٣٢-﴿ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴾: مقبلون على الله، تابوا وتراجعوا عن نيتهم، وبهذا رجعت نفوسهم إلى الله تعالى وصارت أعمالهم رغبة في رضى رب العالمين، ولا رغبة لهم فيها غيره سبحانه وتعالى.

٣٣-﴿ كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ..﴾: هكذا عذابنا نرجو من ورائه الخير للإنسان، من أجل ذلك نرسل العذاب حتى يرجع المعرض إلى الحق فيسعد. فلا توجد أمة متروكة من رحمة الله والله يعالج الكل بما يناسبه وبالوقت المناسب.

﴿..وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ..﴾: لكن عذاب الآخرة أشد وأعظم عندما يتبين للإنسان سوء عمله، حيث إن الإنسان المذنب في الآخرة يرى آثامه ظاهرة، إذ يرجع للفطرة فيحترق وينطوي على نفسه، فيؤلمه الله تعالى بالنار ليسلو هذا العذاب النفسي.

﴿..لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٣٣ إِن لِلۡمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٣٤ أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ٣٥ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ٣٦﴾.

﴿..لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾: لو آمنوا وارتبطوا برسول الله ﷺ لصار لهم نور وبصيرة ولعلموا وشاهدوا هذا العذاب من الدنيا، فلا يقعون بعدها بشيء من الآثام والمعاصي.

٣٤ـ﴿إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾: لكل من تاب وسلك بالحق بصدق فآمن واتقى، العذاب من أجل أن يتوبوا ويؤمنوا ويدخلوا الجنة وينعموا بشهودها.

٣٥ـ﴿أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾: المستقيم مثل الأثيم، هل قيمة المجرم عندكم مثل المستقيم المحسن؟ فهل يجعل الله المسلمين كالمجرمين؟! إذن كيف تقولون «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**»[1]؟!! وتنسبون هذا الحديث لرسول الله ﷺ وهو بريء منه!! هذا الحديث دعوةٌ للفجور والآثام والفواحش وأنتم تَدعون به!.

٣٦ـ﴿مَا لَكُمۡ..﴾: هذا الكون ليس لكم. هنا ما نافية. ﴿..كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ﴾: بشيء ليس لكم وتضعون قوانين من عندكم! أفلا تفكرون قليلاً! لله ما في السموات والأرض، لكم إيمانكم والعمل الطيب والجنة إن سلكتم بالحق وإلا الخسارة الكلية.

---

[1] رواه الترمذي والبيهقي وأحمد و أبو داود.

﴿أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾.

٣٧ـ﴿ **أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ** ﴾: تأخذون قولكم منه.

٣٨ـ﴿ **إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ** ﴾: تأخذون ما يحلو لكم منه وما تريدون. تختارون منه على هواكم!! انظروا نتائج سيركم بغير كتاب الله، وما صرتم إليه، شقاء وألم وحروب وتعدٍّ ونصب واحتيال وفواحش وظلم وقسوة وذلٌّ وهزائم.

٣٩ـ﴿ **أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ..**﴾: أعمال عظيمة، أعمال خير تشفع لكم. هل لكم فضل علينا؟! هل خلقتم كوناً ثانياً؟! هل جئتم بشمس جديدة أو قمر؟!. ﴿..**إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ** ﴾: هل تحكمون بشيء لكم؟! ببيتك قوانينك هي السارية فيه لأنه ملكٌ لك، وهذا الكون أما هو ملكه تعالى؟ إذن لماذا تضعون قوانينكم فيه؟ وهو ليس ملككم وأنتم لم تخلقوه، فالذي اخترع الآلة أدرى بها، وهو الذي يضع القوانين لها، وهذا الكون صنع الإله فقوانينه هي التي يجب أن تسود، وتعملوا بها، فهو سبحانه الذي يطعم ويسقي، ومن يُطعم ويسقي هذا الذي يجب أن يطاع.

٤٠ـ﴿ **سَلْهُمْ..**﴾: رسول الله ﷺ ناقشهم بهذا وأقام عليهم الحُجَّة. ﴿.. **أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ** ﴾: من يتزعمهم في ذلك، قال لهم: أين فضلكم؟ وما هو؟ لا فضل لكم. نملة لا تقدرون على صنعها!.

﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَآءُ فَلۡيَأۡتُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

٤١ـ﴿ **أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَآءُ**..﴾: قاموا بهذا. أوجدوا وخلقوا وسيّروا الأرض!! ويأتون بالليل والنهار والماء والهواء والكلأ!! فلماذا اعتزوا بهم وساروا معهم ولم يعتزوا بربهم ويسيروا على دلالته؟!. ﴿..**فَلۡيَأۡتُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ**..﴾: الذين يظنون أَنَّ لهم فعلاً وحولاً وقوة ليأتوا بهم، أما ماتوا ؟! ما منعوا عن أنفسهم الموت فهم تحت القانون، والذي يضع القانون يجب ألا يكون تحته. ﴿..**إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ** ﴾: بادعائهم. هل يخلصوهم بالحياة الأبدية التي لابد منها، هل لهم فعل؟!.

٤٢ـ﴿ **يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ**..﴾: عما ساق الإنسان لنفسه من الشر، يُكشف للنفس ما ساقت من خير أو شر، وما ساق الله تعالى لهم من خيرات وتدبيرات وعلاجات حتى يهتدوا. ﴿..**وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ**..﴾: إلى الإقبال على الله، يُقال لهم تعالوا ادخلوا الجنة. ﴿..**فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ** ﴾: بسبب ما فيهم، ولما يرون في أنفسهم من الخزي والعار، بسبب ما قاموا به من أعمال سيئة.

٤٣ـ﴿ **خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ**..﴾: من الذُّلِّ والإجرام، أبصارهم ذليلة.﴿..**تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞ**..﴾: نار جهنم التي فيهم، نار الحسرة والندامة، بسبب أعمالهم السيئة من قتل وظلم وسلب ونهب وقسوة. ﴿..**وَقَدۡ كَانُواْ**..﴾: في الدنيا. ﴿..**يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ**..﴾: إلى الإقبال على الله تعالى بلسان الرسل فيأبون. ﴿..**وَهُمۡ سَٰلِمُونَ** ﴾:

﴿فَذَرۡنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾﴾.

مريض القلب لا يستطيع الصلاة الحقّة، بالدنيا كانوا سالمين، وعندهم فكر والملائكة تساعدهم، والله جعل لهم هذا الكون العظيم، وأرسل لهم من يدلُّهم على طريق الإيمان ويرشدهم لكنهم ما آمنوا.

٤٤ـ﴿ **فَذَرۡنِي..**﴾: رسول الله ﷺ يراهم ويرى حالهم وما سيحيق بهم بالآخرة وما ستعود عليهم أعمالهم، لذلك كان حاله ﷺ دائم البكاء عليهم، ويترجى بهم ربهم، فقال له ربه: **(ذرني)** رحمتك كبيرة، لكن بجانب رحمتي رحمتك لا تذكر، وهؤلاء كذَّبوا وأعرضوا فلا يناسبهم إلا هذا. ﴿..**وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ.**﴾: بهذه الدلالة التي أنزلت على قلبك وبيَّنتها بلسانك والتي طلبتها أنت مني لهم، من أجلهم، من أجل أن يهتدوا، فكذَّبوا بها، فهم لا يريدون الحق لذلك: ﴿..**سَنَسۡتَدۡرِجُهُم** ..﴾: سنمدهم بمال وولد... حسبما تقتضيه نفوسهم. أنا أعطيتهم الاختيار وهم اختاروا هذا الشيء، وسأعطيهم ما شاؤوا وأرادوا لأخرج لهم خبثهم وشهواتهم من نفوسهم. ﴿..**مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ** ﴾: لا يعلمون ما وراء هذه الشهوات، وما سيقومون به من أعمال وما سترجع عليهم، لو كان لهم علم ما اقترفوا وما طلبوا هذا ولما وقعوا في براثن الشيطان.

٤٥ـ﴿ **وَأُمۡلِي لَهُمۡ..**﴾: على الكامل. ﴿..**إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ** ﴾: تدبيري قوي، أعطيهم ثم أرسل لهم العلاجات والشدائد لعلهم يصحون من سكرتهم ويفكرون فيعودون إلى سعادتهم.

﴿أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرٗا فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ﴿٤٨﴾﴾.

٤٦ـ﴿ **أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرٗا**..﴾: لقاء دلالتك لهم، الرسول ﷺ ما طلب من أحد شيئاً. ﴿..**فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ** ﴾: من كثرة الأجر! هل تسألهم ما يثقل كاهلهم؟! كلا بل لا تطلب لهم إلا الهدى ومنهم إلا الإيمان.

٤٧ـ﴿ **أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ**.﴾: ولا يعلم الغيب إلا الله ومن ارتضى من رسول، هل يعلمون ماذا سيحدث غداً أو بعد ساعة؟ لو عندهم علم الغيب لكانوا أخذوا حذرهم واستعدوا للزلازل والأعاصير ولما أصابهم ما أصابهم من علاجات.﴿..**فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ** ﴾: بهذا كتبوا الشقاء والهلاك على أنفسهم، فحدثت الحروب، وصارت المجاعات، وساد الظلم وظهر الفساد والربا والرشوة، وبالآخرة (إن ما تابوا) عذابٌ أشد وأقوى.

٤٨ـ﴿ **فَٱصۡبِرۡ**..﴾: يا محمد ﷺ. ﴿..**لِحُكۡمِ رَبِّكَ**..﴾: اثبت على التبليغ. ﴿..**وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ**..﴾: سيدنا يونس عليه السلام، لا تتركهم وتفارقهم متألماً من معارضتهم وإنكارهم، فالكمال مع رسول الله ﷺ عدم تركهم، أما مع سيدنا يونس عليه السلام فالكمال تركهم. ﴿..**إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ** ﴾: يكتم غضبه وألمه، ولا يظهره لمخلوق إلا لربه صاحب الحول والقوة العليم بكل شيء. سيدنا يونس عليه السلام لم يكن راضياً عن قومه، ولا عن سيرهم فتركهم، عندها قارنوا

﴿لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٌ ۝٤٩ فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٥٠ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ۝٥١﴾.

بين حالهم معه وحالهم دونه، سيدنا يونس عليه السلام ظنّ أنه عارٍ من عمل الخير، لأنه لم يطق عليه السلام دوام إرشادهم وهم على هذا الحال والسير والبعد عن الله. فبعد أن تركهم وترك إرشادهم وذهب عنهم قارنوا بين ما كانوا عليه وبين ما صاروا إليه، فكروا وغيَّروا فجعل رب العالمين ترتيباً آخر لسيدنا يونس عليه السلام.

٤٩ـ﴿ **لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ..**﴾: بأن جعل هذا الترتيب من وقوعه بالبحر وابتلاع الحوت له وإرجاعه لقومه، بعد أن عالجهم رب العالمين حتى غيَّروا ما بأنفسهم. ﴿..**لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ..**﴾: يوم القيامة حيث لا صحابة معه، عارٍ لا أصحاب له. ﴿..**وَهُوَ مَذۡمُومٞ**﴾: من قبل نفسه، لأنه عارٍ من عمل الخير بظنه.

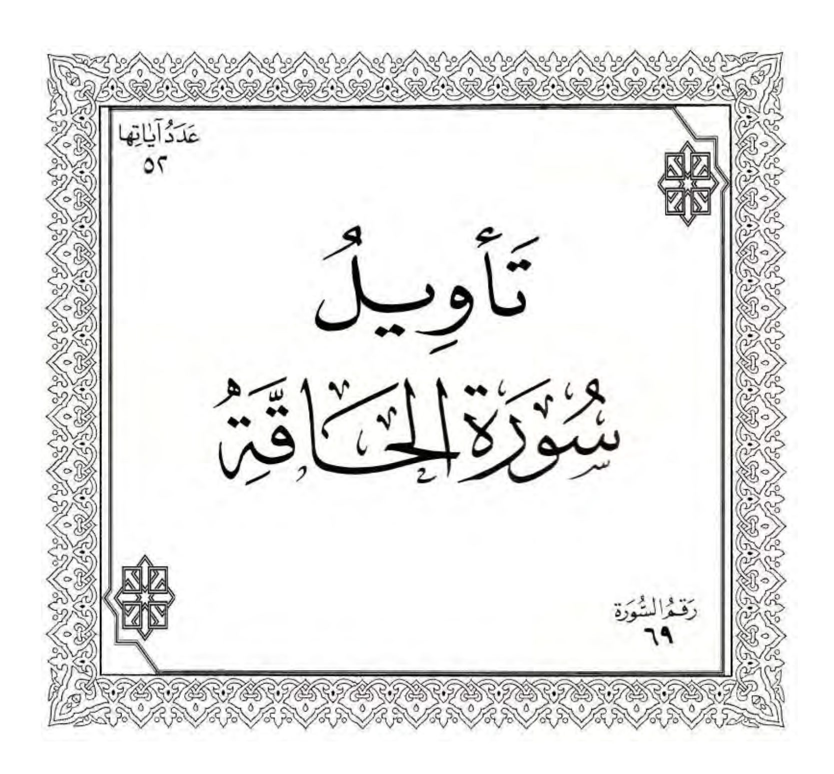
٥٠ـ﴿ **فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ..**﴾: اجتباه لنواياه العالية وكسَّبه إياها بالاستحقاق والحق، قرَّبه بسبب رحمته ونواياه العالية للخلق، وأعماله الكبرى. ﴿..**فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ**﴾: للعطاء والفضل، حيث أصبح معه جماعة كبيرة، أصحابه آمنوا معه وآمن من حولهم من البلدان.

٥١ـ﴿ **وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ..**﴾: الكافرون. ﴿..**لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ..**﴾: يتمنون أن لا يروك، يتمنون زوالك. ﴿..**لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ..**﴾: هذا البيان، هذه الدلالة العالية السبب: ﴿..**وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ**﴾: يحرم نفسه من شهوات الدنيا.

﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾.

٥٢ـ﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾: فلا إكراه في الدين، فمن شاء فليؤمن وله الجنات، ومن شاء فليكفر وعليه نتائج إجرامه، كذلك بشَّر الله تعالى رسوله ﷺ بأن الكفر سيزول وستسير بهذه الدلالة كل أمم الأرض، فهذا الكلام من رب العالمين للعالَمين .




عَدَدُ آياتِها
٥٢
تأوِيلُ
سُورَةِ الحَاقَّةِ
رَقمُ السُّورَة
٦٩

سُورَةُ الحَاقَّة

ترتيبها ٦٩ — آياتها ٥٢

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ
وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا
عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ
سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ
كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾
وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ
رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ
﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ
نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾
فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ
﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ
﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ
كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ

حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾
قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ
الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ
﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ
عَنِّي مَالِيَهْۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ
صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ
كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾
فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ
إِلَّا الْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾
إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾
وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ
تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا
مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ
لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى
الْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ ٱلْحَآقَّةُ ۝١ ﴾.

١ـ﴿ ٱلْحَآقَّةُ ﴾: الحاقة هي نفس الإنسان ذاتها عندما يلبسها عملها السيئ وتلوم حالها على ما عملت وقدمت.

يقال أحق الحق وأحققت فلاناً أي أقمت عليه الحجة، فالإنسان سوف تقام عليه الحجة غداً حين يموت ويفقد الشهوات ويعود لفطرة الكمال، وسيدين نفسه "ذاته بنفسه" على ما قام به من سيئ الأعمال **﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾**[1] ، فكل ما يأتي به الإنسان من عمل فهو لاصق به وملاحق له وسيلبسه وسيلوم نفسه عليه. فالحاقة هي اسم النفس ذاتها وهي لابسة الحالة الصعبة المرعبة عندما تشاهد عملها وتشاهد خسارتها وما ستؤول إليه، فالإنسان جاء للدنيا لينال من ربه شيئاً عظيماً لم تنله أرض ولا سماء بحمله للأمانة، ولكنه بإعراضه عن ربه وأعماله خسر كلَّ شيءٍ، وعند الموت يشاهد هذه الخسارة ويرى أعماله، فتحيق به على شكل حنش أقرع في البرزخ، ثم يوم القيامة تحيق به وتشاهده الخلائق كلها، فيرمي بنفسه

---

(١) سورة الإسراء: الآية (١٤).

﴿ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٣ ﴾.

في النار، نار الله الموقدة ليخلص مما فيه من نار الخزي والعار والخسران، نار جهنم. إذن: أليس لك أيها الإنسان من واجب تقوم به في الحياة؟!.

٢ـ﴿ **مَا ٱلۡحَآقَّةُ** ﴾: ماذا يحيق بك ويحق لك أو عليك؟ أي ما أعظمها عليك أيها الإنسان، ما أصعب ما سيحيق بك عند الموت ويوم القيامة من أهوال ورعب وألم، ما هذه الحالة الجهنمية التي تجعلك ترمي بنفسك إلى النار؟!..

٣ـ﴿ **وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ** ﴾: إنك أيها الإنسان لا تدري حقيقتها بذاتك ولا تعرف ما هي لأن ما دون الأنبياء والرسل بانقطاعهم عن ربهم فقدوا النور القلبي، والإنسان بدون ذلك النور لا يرى ولا يشاهد أبداً، إذن: لابدَّ من نور، وهذا النور هو عند رسول الله ﷺ الذي وفَّى بحمله للأمانة ولم ينقطع عن الله، وبدونه لا ترى ولا تشهد شيئاً منها، فإذا أردت أيها الإنسان مشاهدتها ومشاهدة حقيقتها فلابد لك من نور رسول الله ﷺ، وهذا النور يكشفها لك فتشاهدها وتتجنب الوقوع بها.

إن الذين ساروا مع رسول الله ﷺ وآمنوا بأن سلكوا طريق الإيمان بالله بالخلوات كما دلَّهم ﷺ عليه وارتبطوا به كسبوا كمالاً من الله ونوراً، شاهدوها وعملوا الصالحات كيلا تحيق بهم أهوالها، أما غيرهم فما علموا حقيقتها لذلك أنكروها وقالوا: لا يوجد إثبات عليها، فمن الذي مات ورجع؟ وما هذا الكلام، هل من عاقل يرمي بنفسه إلى النار؟! نحن لا نفعلها، لذلك وقعوا بما وقعوا فيه.

﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ وَعَادُۢ بِٱلۡقَارِعَةِ ۝٤﴾.

٤ـ﴿ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ وَعَادُۢ بِٱلۡقَارِعَةِ ﴾: القارعة اسم حال النفس عند الموت ومشاهدة ما حاق بها فتقرّع ذاتها على ما فعلت، من ذاتها بذاتها. قوم ثمود سكنوا الأردن والله بعث لهم رسولاً "هو صالح" عليه السلام . وقوم عاد سكنوا في بلاد الشام قبلهم وقد أرسل الله لهم سيدنا هودعليه السلام رسولاً لهم يبلِّغهم ويحذِّرهم كما بلَّغ وحذَّر سيدنا صالح قومه بعدهم. حذَّرهم من القارعة، قال لهم غداً تنكشف الحقائق أمامكم وأمام الخلائق كلها عندما تعودون لفطرة الكمال، فتشاهدون ما فعلتم بأنفسكم وما ضيعتم وعملتم مع غيركم من أعمال سيئة، عندها نفوسكم ستقرِّعكم وتوبخكم على هذه الأعمال وستندمون عليها كثيراً، وتلتهب نفوسكم بنار الحسرة والخزي على ما فرطتم وضيعتم من مقام عالٍ وجنات أعدَّها الله لكم، عندها ومن شدة ما بكم سترمون بأنفسكم إلى النار لتخلصوا مما فيكم من آلام وحسرات لا تطاق. فكذَّبوا لأنهم نيام غارقون في دنياهم وفي أهوائهم، نيام في الشهوات، وأنكروا ما سمعوا من رسلهم، كذَّبوا بالقارعة، قالوا: نحن نفوسنا لا تقرِّعنا ولا نرمي بها إلى النار، ولم يغيِّروا ولم يتوبوا عما هم عليه من أعمال سيئة، لأنهم بإعراضهم عن الله لم يكسبوا كمالاً، لو أنهم آمنوا واتقوا لكسبوا كمالاً ونوراً ولشاهدوا به هذه القارعة، ولعرفوا ما في المعصية من ألم وشقاء ونار، فالإنسان بنور التقوى يعرف ما في المعصية.

﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٥ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦﴾.

٥ـ﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴾: بالبناء، بنوا القصور والأبنية الضخمة، فتنوا الناس وشغلوهم عن آخرتهم، عن ربهم وجناته. **(وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ)**[1]. طغوا بهذه الدنيا، يقال رجل طاغٍ وملك طاغية، وقوم ثمود نفوسهم طاغية وعلامة طغيانهم مدينة البتراء في الأردن والأبنية التي سكنوا فيها. **(وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ)**[2]. وحتى يتمكن هؤلاء من تشييد هذه الأبنية وهذه القصور جمعوا أموالاً كثيرة، ولا فرق عندهم إن كانت من حلال أو حرام، غشُّوا وجمعوا الأموال ومنعوها عن مستحقيها من الفقراء والمساكين وأصحاب الحق بها، ما نظروا لجانب ربهم ولا إلى محتاج. همّهم بسطهم "وكيفهم" ولو على حساب شقاء غيرهم، فحصل تفاوت اجتماعي: غني وفقير، وصار الإنسان وحشاً ضد أخيه الإنسان وطغى عليه، فلا رحمة بقلبه ولا عطف ولا حنان، وقد كانوا على قوة عظيمة وبأس شديد.

٦ـ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾: أهلكوا بالهواء، بريحٍ شديدة، بيوتهم كانت قصوراً جعلوها على أعمدة ليتخللها الهواء. همهم

---

[1] سورة الفجر: الآية (٩).

[2] سورة العنكبوت: الآية (٣٨).

شم الهواء والبسط "والكيف" في هذه الدنيا، ما عرفوا أنها مدرسة وممر للآخرة، ووراءها الجنات بما يقدم الإنسان فيها من صالح الأعمال. فتركوا الله وتركوا رسولهم ولحقوا الدنيا والبسط "والكيف" والهواء، والله جمع لهم الهواء الذي أحبوه وأرسله عليهم دفعة واحدة فأهلكوا به.

كذلك اعتزُّوا بقوتهم، ظلموا واستكبروا وسيطروا على غيرهم من الأمم وطغوا عليهم بغير الحق، نهبوا ثرواتهم وحصلت المجاعات، ووقع الناس بالفقر والفاقة: (**فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ**)[1].

الدنيا صورتها حلوة جذابة ولكن مع تقوى الله والسير الحسن، وإلا حقيقتها مرعبة، وتعود على الإنسان بشقاء الدارين، فالإنسان لم يأتِ من أجلها وإلا فلم الموت؟! وإنما جاء لهدف وغاية عالية وهي أن يتعرف على ربه من ثنايا صنعه العظيم، ويقدم صالح الأعمال ويدخل الجنان، لكن قوم عاد تركوا الله من أجل الدنيا وكذَّبوا رسولهم فعادت عليهم: ﴿ **بِرِيحٍ صَرْصَرٍ** ﴾: ريح لها صرير وذلك من إصرارهم على حب الدنيا. سيدنا هود عليه السلام نصحهم كثيراً، لكنهم ما انتصحوا، وما غيّروا مسيرهم.

﴿ **عَاتِيَةٍ** ﴾: شديدة، لأنهم عتوا عن الله مثل العت، فوقعوا بعدها بالجرائم من قتل وسلب ونهب وفواحش، فأهلكوا، وعادوا لربهم يحملون معهم حيَّاتٍ وعقارب، بدل الهدايا من الأعمال الصالحة.

---

[1] سورة فصلت: الآية (١٥).

﴿سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗا فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ ۝٧ فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ ۝٨﴾.

٧ـ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ..﴾: سبع ليالٍ وثمانية أيام عاشوا فيها بالرعب والآلام والشدة رحمةً منه تعالى حتى تطهر نفوسهم. ﴿..حُسُومٗا..﴾: قاطعة أخرجت كل ما في نفوسهم من حب الشهوات، لكن جرثوم الشهوة ظل فيهم. وهذه الريح حسمت أمرهم، أوقفت شرورهم لئلا تزداد آلامهم وتزداد نيرانهم في الآخرة. ﴿..فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ..﴾: من شدتها. ﴿..كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ﴾: مثل نخلة عجوز فارغ داخلها، ومثل جذوع النخل التي بدأت تجف وتيبس. وهذا التشبيه يدل على أنهم كانوا عمالقة وأقوياء وأصحاب حضارة، وبنوا أكثر مما بُني الآن.

(أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ)[1].

٨ ـ﴿ فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ ﴾: ماتوا، ذهبوا عن بكرة أبيهم، زالوا وزالت حضارتهم وآثارهم ولم يبقَ لهم شيء يفيدهم، ولا ذرية تنفعهم وتخفف عنهم آلامهم في الآخرة.

---

(١) سورة الروم: الآية (٩).

﴿وَجَآءَ فِرۡعَوۡنُ وَمَن قَبۡلَهُۥ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتُ بِٱلۡخَاطِئَةِ ۝٩ فَعَصَوۡاْ رَسُولَ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَهُمۡ أَخۡذَةً رَّابِيَةً ۝١٠﴾.

٩ـ﴿ وَجَآءَ فِرۡعَوۡنُ وَمَن قَبۡلَهُۥ..﴾ جاؤوا للدنيا معرضين عن ربهم مصممين على الخيانة، والله أعطاهم ما اختاروا لكن على مستحقين ظالمين، لم يتركهم الله سبحانه وتعالى فقد أرسل لهم رسولين كريمين، سيدنا موسى وهارون عليهما السلام نصحوهم ودلُّوهم، قالوا لهم كفاكم فسقاً وفجوراً وتعدياً، ولكن ما سمعوا منهم نصحاً واستكبروا وأعرضوا.

كذلك جاؤوا الآخرة بأعمال سيئة: قتل وسلب ونهب ورشوة... الخ.

﴿..وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتُ.﴾: قوم لوط فعلهم السوء لم يسبقهم إليه أحد من العالمين.

﴿..بِٱلۡخَاطِئَةِ ﴾: نفس خاطئة، نفوسهم خاطئة أخطأت بالأزل حين أعرضت وانقطعت عن الله منبع الكمال وصاحب الإحسان وأخطؤوا كذلك بالدنيا، جمعوا ومنعوا وأجرموا، ناداهم الله عن طريق رسله لكن ما سمعوا وما غيَّروا، فجاؤوا ربهم مثلما كانوا، نفوسهم خاطئة حاملين فيها الخبث، فليس لهم إلا النار مشفاهم ومكاناً لإكرامهم لتخفيف آلامهم النفسية الجهنمية.

١٠ـ﴿ فَعَصَوۡاْ رَسُولَ رَبِّهِمۡ..﴾: أرسل الله لهم الرسل حتى يخرجوهم من الظلمات إلى النور، ومن الشقاء إلى السعادة، ويدخلوا جناته، فما أطاعوا، رفضوا الحق الذي ينطق على لسانهم وظلوا على خطئهم وكفرهم وعماهم.

﴿..فَأَخَذَهُمۡ أَخۡذَةً رَّابِيَةً ﴾: ظاهرة مكشوفة، من طرف رب العالمين رابية،

﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾.

فلقد أعطاهم كل طلباتهم، لم يبقَ لهم شهوة بنفوسهم، أمدَّهم بكل طلباتهم ومن ثم نقلهم من وضع مرعب كانوا فيه إلى وضع أخف حيث عذاب القبر وسعير النار يخفف عنهم ما هم فيه، ومكان لعلاجهم ولتحويلهم عما هم فيه، فالله لا يعذب هذا الإنسان كندٍّ وإنما لتطهيره رحمة به، كالذي فقد أولاده وأهله وزوجه بحادث، فإن ظل على ذكراه لهم يكاد يجنّ، فيرسل الله له وجعاً في ضرسه يحوِّله عن ألمه ومصابه الكبير وينسيه ما ألمَّ به من مصاب.

١١-﴿ **إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ..**﴾: زمن سيدنا نوح عليه السلام. ﴿..**حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ**﴾: بسفينة نوح عليه السلام، أي أنتم من ذرية من آمنوا معه، حيث حملنا يومها المؤمنين وأغرقنا الكافرين، وكان عدد المؤمنين /١٧/ مؤمناً. كانت البشرية بأصلابهم ومنهم تم نسل البشرية.

١٢-﴿ **لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً..**﴾: المؤمن يتذكر لأن معه نور من الله، وبهذا النور يرى ويتذكر، غير المؤمن لا نور له فكيف يرى ويتذكر. والله بهذه الآية يخاطبنا ويقول لنا أنتم لا تكونوا مثلهم واعتبروا بالأقوام الماضية وما جرى لهم، إن سلكتم مسلكهم وعصيتم رسولي صرتم إلى ما صاروا إليه وجاءكم الهلاك. ﴿..**وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ**﴾: الأذن الواعية هي النفس ذاتها عندما تؤمن وترتبط برسولها، عندها تعي النور والكمالات الإلٰهية. كيف آمنت؟.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ۝١٣ وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ..﴾.

هذا الإنسان سمع كلام الحق، ففكر بالموت حتى تيقنت نفسه من فراق الدنيا، فخاف واستقام على طاعة الله، توقف عن كل ما لا يرضي الله، وبهذه الاستقامة كسبت نفسه ثقة أن الله راضٍ عنها، فكر بالكون بعد خشيته من الموت فشاهد الوجود الإلٓهي من خلال آيات الكون، شهد لا إلٓه إلا الله وصار يعمل لآخرته ويكتسب الكمال بنفسه بالصلاة، وصار يحب الكاملين وسيدهم رسول الله ﷺ، وبهذه المحبة صارت الرابطة النفسية معه وصار يشاهد بمشاهدة الرسول ﷺ. آمن واعرف رسولك تعيها، النفس مع الرسول تسمع وتشاهد وترى الحقائق وتختزن الكمالات، كل الذين صاحبوا رسول الله ﷺ صاروا سماعين ومشاهدين بمعيته.

١٣ـ﴿ **فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ** ﴾: ينفخ الله الروح في الجسد يوم القيامة، وهذه النفخة لكل الخلائق إنسها وجنها. وكل ما خلق والكل بكلمة كن يقوم، فلكل إنسان ترابه، والله يجمع ذرات هذا الجسد والنفس تحيط به ولها الوعي والشهود، لكن هذا الجسد لا يتحرك حتى ينفخ الله فيه الروح بعدها، وبعد نفخ الروح بلمح البصر يخرج الجسد، عكس الدنيا القانون فيها /٩/ أشهر.

١٤ـ﴿ **وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ..**﴾: بالدنيا رب العالمين حامل الأرض بما فيها والجبال بهذا الترتيب المنظم، وجاعل لها قوانين وأنظمة تدور وتسير، وجعل لها الجبال كي تثبتها فلا تنساح ولا تضطرب بسيرها ودورانها، وكل هذا حتى يفكر

﴿فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾﴾.

الإنسان ويصل لربه ويؤمن به ويشاهد عظمته وعلمه ورحمته، أما يوم القيامة فلا داعي لهذا كله، فيحملهم من هذا الوضع الذي كانوا فيه في الدنيا إلى وضع ثانٍ.

﴿..فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴾: فتدخل أجسادهم بنفوسهم، أي: يحملهم ويدكُّ أجسادهم ويدخلها بنفوسهم ويحملهم من وظيفتهم إلى النعيم، حيث انتهى عملهم ولا رجعة لهم أبداً، ويرجعون نفوساً، كما في الآية: (..**كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ..**)[1]: تعود كما كانت في الخلق الأول أنفساً إذ لم تعُدْ للأجساد وظيفة. نفسك أيضاً ستلبس جسدك، وجسدك يصبح محاطاً بها، فلا عمل له ولا فناء، إقبال متواصل على الله.

١٥ـ﴿ **فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ** ﴾: واقعة على كل الناس، الواقعة النهائية والتي فيها الفصل والكشف، فكل إنسان ينكشف لنفسه وللخلائق، الأتقياء والأشقياء انكشفوا وانفصلوا، فأهل الجنة للجنة، وأهل النار للنار، فلا شفاعات يومها ولا كسب، فالمدرسة أغلقت وانتهت، (**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ**)[2].

---

[1] سورة الأنبياء: الآية (١٠٤)

[2] سورة البقرة: الآية (٢٥٤).

﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوۡمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَا..﴾.

١٦ـ﴿ **وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ..**﴾: تخلت عن وظيفتها، انشقت عنها. ﴿..**فَهِىَ يَوۡمَئِذٍ وَاهِيَةٌ**﴾: لا أثر لها، ضعيفة التماسك.

في الدنيا جعل الله الحياة والمياه والأنوار عن طريق السموات، أما يوم القيامة فإن السماء تنشق عن هذه الوظيفة ولا يبقى لها أثر، ترجع نفساً واهية كالهواء لا جرم لها ولا حول ولا قوة، ذهب عنها كل ما فيها، ألا يجب أن يفكر الإنسان ويتساءل أن هذه السماء المحيطة بالأرض نفس واهية كالهواء، وما هذه العظمة والوسعة والعطاء إلا أثر من آثار هذا الخالق العظيم الذي ألبسها هذه العظمة والوسعة، ومن ثم بالآخرة تخلعها، فما أعظمه سبحانه وتعالى؟!.

إن الذي أعرض عن ربه وما آمن به، معتمدٌ على السماء وعلى ما يمدها الله به من حياة وأنوار، غداً تنشق هذه السماء عن وظيفتها وتتخلى عنها، فماذا يفعل هذا الإنسان المعرض بنفسه، ومن أين يأتي بالحياة والنور؟! لذلك من كان في هذه أعمى (أي بالدنيا) لم يسعَ ليحصل على نور وحياة من ربه، فهو في الآخرة أعمى لا نور له ولا حياة، بل بالشقاء والآلام والحرمان، فما أصعبها من حالة!.

١٧ـ﴿ **وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَا..**﴾: أي إن الإنسان علاوة على أن الله شهيد على عمله وهو شهيد على نفسه، توجد ملائكة تشهد عليه، فوظيفة الملائكة

﴿..وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ١٧﴾.

بالآخرة إرجاع أعمال هذا الإنسان وتكرارها أمامه ليشاهدها، فهي قد سجلتها وصورتها بالدنيا. (..تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ..)[1].

(لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ)[2].

(وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ)[3].

﴿..وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ..﴾[4]: يا محمد ﴿..فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾: بالدنيا رب العالمين متجلٍ على الكائنات كلها بالحركة والقيام والحياة، فجاء هذا الكون على هذا الشكل وهو محمول به تعالى ضمن قوانين، فالله قوته محوَّلة كلها للخير، أما يوم القيامة وحيث انتهت المدرسة وذهبت السماء والأرض والجبال، يذهب هذا الكون الذي كان الله متجلٍ عليه وعن طريقه الإمداد بالطعام والشراب فلا حاجة لنا به، ويبقى التجلي الإلٓهي عن طريق الثمانية، وهم أثمن وأغلى وأجمل ما خلق الله، وهم السادة الرسل والأنبياء صلوات الله

---

(١) سورة فصلت: الآية (٣٠-٣١).
(٢) سورة الأنبياء: الآية (١٠٣).
(٣) سورة الانفطار: الآية(١٠-١٢).
(٤) لطفاً انظر كتاب **(تأويل جزء عمَّ)** سورة البروج (توضيح معنى العرش).

﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ..﴾.

عليهم أجمعين أصحاب الكتب الأربعة والصحف. فكل من أحبهم أخذ من معينهم الذي لا ينضب، فكل العطاءات جعلها الله عن طريقهم.

١٨ـ﴿ **يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ..**﴾: أمام الخلائق كلها إنسها وجنّها والملائكة حتى الذرات في الكون وذرات جسدك. ﴿..**لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ**﴾: سوف تنكشف أيها الإنسان أمام كل ما خلق الله، ويظهر كل شيء كنت تخفيه وكل عمل قمت به بهذه الحياة، والخلائق كلها سوف تشهد عليك، فكم سيكون هذا الموقف صعباً على المجرمين عندما تحل بهم الفضيحة ويلبسهم العار والخزي؟! أما على الذين آمنوا وعملوا الصالحات فإنهم لا يرون في هذا اليوم إلا الخير.

١٩ـ﴿ **فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ..**﴾: ليس المراد هنا بأخذ الكتاب أخذه باليد اليمنى، فالكتاب هو ما كتب على الإنسان أي ما حفظ عليه من أعمال قدمتها يداه في الحياة الدنيا. فما من عمل يعمله هذا الإنسان صغيراً كان أم كبيراً إلا ويكتب على صفحات نفسه، وكل شيء مسطور فيها، وإنك أيها الإنسان لتستطيع الآن وببرهة وجيزة أن تمر بخاطرك على صفحات حياتك وما قدمت فيها من أعمال، والمقصود بيمينه هنا أي من اليمن وهو الخير

﴿..فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ٢٠﴾.

الكثير. ويكون المعنى هنا أن هذا الإنسان قدَّم في دنياه من الأعمال الصالحة الشيء الكثير، وهذه الأعمال مكتوبة على صفحات نفسه، وإنه يتيمن منها الخير الكثير والجنات والعطاءات من ربه جزاءً عليها، وستعود عليه باليمن والبركة والخير. ﴿..**فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ**﴾: خطاب للجميع، لجميع الخلائق، فالناجح يتمنى أن يرى كل الناس جلاءه ، وهذا الإنسان نجح ويخاطب آله وأحبابه بالإيمان من فرحه قائلاً: انظروا كتابيهْ، انظروا ما قدمت من أعمال عالية وما سأنال عليها من الله وما نلته، خذوا من هذا التجلي الإلٓهي الذي ينصبُّ عليّ والذي أؤم له.

٢٠ـ﴿ **إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ** ﴾: كنت أعلم بالدنيا أني سألاقي هذا اليوم لذلك أعددت له. كيف استعدَّ له؟ آمن بالآخرة، فكَّر بالموت وبمصيره، عندها خافت نفسه فسرت للآخرة وشاهدت اليوم الآخر، فالعقل أن تصل للشيء قبل أن تصل إليه، أي: أن تشاهد الحفرة قبل أن تصل لها وتقع فيها، وهؤلاء في الدنيا سرت نفوسهم إلى الآخرة وشاهدوها. وصاروا يعملون لها، فيعملون الخيرات ويتجنبون الشرور والآثام. **(إنني ظننت)**: كيف ظن هذا الإنسان: بالأول ظن بالله وأهله خيراً. شاهد الرسول أو أهل الإرشاد، رأى كمالهم ورحمتهم ولطفهم فأحبهم فصارت له بالصلاة أحوال

﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾.

ومشاعر وبوارق، وأصبح يشعر بسعادة وطعوم غير موجودة بهذه الدنيا، استمر عليها حتى وصل للشهود واليقين.

٢١ـ﴿ **فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ** ﴾: راضٍ عن ربه بما يغمره به من جنات ونعيم وسعادة، فهو بالبسط والسرور ويرى هذا العطاء شيئاً عظيماً من الله. كذلك يرى أن الله راضٍ عنه بما قدم من أعمال، هذا حال الإنسان المؤمن بالآخرة. الدنيا فيها الآلام والأمراض والأحقاد، أما في الآخرة فلا يوجد إلا السعادة، فلا شيء ينغص هذا الإنسان، ودائماً هو بسعادة وازدياد.

٢٢ـ﴿ **فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ** ﴾: الجنة مشاهدة وجه الله الكريم، وهؤلاء المؤمنون بجنة عالية، أي: شهود عالٍ لجمال وكمال رب العالمين، لأنهم بصحبة رسول الله ﷺ السراج المنير، فهم في الجنة لا يتخلون عنها، فهم من الدنيا كانوا متمسكين برسول الله ﷺ العروة الوثقى التي لا انفصام لها، وبالآخرة لا يتخلون عنه.

٢٣ـ﴿ **قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ** ﴾: قريبة سهلة التناول ولذائذها مضاعفة.

النفس بالدنيا مرتبطة بالجسم، مهما كانت الأطعمة لذيذة فإن للجسم حدود يقف عندها ولا يستطيع أن يستوعب أكثر من طاقته وحدوده، وبذا تقف لذة النفس عند هذا الحد، أما في الآخرة فالنفس تتجرد عن جسدها وتبدو طاقاتها غير محدودة. لذلك دائماً هذه النفس تتنقل من حال لحال أعلى، ومن

﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ٢٤﴾.

جنة لجنة أعلى، والنفس تقطف من البسط والسرور والسعادة والعطاءات واللذائذ التي يهبها الله لها ما تشاء وتطلب، ففي الآخرة كل شيء على طلبها "اطلب تعطَ" وهي على هذا الحال ودائمة فيه.

٢٤ـ﴿ **كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ**..﴾: فكما أن الجسم يأكل ويشرب ليعيش فالنفس تأكل وتشرب، وهذا الأكل والشراب لا تجده إلا بالصلاة، فالصلاة مع رسول الله ﷺ فيها أكل نفسي وشراب (**وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا ١٦ لِّنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِ**..)[1] ففي الآخرة النفس دائماً مع الله بصلاة دائمية لا تبغي عنها حولاً، وهي تأكل مما يفيض الله عليها من عطاءات، وتشرب من معينه الذي لا ينضب. ﴿..**هَنِيٓـَٔۢا**..﴾: لا نغص ولا شقاء ولا أمراض ولا أسقام بل بالسعادة والهناء الدائم . ﴿..**بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ**..﴾: هؤلاء وصلوا لربهم سلفاً، وصلوا وهم في الدنيا وشاهدوا جماله وكماله وأسماءه الحسنى ونالوا الخيرات، صار لهم صلاة . ﴿..**فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ** ﴾: كيف وصلوا؟ جعلوا لنفوسهم خلوات مع الله، لهم ساعات يجلسون فيها لوحدهم يفكرون بربهم ويطلبونه. سعوا السعي الإيماني حتى وصلوا لربهم وصاروا يذكرونه بقلوبهم. كان حب الدنيا حجاباً بينهم وبين الله، ضحّوا بالدنيا وما فيها من ملاذ، فكروا بالموت حتى زال هذا الحجاب، فكروا بالكون بالشمس بالقمر فشاهدوا لا إلٓه إلا الله، وأحبوا رسولهم وارتبطوا معه وصاروا بصلاة مع الله.

---

[1] سورة الجن: الآية (١٦ـ١٧).

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَـٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَـٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَـٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾﴾.

٢٥ـ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَـٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ..﴾ : شاهد ما قام به من أعمال خبيثة ساقطة وحشية في دنياه، فهي محفوظة ومكتوبة ومسطرة في نفسه وعند الله والملائكة. ﴿..فَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَـٰبِيَهْ ﴾: يخجل من ظهورها وانكشافها ويتمنى أن لا يراها ولا يراها أحد من الخلائق، فحاله كحال الطالب الراسب لا يحب أن ينظر أحد لجلائه ولا يحب هو أيضاً أن ينظر إليه. السبب: لأن النفس بالآخرة ترجع لفطرة الكمال التي فطرها الله عليها وترى كل ما عملت وترى بشاعته، فتندم على ما قدمت وفرَّطت.

٢٦ـ﴿ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴾: يرى الإنسان بالآخرة كل شيء بالتفصيل، ويرى حسابه بالمثاقيل، وتنكشف له العلاجات، فالعار والخزي والنار والبؤس والشقاء مثواه، ويرى أن كل هذا منه وبما قدمت يداه، وأن الله يكره له هذا الحال ويمقته ولا يريد هذا الشيء لهذا الإنسان.

(إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَـٰنِ فَتَكْفُرُونَ)[1].

٢٧ـ﴿ يَـٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴾: يتمنى الموت ولا يجده.

---

(١) سورة غافر: الآية (١٠).

﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ۝٢٩﴾.

٢٨ـ﴿ **مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ** ﴾: كل ما جمعته في الدنيا من مال وغيره ما نفعني، يقول: **(ماليه)**: "مالي" ما النافية. أي ليس لي، والهاء هنا عائدة إلى الله أي لله. كنت بالدنيا أشاهد الأغنياء كيف تركوا أموالهم عند الموت إذن فهي ليست لهم فلم أعتبر، وجمعت ما جمعت وهو ليس لي وتركته ولم ينفعني. فكل ما يجمع الإنسان في دنياه عند الموت يتركه ويذهب لوحده فهو ليس له.

٢٩ـ﴿ **هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ** ﴾: لقد عُمي تفكيري فلم أستخدمه في التوصل إلى الله. الله سبحانه وتعالى سمّى الفكر سلطاناً، لأن الإنسان بالتفكير يستطيع أن يسيطر على ما حوله من الأشياء والكائنات، وإذا ذهب تفكيره فلا سيطرة له على شيء. فالله خوَّل هذا الإنسان بهذه الدنيا كل شيء وجعل له السيطرة على ما حوله بهذا التفكير، وكل هذا ليكسب الإنسان الأعمال الصالحة العالية ويذهب لربه بالهدايا ونفسه واثقة من عملها وحالها ويقول: أكرمتُ يا ربي فلاناً، وهديتُ إليك يا عظيم فلاناً، وأنقذتُ فلاناً من عبادك. وبهذه الأعمال يقبل عليه تعالى ويدخل الجنة، لكن هذا الإنسان بدل أن يقدم أعمال الخير على العكس ذبح فلاناً، وسرق ونهب، وحرم وأضل نفسه وغيره، وفي الآخرة يندم على ما قدَّم، ويرى أن الله أعطاه تفكيراً وخوَّله هذه الدنيا وجعل له السيطرة على ما حوله من زوجة وأولاد وعباد وشجر وحيوان لكنه لم يستخدم تفكيره لعمل الخير، والآن ذهب عنه سلطانه، ولم يبقَ له سيطرة على شيء بعد الموت.

﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾﴾.

٣٠ـ﴿ **خُذُوهُ فَغُلُّوهُ** ﴾: المتكلم هنا رب العالمين، من رحمته بهذا العاصي يقول لملائكته خذوه كفاه آلاماً وحسرات، أروه أعماله كي يلتهي بها ويتحول عن آلامه الرهيبة.

٣١ـ﴿ **ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ** ﴾: حالته صعبة ونفسه من الألم والندم والحسرة والعار صارت مثل الجحيم نار فيها، لذلك يأمر الله ملائكته الكرام أن يأخذوا هذا الإنسان إلى ناره الموقدة، حتى ينسى ويذهب عنه ما حلَّ به من نيران جهنمية لا تطاق.

٣٢ـ﴿ **ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ** ﴾: عذبوه عذاباً متدرجاً بالشدة، فلهذا العاصي علاجات عديدة سلسلة من العذاب، كل هذا ليتسبّع أي ليطهر، يقال سبّع يديك وسبع ملابسك أي طهرها، فكل ما يصيب الإنسان بالآخرة لكي تطهر نفسه ويدخل الجنة إن كانت له أعمال، فالله كله رحمة بهذا الإنسان.

٣٣ـ﴿ **إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ** ﴾: لم يكن يؤمن ولا يصدق بأن الله هو المسير للكون، لأنه ما فكر، فما شاهد عظمة الله من خلال تسييره لهذا الكون، لو فكر لشاهد عظمة وتسيير هذا الإلَه، ولشاهد الرحمة والعلم والعدل وما نسب الفعل لغيره تعالى وقال فلان ظلمني، فلان يعزُّ ويرفع، فلان

﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيۡسَ لَهُ ٱلۡيَوۡمَ هَٰهُنَا حَمِيمٞ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنۡ غِسۡلِينٖ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأۡكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾﴾.

يرزق، والطبيب شفاني، مع أن عمله عاد عليه ولم يظلمه أحد. والذي يعزُّ ويرفع هو الله، وهو سبحانه الرزاق هو الذي ينزل الأمطار ويخرج الشجر والنبات ويضع ما يضع فيه من طعوم وحيويّات، وهو سبحانه الذي أوجد وحرَّك ويحرك الشمس لينبت الزرع، وهو الذي يشفي من الأمراض لا الطبيب. ﴿وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ﴾[1]. لو آمن ما آذى نملة ولا أي مخلوق.

٣٤ـ﴿ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴾: لا يعمل أعمال خير، ما أنفق رغم ما عنده من مال، كان يخاف الفقر لأنه ما شاهد أن ربه هو الرزاق.

٣٥ـ﴿ فَلَيۡسَ لَهُ ٱلۡيَوۡمَ..﴾: يوم القيامة. ﴿..هَٰهُنَا حَمِيمٞ﴾: صديق يحبه ما كان له محب بالدنيا، لأنه ما عمل طيّباً، ما أحب خلق الله بل أحب حاله، لذلك ففي الآخرة ليس له محب.

٣٦ـ﴿ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنۡ غِسۡلِينٖ ﴾: طعام قذر. أكله أدوية مرة ليغسل ما به، وتسكن آلامه وأوجاعه.

٣٧ـ﴿ لَّا يَأۡكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡخَٰطِـُٔونَ ﴾: فقط الخاطئون يأكلون منه وهم الذين أخطؤوا الطريق بالدنيا وظنوها كل شيء، وبذلك نسوا الآخرة، فما عملوا

---

[1] سورة الشعراء: الآية (٧٩ـ٨٠).

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ۝٣٨ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ۝٣٩ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝٤٠﴾.

صالحاً، ما عملوا إلا لدنياهم، ما فكروا وما صدَّقوا من دلَّهم، صمموا على رأيهم الخاطئ "حبهم للدنيا".

٣٨ـ﴿ **فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ** ﴾: بهذا الكون لأن ذلك من خَلقْي ولو أنه عظيم جداً، ولكن لا أقسم به.

٣٩ـ﴿ **وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ** ﴾: ما لا ترون عما خفي عنكم من العوالم كالجن والملائكة والذرة وما فيها، وعوالم أخرى كثيرة لا يراها الإنسان.

فيا أيها الإنسان الذي أهَّلك الله لمقامٍ عالٍ وسامٍ، الذي خلق هذا الكون العظيم يقول لك: أنا لا أقسم به، فلا تعلِّق قلبك به وبما فيه، لا يشغلك عما خُلِقتَ من أجله لتتعرف علي وتكسب الصالحات، هذا الكون خلقه لك كي تؤمن به وتصل إليه سبحانه وتعالى. ولكن ما هو الشيء العظيم عند الله والذي يريد لك أن تنال منه أيها الإنسان.

٤٠ـ﴿ **إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ** ﴾: هذه الآية شهادة من الله على رسوله بالكمال والعصمة والنقاء، رسول كريم لا شائبة فيه. هذا القرآن، هذا البيان الذي يقوله الرسول هو الشيء العظيم الذي يفيدك يا إنسان، والباقي كله خسارة وحُجب، أما هذا الرسول حامل العرش "التجليات الإلٓهية" والجنات والنور وهو ينقلكم بكلامي إلي من جنة لجنة. الله يقول بهذه الآية: إذا أطعتم

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ..﴾.

رسولي الكامل وطبقتم ما يأمركم به وصلتم إلى الجنات وإلى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فكل نتاجك وعطائك، جنانك وسعادتك يا إنسان عن هذا الطريق، عن طريق رسول الله ﷺ به تسمو وتعلو أيها الإنسان فلا تتركه وتذهب لغيره، فكل ما في الكون أنا لا أقسم به ولا يفيدك عند الموت، ستترك الكل، المال والبنين والزوج والأهل والخلان، غير كلام الله لا تسمع، كلام الله ودلالته المنزلة على رسوله فيها السلامة والنجاة والسعادة دنيا وآخرة، وغير كلام الله ورسوله ﷺ فيه الخسارة والشقاء، خسارة الدارين.

٤١ـ﴿ **وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ..**﴾: الشاعر كلامه منظوم عذب، فكل ما يفعله أنه يترجم أحاسيسه ومشاعره بأسلوب لفظي جميل يأخذ بألباب المعرضين الذين هم عن ربهم ساهون فالشاعر يلعب بأحاسيس الناس ومشاعرهم بكلامه وأسلوبه وخياله، فكل ما يقوله خيال بخيال، أما كلام رسول الله ﷺ فكله حقائق نورانية توصلك للحق رب العالمين. والحقيقة فكلامه صلى الله عليه وسلم فيه الجنات والأنوار والتجليات القدسية للبشر أجمعين. فالعبرة للحقيقة والمعنى وليس للمبنى فقط، فلو كان بالصندوق كنز فالغاية والعبرة للكنز وليس للصندوق مهما كان جميلاً. الرسول ما تكلم شعراً بل تكلم كلام الله، أتى بمعانٍ أذهلت عقول المفكرين، فتكلم عن معنى الصلاة، والحج

﴿..قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ ۝ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ۝﴾.

وما الغاية منه والفائدة التي ينالها الإنسان، تكلم عن طريق الإيمان وكيف يصل به الإنسان إلى ربه وينال الجنان. ﴿..قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ﴾: فقط باللسان تقول أشهد أن لا إلّه إلا الله دون أن تشهدها، إن لم يؤمن الإنسان فلن يفقه ولن يشاهد كلام رسول الله ﷺ. فعلى الإنسان أن يسعى ليوصل نفسه إلى الله ويرى أن المتكلم على لسان رسول الله هو الله سبحانه، فهو صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى، وهو وحيٌ يوحى.

٤٢ـ﴿ **وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ..**﴾: الكاهن كلامه من الشياطين، يتكلم بكلمات لا معنى لها ولا تُفهم، يتكهن بما تمليه عليه الشياطين وكله جدل وكذب. أما رسول الله ﷺ فكلامه من الله مباشرة وهو واضح بيِّن حق، تكلم عن خروج بيت المقدس، وعن تطاول البنيان، وخروج النساء كاسيات عاريات، تكلم عن الفتوحات، قال للصحابة: ستفتح عليكم المدائن، الشام، العراق،وقد حدث هذا كله، تكلم عن انتصار الروم وعن فتح مكة (**غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝ فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ**)[1]: بفتح مكة.

﴿..**قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ**﴾: المؤمن مع رسول الله ﷺ يتذكر كل شيء. يتذكر الأزل وكيف عاهد ربه أن يأتي للدنيا ولا ينقطع عنه ويعمل صالحاً، يتذكر

---

(١) سورة الروم: الآية (٢ـ٤).

﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

الآخرة ويشاهدها بقلبه، فيرى الجنة ونعيمها والنار وعذابها. يرى ويشاهد الماضي والحاضر والمستقبل، فالله بيده الزمان والمكان.

٤٣ـ﴿ **تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ** ﴾: هذا البيان، هذا القرآن، هو كلام رب العالمين، أنزله على رسوله من أجلكم، من أجل أن ترقوا وتسموا وتسعدوا وتدخلوا الجنات، وهو للعالمين قاطبة من آدم عليه السلام إلى آخر الدوران. بالأول صحف غدت كتاب القرآن.

٤٤ـ﴿ **وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ** ﴾: كما ادعيتم ونسبتم له ﷺ، حيث أخذتم كلام الشياطين ونسبتموه له. لو تقوَّل، لكنه لم يتقوَّل صلى الله عليه وسلم، يقولون مصادر التشريع أربعة، والحقيقة المشرع هو الله. الرسول ما تكلم بشيء من عنده، وكل ما تكلم به من القرآن وبوحي من الله. ولو كان كلامكم صحيحاً أنه تقوَّل علينا:

٤٥ـ﴿ **لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ** ﴾: أخذنا الكمال الذي أعطيناه إياه ولحبطت أعماله فلا يجزى بها يوم القيامة، ولما استطاع وقام بما قام به من أعمال.

٤٦ـ﴿ **ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ** ﴾: حجبنا عنه هذا الإمداد الإلٓهي، التجلي العظيم الذي ينزل عليه، ولذهب علمه، لكنه لم يتقول صلى الله عليه وسلم

﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَـٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾.

بشيء من عنده وما حدث هذا. وكل ما تكلم به جاء به عن ربه. (**عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ**)[1].

٤٧ـ﴿ **فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَـٰجِزِينَ** ﴾: حاشاه صلى الله عليه وسلم أن يعمل هذا لذلك لن نمكن لأحد منكم أن يحجز عنه هذا الشيء. فهذه الأنوار والتجليات وهذا العلم العظيم سوف يسري بالعالم وينتشر ولا يبقى غيره ليوم القيامة، وسيؤمن به أهل الأرض، كذلك كل من طلبه صلى الله عليه وسلم وصدق بطلبه فالله لا يحجز رسوله ولا كلامه عنه، لذلك لم يستطع أحد أن يقف بوجه رسول الله ﷺ لا في مكة ولا في المدينة ولا في الجزيرة العربية، بل سرت دلالته حتى شملت العالم تقريباً.

٤٨ـ﴿ **وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ** ﴾: طالب التقوى يستفيد منه، طالب التقوى أي الذي طلب الحق، طلب صحبة رسول الله ﷺ بنفسه وعمل لهذا الطلب. يتذكر لماذا جاء للدنيا ويتذكر الجنات ويرجع لها.

وحتى تستطيع أن تصاحب رسول الله ﷺ لابدّ لك من الإيمان. إن آمن الإنسان صاحب رسول الله ﷺ وبمعيته وبنوره يرى نور الله وتجليه، ويرى عظمة الله وأسماءه الحسنى، فيتذكر الأزل والآخرة.

---

[1] سورة النجم: الآية (٥).

﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ۝٤٩ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٥٠ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ۝٥١ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۝٥٢﴾.

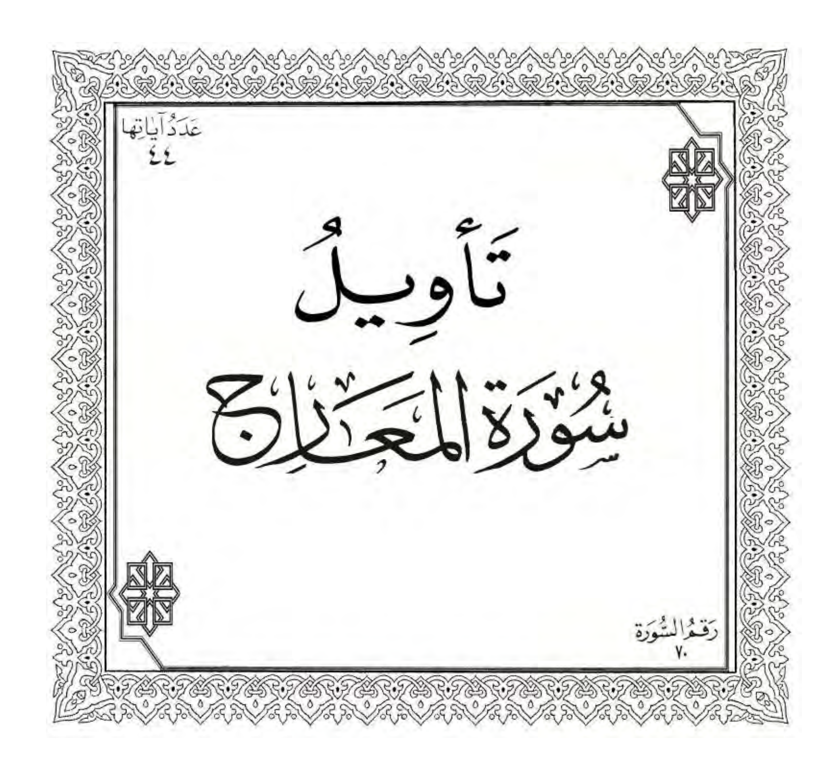
٤٩ـ﴿ **وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ** ﴾: سائرون معه صلى الله عليه وسلم ولهم غايات وناكرون له ولرسالته. كلكم معلومون عند الله، والرسول مطلع على هذا الشيء ويعرفهم، لكن من رحمته وحنانه بهم لا يتكلم عنهم ولا يفضحهم، لكن متى اقتضت الحكمة والمصلحة كشْفهم يكشفهم.

٥٠ـ﴿ **وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ**..﴾ : إذا لم يرجعوا للحق فسيتحسرون غداً لأنه جاءهم الحق وجاءتهم الخيرات والجنات وضيَّعوا. ﴿..**عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ** ﴾: الكافر سوف يتحسر ويحزن ويندم على ما فرط وضيَّع.

٥١ـ﴿ **وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ** ﴾: بهذه الدلالة، وهذا البيان تصل لليقين لا بغيره لأنه كلام حق، كلام الإلّه العظيم، فتتفتح عين القلب وترى وتشاهد الحقائق. والباقي كله سراب.

٥٢ـ﴿ **فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ** ﴾: عندما يؤمنون يلتفتون إليك بالمحبة والتقدير سبِّح نفوسهم بالصلاة سبِّحهم بالرحمة والعظمة والعطف والعلم، سبِّح الخلائق بالجنات، عرِّفهم بأسمائي وأدخلهم عليّ. أسعدهم فأنا خلقتهم لهذا الشيء لترجعهم للسعادة، وهذه الآية بشارة من حضرة الله لرسوله ﷺ أن دلالته سوف تعم العالم وسيؤمن به أهل الأرض.




عَدَدُ آياتِها
٤٤
تَأوِيلُ
سُورَةِ المَعارِج
رَقمُ السُّورَة
٧٠

سُورَةُ المَعَارِج

ترتيبها ٧٠ — آياتها ٤٤

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ١ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ٢ مِّنَ
ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ٣ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي
يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ٤ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ٥
إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ٧ يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ
٨ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٩ وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمٗا ١٠
يُبَصَّرُونَهُمۡۚ يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ ١١
وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ١٢ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ ١٣ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ
جَمِيعٗا ثُمَّ يُنجِيهِ ١٤ كَلَّآۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ١٥ نَزَّاعَةٗ لِّلشَّوَىٰ ١٦ تَدۡعُواْ
مَنۡ أَدۡبَرَ وَتَوَلَّىٰ ١٧ وَجَمَعَ فَأَوۡعَىٰٓ ١٨ ۞ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا
١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعٗا ٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ٢١ إِلَّا
ٱلۡمُصَلِّينَ ٢٢ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ٢٣ وَٱلَّذِينَ فِيٓ
أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ٢٥ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ
بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ٢٦ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ٢٧ إِنَّ عَذَابَ

رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ
أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ
ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ
﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ
﴿٣٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ
﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ
أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾
فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ
وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى
يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ
﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ۝١ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ۝٢﴾.

١ـ﴿ **سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ** ﴾: السائل من الكفار.
٢ـ﴿ **لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ** ﴾: قال: إذا كان الله رحيماً فلماذا خلق النار؟ ولماذا يحرق بها هذا الإنسان الضعيف؟ أين الرحمة والعدالة؟ إنسانٌ جاء للدنيا وأخطأ.. عاش خمسين سنة لِيعذبْه الله خمسين سنة وبعدها يخرجه من النار. وغيره اجتهد وخرج بنتيجة: أن الله لا يحرق أحداً، وإنما يمثل للإنسان عمله السيئ ويحرقه، وضرب على ذلك مثالاً: الأمُّ مهما فعل ابنها لا تحرقه، وإذا رأته بالنار تقول: أخرجوه، فالله أرحمُ وأحنُّ من هذه الأم على مخلوقاته، فلا يعقل أَن يحرق هذا الإنسان بالنار، وإنما يحرق عمله.

النصارى قالوا: إن سيدنا آدم عليه السلام عصى ربه، فجاء الابن "ويقصدون فيه سيدنا عيسى عليه السلام" وضحَّى بحياته لتكفير خطيئة آدم وبهذا سيدخل كل النصارى الجنة فلا جزاء ولا عقاب على الأعمال.

أما اليهود فقد قالوا: نحن شعب الله المختار، اختارنا الله وفضّلنا على كل بني البشر، ولن تمسَّنا النار إلا أياماً معدودة أربعين يوماً، بعدها كل اليهود إلى الجنة.

والمسلمون يقولون: أن محمداً ﷺ غداً سيشفع لنا من النار ويدخلنا الجنة، ونسبوا إليه ﷺ حديث «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**»[1] وبهذا نفوا الحساب والعذاب والنار وقالوا عن الله: «**سبقت رحمتي غضبي**»[2].

وهكذا... لو اجتمعت بأي فئة من هذه الفئات لوجدتهم يعتقدون أنهم كلّهم إلى الجنة رغم ما يفعلون من معاصٍ ويقترفون من جرائم وفواحش!!..

وبالقرآن فالله يقول:

﴿ **لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا** ﴾[3].

قالوا ما قالوا لأنهم ما فهموا الحكمة من النار والعذاب، ما عرفوا أنَّ هذه النار رحمةٌ من الله تعالى لهذا الإنسان الذي أعرض عن ربه، وأن ألمها أخفُّ عليه من آلامه النفسيَّة بعشرات المرات، وأن الكفار بالآخرة يشتهون النار وينزلون بها ويفتنون بألمها لأنها تخلصهم من آلامهم النفسية التي لا تطاق، فالله سبحانه وتعالى وصف حال هؤلاء الكفرة كيف يُفْتَنونَ بالنار قائلاً: (**يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ**)[4]. فالكافرون يفتنون بالنار فتوناً لشدة ما يقاسونه من آلام نفسية، كما يُفتن المريض بالأدوية والمسكنات والعلاجات الصعبة والعمليات الجراحية التي تسكِّن له آلامه لما يأمل فيها من تسكين لآلامه المرضية الكبرى.

---

(١) رواه الترمذي والبيهقي وأحمد و أبو داود.

(٢) مسند الإمام أحمدج٢ رقم/٧٢٥٧/.

(٣) سورة النساء: الآية(١٢٣).

(٤) سورة الذاريات: الآية(١٣).

﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً ۝٥﴾.

٣ـ﴿ مِّنَ ٱللَّهِ..﴾: قالوا: الله كله رحمة وحنان والكل للجنة. ﴿..ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴾: الله بعيد فوق السماء السابعة، والحقيقة أنه ليس بينك وبين الله أية مسافة بل هو قريب منك ملاحق لك، ليرحمك.

٤ـ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾: ادَّعوا أن الله سبحانه وتعالى فوق السماء السابعة وهو جالس فوق كرسي وعرش تحمله الملائكة مع أن الآية الكريمة تقول: (..**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**)[1] كما يقولون أنه بين كل سماء وسماء مسيرة (خمسمائة سنة) والملائكة تعرج إليه فوق السماء السابعة، ولا تصل إليه إلا بعد هذه الألوف الطويلة من السنين، وبهذه الفترة تكون قد نُسِيَت الأحداث التي جرت من ثلاثمائة سنة لا شيء منها يُذكر فكيف بأحداث جرت من خمسين ألف سنة؟! ألا تنساها الملائكة؟! ولا يَصِلُ لله شيء والله تعالى بهذه الآية ينفي زعمهم هذا فيقول: أيظنون أني بعيد عنهم هذا البعد فلا تصل الملائكة إليَّ إلا بعد هذا الزمن الطويل مع أن الأرواح كلها بيدي.

٥ـ﴿ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً ﴾: رسول الله صلى الله عليه وسلم لرحمته وحنانه كان دائم التألم عليهم والله تعالى بهذه الآية يُصبّر رسوله ﷺ بقوله: اصبر على أقوالهم غير المنطقية وجهلهم وأعمالهم.

---

[1] سورة الحديد: الآية(٤).

﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧﴾.

وظيفة الرسول دائمة لذلك قال له ربه (**فَٱصْبِرْ**) لأنَّه يحمل آلام وعلل الخلق كلِّهم، رحمته كبيرة وحنانه وعطفه كبير فإذا توجَّه صلى الله عليه وسلم بنفسه الشريفة لأيِّ إنسان وهذا توجَّه بدوره والتفت إلى الرسول ﷺ طالباً الإلّه أو مقدِّراً كمال رسول الله ﷺ تنقلب سيئاته حسنات ويحصل له الشفاء، تماماً كما حصل لسحرة فرعون مع سيدنا موسى عليه السلام، فرحمته شملت الخلائق كلّها وهو دائم البكاء عليهم وعينه لا تفارقهم والله تعالى خاطبه: أنْ توجَّه لهم وأنا أتجلى عليك تجلِّياً قوياً جليلاً جميلاً.

٦ـ﴿ **إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا** ﴾: ينظرون لله أنه بعيد، لذلك يرون يوم القيامة بعيداً ويفعلون كل شيء ويرتكبون المعاصي، إذ يرون الله بعيداً فوق السماء السابعة، والمسافة بعيدة، فما صدَّقوا بيوم الحساب والسؤال، لو صدَّقوا وآمنوا لما قالوا هذا القول، ولما كانت هذه أعمالهم، لم يروا أن الله قريبٌ وأنه معهم وأنَّ يده فوق الجميع يعطي ويمنع ويعزّ ويذلّ ضمن الحكمة والاستحقاق، لذلك تجدهم يلتجئون للناس، لكن هل الناس يستطيعون منع المرض عنهم أو منع الموت؟! هل يأتون بالمطر، بالليل والنهار، أو بالهواء؟!.

٧ـ ونحن "رسول الله وصحبه": ﴿ **وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا** ﴾: من آمن حقاً يشاهد ربه ويرى أن يوم القيامة قريب، المؤمنون بمعية رسول الله ﷺ يرون هذا اليوم من

﴿يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ ۝٨﴾.

الدنيا، لأنهم آمنوا بالله ووصلوا إليه والله أوصلهم وأشهدهم كلَّ شيء بمعية رسوله الكريم ونوره. المؤمن لا يخاف من الموت فالموت شهوته، لكنه يخاف من يوم القيامة، لأن فيه الحساب بالمثاقيل، وكلُّ إنسان يرى أعماله، وتراه الخلائق كلها (**يَوۡمَئِذٍ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٌ**)[1].

«ابن آدم اطلبني تجدني فإذا وجدتني وجدت كل شيء وإن فتُّك فاتك كل شيء وأنا أحب إليك من كل شيء»[2].

هؤلاء الكفرة متى يرون الحقيقة وأن الله قريب؟.

٨ ـ﴿ **يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ** ﴾: كالمهل: أي كالزيت المغلي هكذا حالهم، حال نفوسهم، ما طلبوا الله تعالى بل طلبوا الدنيا والسموَ والعلوَ بها وأصرُّوا، والله أعطاهم ما أرادوا وصمموا عليه ولم يريدوا إلا الحياة الدنيا، ففسدوا وأفسدوا غيرهم من الذين على شاكلتهم،ويوم القيامة سيرون ما قدّموا من أعمال فتحرقهم نار جهنم، نار الحسرة والندامة على ما قدموا وخسروا، فتصبح نفوسهم كالزيت المغلي، كذلك حال الرسول صلى الله عليه وسلم على أصحابه يوم القيامة خوفاً عليهم ورحمة بهم من أن يدخلوا

---

(١) سورة الحاقة: الآية (١٨).

(٢) الزبور، إحياء علوم الدين: الجزء الرابع، ص٤٦٩ بلفظ: **«من طلبني وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فقال أبو الدرداء: أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا»**.

﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ۝٩ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۝١٠﴾.

النار لذلك يستر عنهم أخطاءهم بإشهادهم أعمالهم الطيبة ويغمرهم بنوره فلا يعودون يرون أخطاءهم وبهذا يمهِّلهم من دخولها فيتجاوزون هذه اللحظة الحرجة وهذا الموقف الرهيب ويدخلون الجنة.

٩ـ﴿ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴾: كالقطن المندوف، فالجبال بعالَم الأزل (العالم الأول لخلق النفوس) هذه الجبال كانت نفوساً مجرّدة واهية لا حجم لها ولا كيان بل أرقُّ من الهواء وطلبت أن تكون جبالاً بهذه العظَمة مسخَّرة لخدمة الإنسان حامل الأمانة والتكليف فمنحها الله تعالى هذا الخلْق وهذه العظَمة، ويوم القيامة تتخلى عن عظَمتها وتعود نفساً مجردة لا حجم لها ولا كيان، وتعود عظمتها لصاحبها حضرة الله تعالى وتبقى عظمة الرسل والأنبياء بالآخرة، فهم جبال الآخرة للأبد.

﴿ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴾: وهؤلاء الجبال هم جبال الرحمة والحنان والنور، فساعة الحساب ساعة عظيمة لذلك يلجأ المؤمنون فيه إليهم لما فيها من هول فيجدون عندهم الأمان والاطمئنان ويرون النجاة بهم، فالرسل والنبيون عليهم السلام كلهم رحمة وحنان وهم يغمرون الخلق بهما. وبالآخرة تبدو حقائقهم العظمى جبالاً.

١٠ـ﴿ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴾: سواء المؤمنون أو الكافرون، حيث كل إنسان مشغول بحاله ويريد نجاته، فهذا يوم النتيجة فلا أحد يسأل عن أحد،

﴿يُبَصَّرُونَهُمْۚ يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾﴾.

ولا محبَّ يسأل عن محبوبه، وكلٌّ واحد يترقب ما هو مقبل عليه. المؤمنون بعظمة العطاء ينشدهون ولا يستطيعون أن يلتفتوا لأحد مهما كان حميماً لهم، والكافرون من عظمة الموقف وخزيهم وعارهم لا يلتفتون لأحد أيضاً.

١١ـ﴿ **يُبَصَّرُونَهُمۡ..**﴾: الله يأذن بتَبصيرهم، الذين ما آمنوا فهم عميان لا نور لهم يرون به، لذلك تأتي الملائكة وتُبَصِّرهم فيشاهدون أعمالهم وما جرّت لهم، ولكن كيف يبصرون وهم لا نور لهم بصيرتهم عمياء؟ هؤلاء بعالم الأزل كان لهم نور تخلوا عنه وتركوه، فالملائكة ترجع لهم نورهم الأزلي فيشاهدون أنه لا حول ولا قوة إلا بالله وكل شيء يؤول إليه، فيندمون أنهم اتجهوا لغيره وخسروا خيره. ﴿..**يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ..**﴾: الذين أجرموا بالدنيا، بما ارتكبوا من أعمال سيئة فلم يبقَ فيهم خير، ما كسبوا خيراً، ما ساروا بالحق كل أعمالهم فساد وفواحش وخمور وزنى. بهذا الوقت يتمنى: ﴿..**لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ..**﴾: يوم الحساب، يوم العار والنار والعذاب، يوم الذل أمام رب العالمين والرسل والخلائق أجمعين بما أتوا من أَعمال مُخجلة، لذا جاءت كلمة (**يَوۡمِئِذِۭ**) بالخفض، مكسورة فهؤلاء رُشحوا لمقام عالٍ عظيم فضيَّعوه وخسروه وصاروا أخفضَ وأذلَّ الخلائق، وإنّه ليتمنى أن يفديَ نفسه من هذا العذاب: ﴿..**بِبَنِيهِ**﴾: بأغلى شيء عنده، بأولاده وهم

﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ..﴾.

أقرب شيء إليه فكم يحب الأب ابنه! وكم يرحم الأب ابنه! فيوم الحساب يتمنى لو يفدي نفسه بأولاده لما يجد من أهوال وفزع وعذاب.

١٢ـ﴿ **وَصَٰحِبَتِهِۦ..**﴾: وزوجته. ﴿..**وَأَخِيهِ** ﴾: يتمنى.

١٣ـ﴿ **وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ** ﴾: أصحابه وعشيرته الذين كان معهم بالدنيا، يأوي إليهم ويطمئن بهم.

١٤ـ﴿ **وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا..**﴾: بالدنيا كلها وما فيها. ﴿..**ثُمَّ يُنجِيهِ** ﴾: من هول هذا اليوم ويخلصه من هذا الموقف الرهيب! لكن لا أحد ينْجيه لأن الألم المزمن ينبعث منه، ويضطره للمداواة، كالمريض حينما يسعفونه فهل يتقدم عزيز عليه، ويحول دون إسعافه ومعالجته؟!.

١٥ـ﴿ **كَلَّآ..**﴾: هل هذا الإنسان متروك؟ لا ليس بكلٍّ علينا لم نتركه حضّرنا له العلاج المناسب لحالته الصعبة، مشفى فيها عناية مشددة وخاصة. الله سبحانه وتعالى يقول بهذه الآية: إنَّ هذا الإنسان الذي أعرض، وبإعراضه أمرض نفسه، أنا ربُّه رحيم به لا أتركه، ولابُدَّ من علاجه، وكل هذا لعلاجه حتى يشفى ويدخلَ الجنة. (**كَلَّآ**): أي إنَّ هذا الإنسان ليس كلاًّ على الله تعالى والله لا يكلُّ منه ولا يتركه، فكما كان الله تعالى بالدنيا يرعاه رغم إعراضه، كذلك بهذا الموقف لابدّ من علاجه وإكرامه، لذلك حضَّرنا له العلاج

﴿..إِنَّهَا لَظَىٰ ۝١٥ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۝١٦ تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٧﴾.

المناسب حتى تطهر نفسه من أمراضها ويدخل الجنة، ولكن كيف يكرمه الله؟ وبماذا وكيف يعالجه؟.﴿..إِنَّهَا لَظَىٰ﴾: نار الله الموقدة وهي أخفُّ بسبعين مرة من نار الحسرة والندامة والعار التي بنفسه، أي من نار جهنم التي تحرقه حرقاً، فالله سبحانه وتعالى أعدَّ له ناراً، نار الله الموقدة لتحوله عما هو فيه من آلام وحسرة وندامة لا تطاق.

١٦ـ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾: الألم الذي يشوي نفسه. هذه النار التي أعدها الله تعالى لهذا المعرض، تنزع من نفسه الألم الذي يشويها ويحرقها فتنسيه ما به وتحوِّله عن آلامه وندامته وخسارته، كيف خسر حياته الحقيقية! وأذهب جناته! لذلك يرمي بنفسه إلى النار التي أعدها الله تعالى له، ليخفف بهذه النار ما به من آلام، فانظر أيها الإنسان إلى رحمة الله بهذا المعرض.

١٧ـ﴿تَدْعُواْ..﴾: لظى تدعو. ﴿..مَنْ أَدْبَرَ..﴾: عن الله والحق وأهله، أدار ظهره لله. ﴿..وَتَوَلَّىٰ﴾: تولى دنياه ليصير له فيها مكانة. تولى غير أهل الله، لأنه شاهد الشهوات عندهم، أدبر عن ربه وتولى الشهوات، ترك ربه من أجل شهوة عارضة مؤقتة حتى صارت الدنيا أكبر همه، وبتركه لربه وإعراضه عنه صار قاسي القلب، فاقد الرحمة، لا يعمل خيراً، وبهذا وقع بالشقاء وحرم نفسه من سعادتها والجنة التي أعدها الله تعالى له.

﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ۝١٨ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩﴾.

١٨ـ﴿ **وَجَمَعَ..**﴾: من الدنيا، جمع شيئاً تافهاً، جمع المال وكنزه بدل أن يجمع أعمالاً وجنات، جمع مالاً ولم يجمع علماً نافعاً ولا أعمالاً صالحة. ﴿**..فَأَوْعَىٰٓ**﴾: من هذا الذي جمعه، عقل الدنيا ولم يعقل الكمالات الإلٰهية، تعلق بغير الله بالأموال والشهوات، فحجبته عن الله وأذهبت عنه جناته.

١٩ـ﴿ **إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا** ﴾: كل كلمة في اللغة مشتقة من حرفين فما زاد في المبنى زاد في المعنى، فكلمة هلوعاً مأخوذة من هلَّ ووعى. وهلَّ: أي قَدِمَ وظهر، ووعى: لم يكن يعرف شيئاً عن هذه الدنيا ولا يعي منها شيئاً وبدأت تنطبع فيه شيئاً فشيئاً كما قال تعالى: (**وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**)[1].

فالله تعالى خلق الإنسان على فطرة الكمال، نقي النفس طاهراً لا خبث فيه. نفسه خالية من كل شيء، صفّاه وطهّره وبعثه للدنيا «**كل مولود يولد على الفطرة..** »[2] حتى إذا بلغ السادسة عشرة فله الاختيار وبيده وجهته وتوجيه نفسه حيث أراد، فإمَّا أن يوجهها إلى الله تعالى بمصاحبته لأهل الحق الصادقين فتكتسب من كمالات ربه ويتخلق بها ويقدم صالح الأعمال، وإما أن يوجهها إلى الدنيا وشهواتها فتكتسب الصفات المنحطة من بخل وقسوة

---

[1] سورة النحل: الآية(٧٨).

[2] مسند الإمام أحمد ج٢.

﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾﴾.

وشذوذ وانحراف مما يجعل هذا المعرض بالآخرة يتطلبُ التطهير والتنظيف والعلاج بالنار والأهوال، فليس له أمل بالرجوع إلى ربه بالإكرام وقد عامله ربه بالدنيا وهداه وأكرمه وأعطاه ما أعطاه فلم يرجع، لذلك بالآخرة لا أمل لهذا المعرض بالرجوع بالإكرام. لأنك إذا أكرمت اللئيم تمرَّد ولابد له من النار، وهي مكان إكرامه. لا يتطلب المعرض دخول الجنة بل يطلب الرجوع إلى الدنيا ليعمل صالحاً حيث عَلِم ساعتها أن دخول الجنة بالعمل ولكن كلاَّ إنها كلمة هو قائلها فهو كاذب بدعواه.

وأيضاً كلمة ﴿ **هَلُوعًا** ﴾: تتضمن الخوف لأن المرء يخلق ضعيفاً عاجزاً لا حول ولا قوة له وهو بحاجة إلى غيره، أي شيء يؤثر فيه، فيخاف ويلتجئ إلى أبويه لأنه لا يستطيع أن يدافع عن نفسه ولا أن يطعم نفسه لضعفه وعجزه فهو بحاجة إلى مُساعد ومعاون، وإن لم يكن هنا مساعد يمتلئ خوفاً من أي مشاهدة تخيفه، وهو كذلك ضعيف بحاجة إلى من يطعمه.

٢٠ـ﴿ **إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا** ﴾: الشر: هو الشهوة الخبيثة التي بنفسه، فإذا مسَّه ذلك الشرُّ وعاد عليه بالألم والشقاء والمصائب والشدائد يخاف ويجزع وكلمة (**جَزُوعًا**): أي جباناً خائفاً لأنه لا شجاع إلاَّ المؤمن الذي استقام على أوامر ربه وتجنب الشرور والأذى، ونتاج الإيمان الصلاة وبالصلاة يكتسب الخيرات وبسببها يفيض بالصالحات بما اكتسب في نفسه من كمال وكل

﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾﴾.

إناء بما فيه ينضح، ويكون (**الجزع**): بسبب التمسك بالدنيا الدنية فإذا أصابه الضر بماله مثلاً فهو جزوع، وإذا حلَّ القتال فهو يخاف ويجزع ومن أبسط الأشياء يجزع، يجزع من الأصنام أي الأشخاص الذين كانوا نطفاً لا حول لهم ولا قوة، فهو يجزع لأنه يرى ألف فعَّال مع الله، ما رأى أن يد الله على كل الخلق، وهو سبحانه وتعالى الخالق المربي المسير، يقول فلان ضربني، وفلان ذلَّني وفلان يعطيني ويمنع عني، ولا يقول عملي السيئ عاد عليّ بهذا الشر.

٢١ـ﴿ **وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ**..﴾: عندما يتفضل رب العالمين عليه ويرزقه. ﴿..**مَنُوعًا** ﴾: يمنع ذلك عن الناس ويبخل، لا يخرج منه خير لغيره، إذا أعطاه الله لا يعطي أحداً، يخاف الفقر، دائماً مع الشيطان يسمع منه، والشيطان يخوِّفُه مِنَ الفقر إذا أنفق، يقول له: لا تنفق فيذهب مالك، لا تذهب للجهاد فتموت، يأمره بالفحشاء والمنكر والبغي، يقول له: اشرب الخمر تنسى همومك ارتكب الفواحش تتلذذ، اجمع المال تُعزُّ. هذا فعل من لم يصلِّ.

٢٢ـ﴿ **إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ** ﴾: قانون عام، المصلون لا يفعلون هذا، مستثنون، لأنهم بصلاتهم اشتقوا الكمال من الله فلا يفيضون إلا بالكمال الذي طُبع بنفوسهم، لا يخافون من شيء لأنهم رأوا الفعال هو الله وحده، ومستندون إليه سبحانه وتعالى.

﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ۝٢٣﴾.

٢٣ـ﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ﴾: دائماً مع الله سبحانه وتعالى، بين الصلاتين لا ينقطعون عنه سبحانه وتعالى، دائماً قلوبهم متصلة بالله عن طريق إمامهم رسول الله ﷺ، لأنهم عرفوا أنَّ التعلق بالإمام يوصل الإنسان لله، والإمام دائماً مع الله لا ينقطع عنه أبداً، والمرتبط به صلى الله عليه وسلم بالتبعية يصبح مع الله لا ينقطع عنه فيصبح بصلاة دائمية بلا نهاية ولا انقطاع. وبهذا صار بأمان دائماً لأن الدنيا لم يبقَ لها قيمة بنفسه. فهؤلاء: (..لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ)[1]: من سوء في الدنيا ولا من فقر ولا إهانة ولا في أي مجتمع وجدوا فيه لأنه لا استحقاق عليهم ولأنهم التجؤوا لجانب عظيم هو الله تعالى فكان معهم، ومن كان الله معه فمن ضده، والله معهم لأنه بيده مقاليد الجميع فلا يسلِّط عليهم أحداً ولا سلطان لأحد عليهم، قال تعالى: (مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا)[2]. أيضاً: (..لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ..): من الموت بل يفرحون بقدومه والموت تحفة المؤمن. (..وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ): على الدنيا. إذا فارقوها لأنهم كسبوا خيراً منها، كسبوا الجنات والنعيم المقيم. ما صفة من صار لهم صلة مع الله؟:

---

(١) سورة يونس: الآية(٦٢).

(٢) سورة النساء: الآية(١٤٧).

﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ۝٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ۝٢٥ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٢٦ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ عَذَابِ رَبِّهِم..﴾.

٢٤ـ﴿ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ﴾: فالمصلُّون يدفعون زكاة أموالهم وصدقاتهم بأصول ونظام، لا يعطي الفقير أموالاً كثيرة ولا يحرمه بل يعطيه ما يكفيه، يُخصِّصون صدقةً شهرية ثابتة ومعيَّنة يدفعونها له كلَّ شهر على قدره.

٢٥ـ﴿ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴾: لأصحاب الحاجة المستحقين.

٢٦ـ﴿ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾: فكروا بالموت ونهايتهم فأيقنوا بالآخرة، صدَّقوا لأنهم شاهدوا، بزياراتهم للمقابر وتفكيرهم بالموت أصبحت نفوسهم تشاهد الآخرة، آمنوا بيوم الدين وهذا أول إيمان وبعدها يأتي الإيمان عن طريق الكون.

٢٧ـ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ عَذَابِ رَبِّهِم..﴾: يخافون من يوم القيامة لأن الحساب بالمثاقيل، والإنسان محاسب وسيشاهد كل عمل قدَّمه بحياته صغيراً كان أم كبيراً، خيراً كان أو شراً. **(فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ)**[1].

يعلمون رحمة الله وعدله، وأن كلَّ إنسان يخرج عن الحدِّ ينال قصاصه من العذاب، مهما علا الإنسان إن خرج عن الحد فعلى ذلك قصاص، ولو أنَّ سيدنا محمداً ﷺ "وحاشاه" وطأ نملة بقصد لقاصصه الله عليها.

---

[1] سورة الزلزلة: الآية (٧ ـ ٨).

﴿..مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ..﴾.

﴿..مُّشْفِقُونَ ﴾: على أنفسهم، يخافون أن يخطئوا لأنهم رأوا الله عظيماً ورحيماً وعادلاً فكيف يخالفونه، ومشفقون على الخلق من يوم الحساب لأنهم مشاهدون نتائجهم.

٢٨ـ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴾: دائماً خائفون من التقصير والخطأ، لا يثقون بنفوسهم خائفون منها، لا يمشون إلا بتفكيرهم، خوفاً من الذل والفضيحة والعار والعذاب يوم الحساب، إذ يعلمون أنهم إن أخطأوا فالله عادل سيحاسبهم ويقاصصهم ولا يتركهم، فالإنسان مهما وصل لدرجة عالية لو قتل نملة لقاصصه الله عليها. فلا يأمن مكر الله إلا القوم الفاسقون.

٢٩ـ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴾: هؤلاء أتقياء غير متعلقين بالدنيا وشهواتها. محافظٌ على عينه، أذنه، لسانه، حافظٌ لذلك كلِّه، والذي يُسيِّبهم لابد أن يقع في الزنا ويصبح هواه هو مُسيِّره.

٣٠ـ﴿ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ..﴾: ملك اليمين، إن أخذها بالحرب وغايته أن يرشدها إلى الله حلَّ له نكاحها دون كتاب ومهر، زواجها تسرٍّ غيرُ معلنٍ ولا يسمِّيها زوجة بل اسمها عبدة حتى تؤمن، إن آمنت صارت زوجة ولها كتاب ومهر، وأطلق عليها اسم زوجة لكن قبل إيمانها إن

﴿..فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ..﴾.

جعلها زوجة تُفسد نساءه[1]، أما إذا أخذها بغية إرضاء شهوته فعليه عقد ومهر. ﴿..فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾: لا يلامون.

٣١ـ﴿ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ..﴾: بالزنا. ﴿..فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾: الزنا اعتداء وعلى الإنسان أن يتجنب الأشياء التي توصل للزنا كالصور والاختلاط والنظر لئلا يقع فيه. هذا الذي يزني لو أن قضيباً من حديد محمَّىً بالنار دخل بحشفته خيرٌ له من الزنا.

٣٢ـ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ..﴾: أماناتهم: كل ما تحت وصايتهم كالابن والزوجة... يتعاملون معهم بما يرضي الله، فالابن يربونه تربية عالية يبعدونه عن المحرمات ويدلونه على الحلال وعلى محبة الله والرسول ﷺ، يعلمونه أن الحرام شقاء والحلال سعادة. كذلك زوجته يرشدها ويعلمها لا غاية له فيها إلا أن تدخل الجنة. فكل شيء تحت وصايتهم عمّال، طلاب، جنود... يتعاملون معهم برحمة وشفقة وحنان وحسب المناسب، ويعملون جميع الوسائل لكي يكونوا من أهل الصلاح، فلا يسكتون عن باطلهم حيث لا عاطفة

---

[1] سمح تعالى بالأسيرة التي هي ملكٍ يمين المؤمن التقي وتحت رعاية زوجته بالتسرِّي بها وذلك إن رأى بما في قلبه من نور أن في ذلك خيراً لها، بحالة عدم صبرها وأنها ستتعقّد بلا زوجٍ وتزداد كفراً.. فلوقايتها يتزوجها سيدها بلا كتاب ولا مهر لأنه ليس هو طالبها أبداً فهو يجرُّها بذلك لمداخل الإيمان ومحبة الله تعالى، وذلك برابطتها الزوجية به كي تتشرَّب الإيمان ومحبة أهل الإيمان، وكذلك إن خاف عليها من الوقوع في الزنى أيضاً فيحق له التسرِّي بها خدمة لها، وإلا فلا يجوز التسرِّي مطلقاً، بل يربِّيها التربية العالية ويزوِّجها إما بعبد أسير آمن أو بمؤمن طلبها للزواج كزوجة له.

﴿..وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

عمياء تحكمهم. ﴿..وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ﴾: طالب الحق إذا عاهد ربه ومرشده فلن يرجع أبداً عن عهده، وهؤلاء عاهدوا ربهم ومرشدهم أن يبقوا في النور ووفوا بعهدهم. هؤلاء انقطعوا بالأزل عن الله والنور، جاؤوا للدنيا وعاهدوا من جديد ووفوا بذلك العهد.

٣٣ـ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ﴾: شهاداتهم أي بكل شيء يشاهدونه فيؤمنون بالله به وكل ما يقع نظرهم عليه يشاهدون الله معهم ومعه، فهم مع الله ومع الناس لأنهم آمنوا بالله عن طريق الكون، شمسه وقمره ونجومه وأرضه... ووصلوا لله من طريق الآيات الكونية بهذا الكون، فأصبحت الدنيا وشهواتها التي كانت ستُغْرِقهم وتُوقِعهم سبباً يدخلون منها على الله، وتجعلهم قائمين به سبحانه وتعالى، فلا تعود تحولهم عن مشاهداتهم القلبية بالبصيرة بل صار بها رقيّهم من حال لحال أعلى، هؤلاء يظلون على مشاهداتهم القلبية، نفوسهم معلقة بالسمو دائمو التفكير بالله، أجسامهم بالأرض ونفوسهم سارية بالله بسياحات قلبية عَلِيَّة.

٣٤ـ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ﴾: صلاتهم: الصلوات الخمس وهن أساس كل ما سبق فإذا صلاها كما تكون الصلاة الحقة أمكنه عمل ما سبق لأنه يكون قد تذوق والذوق مرحلة بأول الشعور. لذلك يحافظون عليها

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ فِي جَنَّـٰتٖ مُّكۡرَمُونَ ٣٥ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ ٣٦ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ٣٧﴾.

ولا يضيعون عليهم وقتاً من الصلاة. لأنها السبب الذي جعلهم يصِلُونَ إلى الصلاة الدائمة.

٣٥-﴿ **أُوْلَـٰٓئِكَ فِي جَنَّـٰتٖ مُّكۡرَمُونَ** ﴾: الله سبحانه وتعالى شكور، هؤلاء في الجنات، أدخلهم الله تعالى الجنة من الدنيا.

٣٦-﴿ **فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ** ﴾: غير ملتفتين إلى شيء مما تقول وهذا شأن الكافر الذي لا يعي ما توجهه له من كلام الحق، (**مهطعين**): غير مطيعين، اجتمعوا مع الرسول ﷺ وبعد أن ساروا معه وأنعم عليهم ﷺ بأعمال وصارت لهم أحوال وأذواق خالفوا وبهذه المخالفة انقطعوا عن الرسول وهو صلى الله عليه وسلم العين التي يُرى بها وجه الله وأسماؤه الحسنى وذاته العلية، كفروا بعد إيمانهم لأنهم استصعبوا الجهاد، جهاد النفس والهوى. هؤلاء المنافقون ساروا بالبداية مع الرسول ﷺ بقوة وآمنوا، إلا أنهم غيروا وساروا برأيهم وليس بتوجيه الرسول ﷺ (**ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ**)[1].

٣٧-﴿ **عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ** ﴾: منهم من لا يلتفت إلى الحق ولا إلى الباطل، ينصرف إلى ذاتيّة نفسه مع أنه خُلق لعمل الخير. فهؤلاء لا من

---

[1] سورة المنافقون: الآية (٣).

﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ..﴾.

أهل الدنيا ولا من أهل الآخرة، أي لا يفعلون خيراً ولا يعملون شراً. يظنون أنفسهم أنهم على خير.

٣٨ـ﴿ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴾: هكذا يظنون أنهم من أهل الجنة! ويطمعون بدخولها بلا شيء! ودون جهاد الهوى وجهاد النفس! مع أنه قد جاءهم الحقّ وعرفوا كل شيء، ووقفوا عند درجة معيّنة، فما عادوا سعوا ولا عملوا والجنة بالأعمال.

٣٩ـ﴿ كَلَّآ..﴾: نحن ما تركناهم ولم نتخلَّ عنهم، ولا الرسول ﷺ تخلى ودائماً يغمرهم بأنواره لكن هم تخلوا عن الله تعالى ورسوله ﷺ. والطريق ليخلصوا مما هم فيه: ليفكروا. ماذا كانوا؟ ليؤمنوا بهذا، كيف كانوا؟ لا شيء، نطفة، حتى يتنازلوا عن كبرهم ورأيهم ويخضعوا لله والرسول ﷺ. ﴿..إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴾: من نطفة، ليفكروا بهذه النطفة، بخلقهم منها، إذا فكروا وصلوا لله، وتخلوا عن الكبر والعظمة. وهذا هو طريقهم ليرجعوا.

٤٠ـ ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ..﴾ : الذين آمنوا عن طريق كل ما أنار هذا الكون. ﴿..وَٱلْمَغَٰرِبِ..﴾: وآمنوا بربهم بالآيات الكونية الزائلة يوم القيامة هؤلاء آمنوا برب المشارق والمغارب لكن هذا لا يكفي لابد أن يكملوا إيمانهم ويؤمنوا بالرسول ﷺ ليدخلوا معه على الله. إن ما آمنوا بالرسول معنى هذا أنهم

﴿..إِنَّا لَقَـٰدِرُونَ ۝٤٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ۝٤١ فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ۝٤٢﴾.

مستكبرون عليه صلى الله عليه وسلم، آمنوا بمربي الكون لكن ما قدَّروا الرسول العظيم ﷺ ولم يتواضعوا له صلى الله عليه وسلم أو للمرشد بعده والخير والعطاء والجنات عن طريقه صلى الله عليه وسلم. إذن: الإيمان الذي آمنوا به عن طريق الكون واقتصارهم عليه دون السراج المنير، لا يفيدهم شيئاً، لأن هذه المخلوقات الكونية غير مكلفة لا تستطيع أن تري نفوسهم الأزل والقيامة ليعلموا لِمَ خلقوا ويعملوا لما شاهدوا فيدخلوا الجنان بناءً على ما قدموا من صالح الأعمال. ﴿..**إِنَّا لَقَـٰدِرُونَ**﴾.

٤١- ﴿ **عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ**..﴾: فالله سبحانه قادر على أن يبعث بدلاً منهم رجالاً أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين. إذا ظلوا هكذا لا يريدون الإيمان برسول الله ﷺ، ولا أن ينشروا كلام الله تعالى المنزل على رسوله ﷺ وينقذوا عباده. ﴿..**وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ**﴾: يظنون أنه لا يوجد أحد غيرهم لكن رب العالمين عنده الكثير من العظماء وأهل الإيمان، يبدلهم بهم.

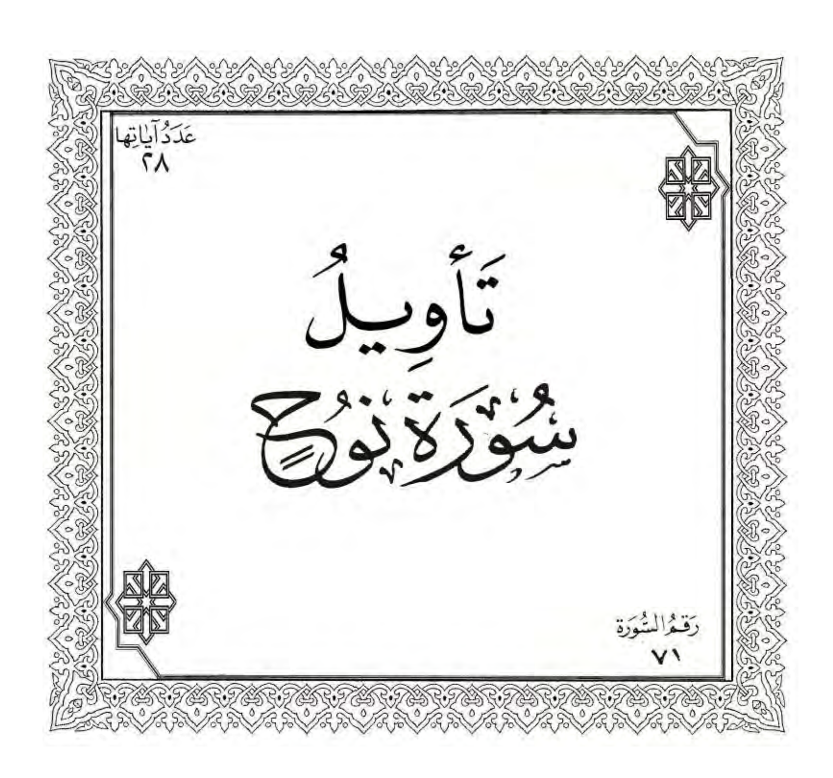
٤٢- ﴿ **فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ**..﴾: يخوضون بدنياهم. ﴿..**وَيَلۡعَبُواْ**..﴾: ملتهون بالزوجة والولد والمال يظنون السعادة بهم. ﴿..**حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ**﴾: ما شاهدوا ذلك اليوم، وُعدوا فيه: وعد فقط فلم يسعوا لليقين بالموت لترى نفوسهم الآخرة فيغدون من أهل الشهود واليقين.

﴿يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

٤٣ـ﴿ **يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا..**﴾: يوم القيامة بسرعة يخرجون ليتعالجوا من عللهم وأمراضهم وآلامهم، إسعاف سريع وهم يخرجون مسرعين لآلامهم بعد أن شاهدوا ما فعلوه وجرُّوه لأنفسهم من خسارة، وكان بإمكانهم أن يهتدوا ويهدوا غيرهم، لكن ما اهتدوا ولا هدوا غيرهم، وتركوهم يذهبون إلى النار، حالهم صعب جداً لذلك يخرجون سِراعاً: مسرعين إلى الإسعاف. ﴿..**كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ**﴾: شعورهم عندها كشعور رجل أُخذ على حين غفلة إلى خشبة الإعدام.

٤٤ـ﴿ **خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ..**﴾: انكشفت حقيقة الدنيا الدنية. ﴿..**تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞ..**﴾: حيث ضيَّعوا كل شيء وهذه جهنم تلبسهم. ﴿..**ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ**﴾: هؤلاء حالتهم أصعب شيء بالبشرية لأنهم وصلوا للنبع لرسول الله ﷺ وما آمنوا، والتفتوا عنه وعن بيانه لأنفسهم إذ وصلوا للسراج المنير ومشوا بغيره فمشوا بالظلام فكيف بدونه يبصرون؟!.




عَدَدُ آياتِها
٢٨
تأويلُ
سُورَةِ نُوحٍ
رَقمُ السُّورَة
٧١

ترتيبها ٧١ — **سُورَةُ نُوحٍ** — آياتها ٢٨

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ
عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعۡبُدُواْ
ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ
إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۖ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ
﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ﴿٥﴾ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا
فِرَارٗا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ
فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا
﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ
لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ﴿٩﴾ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ﴿١٠﴾
يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ﴿١١﴾ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل
لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ﴿١٣﴾
وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ
طِبَاقٗا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ﴿١٦﴾

وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ﴿١٩﴾ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٞ رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارٗا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا ﴿٢٢﴾ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ﴿٢٣﴾ وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗاۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلٗا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارَۢا ﴿٢٨﴾



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝١ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ۝٢﴾.

١ـ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ..﴾: صاحب الرحمة والحنان بهذا الإنسان، أرسل نوحاً عليه السلام رسولاً إلى قومه، ليخرجهم من الظلمات إلى النور والسعادة لما في قلبه من رحمة وحنان على أخيه الإنسان، سمَّاه تعالى نوحاً: من النواح والبكاء فقد كان عليه السلام دائم البكاء على قومه لشدة رحمته بهم.

﴿..أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾: الرسل والأنبياء عليهم السلام مرسلون من الله تعالى فقط للهداية ولا علاقة لهم بهذا الكون، أرسله الله تعالى لهداية الناس وإنذارهم من عذاب أليم شديد من شدته عليهم يرمون بأنفسهم إلى النار.

٢ـ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴾: أين ذلك الزمان من أهل هذا الزمان، قوم نوح عليه السلام أعمالهم لا تذكر أمام أعمال أهل هذا الزمان ومكرهم.

﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى.. ﴾.

قال لهم إني لكم نذير، رسولٌ من الله لكم، أرسلني إليكم لأنذركم، اعترفوا بأنه رسولهم ولكنهم لم يطيعوه، أما أهل هذا الزمان فإنهم لم يطبقوا ولم يطيعوا رسول الله ﷺ بما جاء به من القرآن بل اتبعوا ما ألفوا عليه آباءهم، فقد أنكروه ولم يعترفوا برسالته ولم يقبلوا بهذا الحق الذي جاء به، إذن لا مجال للمقارنة بين الزمانين.

٣ـ﴿ **أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ..**﴾: تفكروا واسمعوا كلام الله وطبقوا ما يأمركم به واتقوه، إذا طبقتم كلامه سبحانه وتعالى تصلون للتقوى، ويجعل تعالى لكم نوراً ترون به الخير خيراً والشر شراً لكن الشرط: ﴿ ..**وَأَطِيعُونِ** ﴾: لا تتكبروا عليّ، أطيعوني، التقوى بطاعتي، إن سمعتم كلامي عن الله وطبقتم صار لكم نور من الله تعالى، فقط اعبدوا الله، تفكَّروا واتقوه وأطيعوني، يؤدِّي التفكُّر إلى الإيمان، والإيمان يولِّد الخشية، والخشية تقود إلى الاستقامة والتقوى.

٤ـ﴿ **يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ..**﴾: يشفي نفوسكم بهذا النور المتوارد على قلوبكم الممزوج بالغبطة والنعيم وذلك بالصلاة، يطهِّرها شيئاً فشيئاً فتشفى من أمراضها وتصبح أهلاً للعطاء والجنات والسعادة.

﴿ ..**وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى..**﴾: يحييكم حياة طيبة إلى يوم الموت، الله تعالى رحيم بكم، إن غيَّرتم ما أنتم عليه من ضلال وطبَّقتم ما يأمركم به الله تعالى

﴿..إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٤ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ ﴾.

وسلكتم بأن أطعتم الرسول تحيون حياة قلبية سامية علوية، تغنيكم عن ملذات الدنيا الدنية، وتؤخركم عن شهوات مهلكة كنتم قبلها ستواقعونها فتخزيكم ولكن إن استجبتم لما يدعوكم إليه الرسول تنقلب هذه الشهوات معارج ومدارج لرقيكم وسموكم، والسعادة دائماً تغمركم والهناء ممازج لقلوبكم فتحيون حياة طيبة إلى يوم الموت، واعلموا: ﴿..**إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ**..﴾: إن ما سلكتم وجاء الأجل فهذا شيء مرعب، مصيركم سيكون مرعباً، جهنم لكم حيث جاءَكُم الحقّ من الله وضيعتم على أنفسكم ما كنتم ستنالون من خير وجنات وعطاءات، لأنكم ما سمعتم فما سلكتم وطبقتم القانون. بهذا نفوسكم تصبح بجهنم، لأنكم ضيعتم جاهكم الأُخروي ولا يحولكم عنها إلاَّ النار. ﴿..**لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾: إن كنتم تعلمون لا إلٓه إلا الله فآمنوا إن طبقتم وسلكتم وعرفتم قيمة إرشادي وما يأمركم الله به.

٥ـ﴿ **قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا** ﴾: تبليغ عام، كان عليه السلام وجيهاً عظيماً عند قومه بما قام به من أعمال خير عظيمة كبرى، وبهذا صار له شأن كبير ومنزلة عالية عندهم، كان يسامرهم ويناقشهم ويتحدث معهم بكلمات ربه فصارت لهم مشاعر وأحوال لكن حيث إنهم لم يجاهدوا جهاد الهوى

﴿ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيَ إِلَّا فِرَارًا ۝ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ۝ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝ ﴾.

والنفس فيؤمنوا، انقلبوا، دعاهم كثيراً ولسنوات طويلة لكن لا أمل فيهم. إن القرار إذا لم يخرج من الإنسان ولم يجاهد بنفسه ولم يصْدُق بطلب الحق فلا فائدة ولا أمل في هدايته.

٦ـ﴿ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيَ إِلَّا فِرَارًا ﴾: من الحق، فقرروا رد الحق.

٧ـ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ..﴾: أعمالهم حالت بينهم وبين سماع الحق، أعمالهم المُنكرة، كان هواهم دائماً مسيطراً على نفوسهم لذلك ما سمعوا الحق وهذا كله بسبب ما أنتجته أيديهم وأصابعهم من مقترفات محرمة، قلوبهم متعلقة بها لا يرضون بالتخلي عنها وهي مبعث أذاهم وشرورهم، وهذا الذي منعهم من سماع الحق خوفاً وحرصاً عليها. إذن ما اقترفوه في دنياهم بأيديهم "أصابعهم" وقف سداً منيعاً بينهم وبين سماع الحق وحجاباً حائلاً دون رؤية الحقيقة، وهو الوقر في الأذنين ولم يتوبوا إلى الله متاباً. ﴿..وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ..﴾: نيتهم السيئة لبستهم، فقد كانوا مولعين بهواهم. ﴿..وَأَصَرُّواْ..﴾: على إعراضهم، معرضون عن سماع الحق لا يريدون أن يسمعوا. السبب: ﴿..وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ﴾: ما آمنوا ببدايتهم، ما فكروا كيف كانوا نطفة وأنهم كانوا لا شيء، والله جعلهم شيئاً لو فكروا وآمنوا بهذا ما استكبروا.

٨ ـ﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴾: جَهَرَ بالدعوة.

﴿ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ۝٩ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ۝١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ۝١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ ..﴾.

٩ـ﴿ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ..﴾: مثل الخطابة بالجامع والمحاضرات والندوات والجلسات العامة. ﴿..وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ﴾: حسب المناسبة، أناس يريدون السماع لوحدهم، مثلما أحبوا وأرادوا، ماشاهم، دائماً متابعهم، ليلاً ونهاراً بروحانيته عليه السلام وإرشاده يسحبهم للجنات للنعيم، لكنهم لم يثبتوا وغيَّروا .

١٠ـ﴿ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ﴾: اطلبوا شفاء نفوسكم من ربِّكم، سيدنا نوح عليه السلام كان متابعهم بالحال والقال، ليحوِّلهم عمَّا هم فيه.

١١ـ﴿ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ﴾: يرسل لكم الأمطار حيث أصابهم القحط وابتلاهم الله بالشدائد لعلهم يتوبون ويعملون الخير. ينزل النعيم على قلوبهم إن سمعوا نصحه، أنتم فقط عليكم أن تعملوا أعمالاً عالية لآخرتكم لتنالوا بها الجنات والله يفتح عليكم بركات من السماء والأرض.

١٢ـ﴿ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ..﴾: تعملون بها لآخرتكم، يُمددكم بأموال ولا يفقركم لتكون مدارج لمعارج لكم بإنفاقكم لها، لكم عطاءٌ عظيم وكبير الآن في الدنيا لتنالوا به جنات بالآخرة. ﴿..وَبَنِينَ..﴾: يرسل لكم أبناء عندهم قابلية وميل للإيمان والتقوى، أتقياء يهتدون ويكملون المسيرة ويرفعون شأنكم بالآخرة إذ يكونون بصحائفكم. قال تعالى: (وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ

﴿..وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ١٢ مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ١٣ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ١٤ أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ١٥ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا..﴾.

أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖ..)[1]. ﴿..وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ.﴾: الآن في الدنيا يجعل لكم جنات، أنتم جئتم حتى لا تنقطعوا عن الله إن اتقيتم. ﴿..وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا﴾: من الخيرات المادية والمعنوية.

١٣ـ﴿ مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ﴾: إنكم تشاهدون وبأعينكم التسيير الخيِّر لهذا الكون والخلق الكامل والتنظيم الدقيق لكل ما فيه! ألا يدل على مسيّر خالق منظم؟ أفلا يجدر بكم أن توقروه وتعظموه؟! ولكنكم تظنون أنَّ لأنفسكم شيئاً، مستكبرون على الله تعالى وسائرون بالمعاصي.

١٤ـ﴿ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ﴾: خلقكم أطواراً من نطفة ثم علقة ثم مضغة وعظامٍ حتى صرتم إنساناً، كم هذا الرب له فضلٌ عليكم!.

١٥ـ﴿ أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ..﴾: لكم، من أجلكم ومن أجل معاشكم وحياتكم. ﴿..سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ﴾: متطابقة بالخير وهي فوق بعضها البعض، فسماء الشمس فوق سماء القمر وسماء القمر فوق سماء الغيوم... والكل يعمل ويدور من أجلكم.

١٦ـ﴿ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا..﴾: ألا تفكرون بهذا، من جعل لكم قمراً في السماء تستأنسون بنوره ليلاً، ألا تفكرون بفضله عليكم؟!.

---

[1] سورة الطور: الآية(٢١).

﴿..وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ١٦ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ١٨ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ١٩ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا ٢٠﴾.

﴿..وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا﴾: لو لم يجعلها لكم ما شربتم الماء، الشمس تبخِّر مياه البحار والهواء يرفعها فتتشكل سحباً، والله يسوقها لكم لتشربوا ويشرب أولادكم وتشرب أنعامكم، ما حالكم لولا الماء؟ ألا تفكرون بهذا الرب الممد لكم بالحياة؟!.

١٧ـ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾: كنتم ذرات، الأب أكل من الطعام فتشكلت النطاف ثم أودعكم في بطون أمهاتكم اللائي أكلن من ثمار الأرض ونتاجها حتى تشكلت أجسامكم خلقاً من بعد خلق.

١٨ـ﴿ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا..﴾: لابدَّ منها، علام تتكبرون؟ أتيتم لهذه الدنيا عراة وسوف تخرجون منها عراة أيضاً، فكر بالموت هل من أحد خلَّد، أفلا تموت أنت؟. ﴿..وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا﴾: مثلما جئتم ذرات يخرجكم ذرات، ولكن يوم القيامة بكلمة كن فيكون، نفخة واحدة.

١٩ـ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا﴾: ترونها منبسطة مستوية مع أنه تعالى جعلها كروية يدوِّرها بلطف منه.

٢٠ـ﴿ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا﴾: السبل: ينابيع الأنهار تأتي من الجبال وهي خزانات مؤقتة لمياه الشرب بينما جعل الله المناطق القطبية خزانات دائمية لها فتسلك المياه من الأغوار العميقة والمناطق السحيقة سبلاً لتصل إلى الجبال

﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا..﴾.

خزاناتها، فتنبع منها العيون والأنهار والينابيع وتجري إلى القرى والسهول[1].

٢١ـ﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي..﴾: لا يريدون السماع، دعاهم تسعمائة وخمسين سنة. ﴿..وَٱتَّبَعُواْ..﴾: اتبعوا أصحاب الأموال الأغنياء. ﴿..مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴾: خسارة الحياة الأبدية، مثل أهل هذا الزمان اتَّبعوا الأجانب ولم يهدوا أنفسهم ويهدوهم.

٢٢ـ﴿ وَمَكَرُواْ ..﴾ : لردِّ الحقِّ. ﴿..مَكْرًا كُبَّارًا ﴾: وبهذا الزمان مكروا أيضاً لردِّ الحقِّ.

٢٣ـ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ..﴾: ابقوا على ما أنتم عليه من عبادة، لكن هل الصنم يأتي بالخيرات، بالشمس والقمر والأمطار والثمار والخضار؟.

﴿..وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا..﴾: صنم ينشئ المودة بين الناس. ﴿..وَلَا سُوَاعًا..﴾: وهو الساعي في خيرهم وسعادتهم. ﴿..وَلَا يَغُوثَ..﴾: وقت الشدة يغوثهم.

﴿..وَيَعُوقَ..﴾: يعوق عنهم الشرور. ﴿..وَنَسْرًا ﴾: أكبر الآلهة ونسرها، هكذا ظنوا أن لهذه الأصنام حولاً وقوة: ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٢٤ـ﴿ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا..﴾: كل هذا الشيء اتَّبعوه حتى يمشوا بالضلال.

---

[1] لطفاً انظر كتاب (**مصادر مياه الينابيع في العالم**) للعلاَّمة محمد أمين شيخو.

﴿..وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلاً ﴿٢٤﴾﴾.

﴿..وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلاً﴾: أعطيتهم شهواتهم وهم يريدون المزيد من عمى قلوبهم والبعد عنك: كفاهم فسقاً وبعداً، فلا تزدهم يا رب ضلالاً إلا ما هم فيه من الضلال، وهذا من رحمته بهم عليه السلام فالموت إيقاف لضلالهم وكفرهم وعنادهم، إيقاف لشرورهم التي تكويهم بنار في الآخرة.

في مطلع السورة يحدثنا الله تعالى عن اصطفائه لسيدنا نوح رسولاً إلى قومه لينذرهم من العذاب الأليم فهل يعقل أن الله لم يكن عليماً بحال سيدنا نوح وأهليته حتى انتهت قضيته بأن يدعو عليهم بالعذاب الأليم والضلال و و... كما قيل خطأً عن دعائه عليهم. إذن: بعد أن أخبره الله تعالى: (..**أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ..**)[1]، وأن إناء نفوسهم امتلأ بحب الدنيا ولا يمكن هدايتهم أبداً ولن يزدادوا إلا آثاماً ومعاصيَ تزيدهم نيراناً وعذاباً بالآخرة، لذا بهذه الآية طلب سيدنا نوح عليه السلام من ربه التخفيف عن قومه، فقال: ﴿..**وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلاً**﴾ أي: الضلال الذي يريدونه ويطلبونه يزيدهم خسارة لذلك طلب سيدنا نوح من ربه التخفيف عنهم، قال لربه: يا رب إذا تركتهم على هواهم تزداد أعمالهم المهلكة وتزداد نيرانهم بالآخرة وهؤلاء مصرُّون على الضلال ولا نيَّة للإيمان لديهم، من طرفك يا رب أوقفهم. مثال: أحبُّ الناس للمريض إذا لم يبقَ أمل في شفائه يطلب التخفيف عنه، وقوم سيدنا نوح عليه السلام عاهدوا الله تعالى أن يأتوا للدنيا

---

[1] سورة هود: الآية (٣٦).

﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا ۝٢٥ وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝٢٦ ﴾.

ويعملوا صالحاً ولا ينقطعوا عنه، جاؤوا للدنيا وغيَّروا والله حلم عليهم، هم غيَّروا العَقْد والعهد .

٢٥-﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ.. ﴾: حقَّ عليهم الغرق، قال تعالى من أخطائهم أُغرقوا وليس من دعاء سيدنا نوح عليه السلام صاحب البكاء والنواح والرحمة على قومه.

﴿ ..فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا.. ﴾: لرؤيتها الحقيقة المرعبة لما كانوا يقترفونه في دنياهم، فانظر ماذا انقلبت عليهم؟! ﴿ فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا ﴾: المريض من يقف بطريق إسعافه إلى المشفى؟ غير الإيمان بالله لا يوجد نصير، هل أغنت عنهم آلهتهم شيئاً؟ هل أغنى عنهم أصحاب الأموال والملك في الدنيا الذين اتبعوهم؟!.

٢٦-﴿ وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾: ساكن الديار. والحقيقة أن الله تعالى أخبر سيدنا نوحاً عليه السلام كما ذكرنا أنه: (وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ)[1]. بعد أن دعاهم عليه السلام تسعمائة وخمسين سنة وبهذه السنوات الطويلة الله تعالى فحصهم، حاول بكل الأساليب والوسائل ليعودوا إلى صوابهم ورشدهم وهو لا يرضى لهم الكفر، وهو شديد المحاولة لردهم للحق طيلة حياتهم. فتبين أنهم لا يريدون الإيمان ولا نية لهم، كما أنهم أعلنوا الرفض للحق وأهله،

---

[1] سورة هود: الآية (٣٦).

﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾.

فأخبر الله تعالى سيدنا نوحاً عليه السلام بهذا وأن قومه لا يريدون الإيمان وصمَّموا على هذا ولم يبقَ عندهم إمكانية، فهو سبحانه وتعالى عليم بنفوسهم. (**فَلَا تَبْتَئِسْ**):حزنَ سيدنا نوح عليه السلام على قومه فقال له تعالى: لا تبتئس لا تحزن عليهم، لا يحل بك البؤس، قومك هم لا يريدون الإيمان. لذلك طلب سيدنا نوح عليه السلام من ربه قائلاً: ﴿..**رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا**﴾: نظر سيدنا نوح عليه السلام بقومه وشاهد ما أخبره تعالى، شاهد أنه لا أمل يُرتجى فيهم وبإيمانهم، وقد أصبحوا لا خير فيهم، فخففْ عنهم يارب صاروا قوم سوء فطلب عليه السلام التخفيف عنهم، كحال مريض قال الطبيب عنه: أنه لا أمل من شفائه فأحبُّ الناس إليه يطلبون التخفيف عنه. قوم نوح عليه السلام عقلوا الشر وامتلأ إناؤهم به ولا يريدون التغيير. إذاً علاج الدنيا لم يعد كافياً لهم، فلابد لهم من علاج آخر فعلاجهم بالآخرة، لذلك قال سيدنا نوح عليه السلام: يا رب إنهم لا يريدون الإيمان، لا يريدون إلا الشر، فلا تزد الظالمين إلا ضلالاً إذا ظلوا بهذه الحالة، لذلك أوقِفْهم يا رب عن شرورهم من هذه الحياة الدنيا بهلاكهم، رحمة منه عليه السلام بهم لكيلا يزدادوا جهنماً وجحيماً، أما بكلمة ﴿..**دَيَّارًا**﴾: أي لا تبقي لهم أثراً في أماكنهم أبداً، فبقاؤهم بالدنيا ضرر عليهم وضرر على أصحاب سيدنا نوح عليه السلام وعلى كل من سيأتي بعدهم أيضاً.

٢٧ـ﴿ **إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ..**﴾: الذين آمنوا مع سيدنا نوح عليه السلام حيث خاف عليهم أن يُفتنوا. ﴿..**وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا**﴾: فعجِّل لهم

﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾﴾.

يا رب خوفاً من أن يخرج من أصلابهم أولاد مثلهم. لو فيهم ذرة من خير لأرسل تعالى لهم أولاداً صالحين يأتيهم الخير عن طريقهم بما يقومون به من أعمال، لكن لا ذرة خير فيهم، الفاجر: يفجر على الدنيا من كفر إلى كفر، ظاهر كفره.

٢٨ـ﴿ **رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ..** ﴾: كانوا من أهل الصلاح. ﴿ **..وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا** ﴾: خسارة، الآن بالدنيا سوف يخسرون الأكثر أوقفهم يا رب، كالتاجر الذي يخسر ولن يربح يوقفونه، وهؤلاء إن ظلوا تزيدهم حياتهم تباراً أي خسارة. والتبار لغة: من التباب والبوار، أي البوار القطعي، والتباب: هو الخسران والهلاك. والبوار: لا شيء فيهم إلاَّ الفساد ومنها بارت تجارتهم، خسرت فهم إن ظلوا أحياء فارغين من الحق، فارغ قلبهم من كل خير، ولا خير يرتجى فيهم قط، مماتهم خير لهم مما هم فيه، مما يزيدهم خسارة بالآخرة وبالتالي ذل وعار ونيران. حياتهم أشد عليهم أذى من مماتهم، فهم يفسدون البشرية وفي بقائهم ضرر كبير عليهم فأوقفهم يا رب، فما دعاء سيدنا نوح عليه السلام على قومه قسوة منه ولا خطيئة إن هو إلاَّ رحمة ورأفة بهم، وقد استجاب تعالى له دعوته الرحيمة ﴿ **وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ** ﴾[1] لأنها حق ورحمة، لا خطأ فيها، أجابه بما هو خير لهم إذ خلصوا من تزايد طغيانهم.



[1] سورة الصافات: الآية(٧٥).

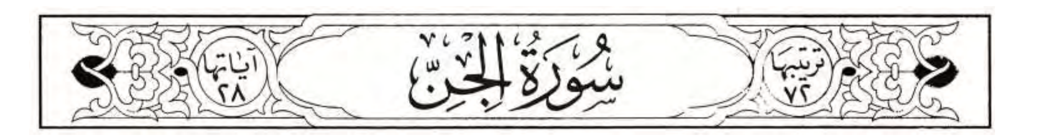

عَدَدُ آياتِها
٢٨
تَأوِيلُ
سُورَةِ الجِنِّ
رَقمُ السُّورَة
٧٢

ترتيبها ٧٢ — سُورَةُ الجِنِّ — آياتها ٢٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا
عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾
وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ
يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ
وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ
مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ
ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا
شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن
يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ
بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ
وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ
ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ
ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾

وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ..﴾.

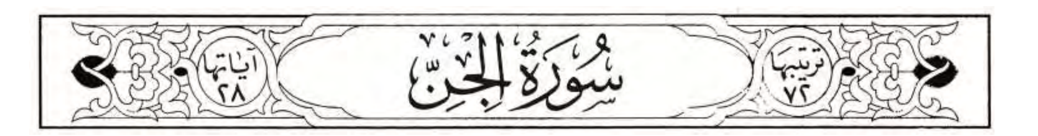
١ـ﴿ **قُلۡ..**﴾: يا محمد ﷺ، قل لأصحابك أخبرهم. ﴿..**أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ..**﴾: استمعوا منك بعد أن سيّرهم تعالى إليك، الله سبحانه وتعالى سمح لرسوله أَن يبلِّغ أصحابه عنهم، وعما جرى معهم، وكيف عالجهم الله سبحانه ليغيِّروا ما بأنفسهم • طريق الحق.

الجن مكلفون مثل بني الإنسان لهم عالمهم، عندهم كون كما لنا، شمس وقمر ونجوم، يزرعون ويأكلون ويعملون وفيهم الطائع والعاصي، ويختلفون عن الإنس أن أباهم لم يأكل من المادة، أما أبونا سيدنا آدم عليه السلام أكل من المادة فدخلت نفوسنا إلى أجسامها، أما هم نفوسهم بقيت محيطة بأجسامهم.

ليس من الجن أنبياء ورسل وإنما أنبياؤهم ورسلهم من بني الإنسان، فالرسول ﷺ للعالمين إنسها وجنِّها **(وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ)**[1]. وهؤلاء

---

[1] سورة الأنبياء: الآية (١٠٧).



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ..﴾.

١ـ﴿ **قُلْ..**﴾: يا محمد ﷺ، قل لأصحابك أخبرهم. ﴿..**أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ..**﴾: استمعوا منك بعد أن سيّرهم تعالى إليك، الله سبحانه وتعالى سمح لرسوله أَن يبلِّغ أصحابه عنهم، وعما جرى معهم، وكيف عالجهم الله سبحانه ليغيِّروا ما بأنفسهم ويسلكوا طريق الحق.

الجن مكلفون مثل بني الإنسان لهم عالمهم، عندهم كون كما لنا، شمس وقمر ونجوم، يزرعون ويأكلون ويعملون وفيهم الطائع والعاصي، ويختلفون عن الإنس أن أباهم لم يأكل من المادة، أما أبونا سيدنا آدم عليه السلام أكل من المادة فدخلت نفوسنا إلى أجسامها، أما هم نفوسهم بقيت محيطة بأجسامهم.

ليس من الجن أنبياء ورسل وإنما أنبياؤهم ورسلهم من بني الإنسان، فالرسول ﷺ للعالمين إنسها وجنِّها **(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)**[1]. وهؤلاء

---

(١) سورة الأنبياء: الآية (١٠٧).

النفر من الجن الذين جاؤوا رسول الله ﷺ واستمعوا له، لحب الله تعالى لهم ورحمته بهم أرسل لهم ما أرسل من مصائب وأمراض وهموم وفقر وعلل، بسبب سيرهم المنحرف، كل هذا من أجل أن يرجعوا إلى طريق سعادتهم ويسلكوا طريق الحق ويدخلوا جنات ربهم، عالجهم بهذا كلِّه فنفرت نفوسهم من الدنيا وشهواتها وأهملتها، رأوا أنه ليس من الدنيا سعادة، وأن ما كانوا يظنون فيه السعادة من مال وولد ونساء وفواحش إنما هو الشقاء بعينه، ويعود بالهمِّ والغمِّ على من يسير به ويقترفه، رأوا الدنيا وما فيها من غش وخداع ومكر وإجرام فقالوا لا سعادة فيها، مهما عملنا، ومهما ومهما، فإننا في الشقاء والتعاسة، وضاقت عليهم الدنيا بسبب ملائكة سيدنا محمد ﷺ وصدّها لهم في السماء ومتابعتهم في الأرض، لذلك فكروا من أين هذا المدد والعدد؟وجاؤوا رسول الله ﷺ مسالمين يريدون سماع الحق، وهكذا نرى أن فعل الله سبحانه وتعالى كله خير وسعادة لمخلوقاته، فهو سبحانه يعاملهم بأسمائه الحسنى، فعلى الإنسان أن يفكر إذا ما عالجه الله بالأمراض والمصائب والفقر ويسأل نفسه عن سبب هذا، ويعرف خطأه ويغيِّر ويرجع عن غيّه، عندها يغيِّر الله تعالى عليه ويبدله بدل مرضه صحة، وبدل فقره غنىً، وبدل ذلِّه عزّاً، وبدل شقائه سعادة. **(..إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ..)**[1].

---

(١) سورة الرعد: الآية (١١).

﴿..فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ..﴾.

﴿..**فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبًا** ﴾: سمعنا من رسول الله ﷺ كلاماً منطقياً عالياً فيه بهجة وسرور، بسماعه أثناء اجتماعنا برسول الله ﷺ تغيّر حالنا وتبدل من شقاء إلى سعادة وحياة، وذهب عنّا ما كان يؤلمنا ويعذبنا، والرسول ﷺ لديه العجائب والغرائب، فيه الجنات كلها والنعيم.

تلك الجماعة من الجن فكرت وآمنت وعظمت رسول الله ﷺ ؛ كل من فكر بالكون وآياته حتى استعظم ربه وآمن به وقدَّر رسول الله وعظَّمه فالرسول ﷺ بلطف يدخله على الله، هذه وظيفة الرسول: إدخال نفسك على الله حتى تنال من ربك، وهؤلاء النفر من الجن فكروا وآمنوا واستعظموا كلام رسول الله ﷺ ودلالته: ﴿..**فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبًا** ﴾. ذُهِلُوا وأُعجبوا بما سمعوا من بيان، وتساءلوا بإعجاب هل بهذا الزمان عظماء كهذا الرجل ﷺ؟!.

٢ـ﴿ **يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ**..﴾: هذا البيان وهذه الدلالة التي يتكلم بها رسول الله ﷺ تسمو بالمرء إلى الهدى والسعادة والفضيلة، صاروا راشدين.

﴿..**فَـَٔامَنَّا بِهِۦ**..﴾: آمنوا حال استماعهم له، آمنوا به أي بمعيته ﷺ وببيانه المنزَّل عليه، تذكَّروا وشاهدوا كيف عاهدوا الله بالأزل أنّه إنْ أرسلهم للدنيا لا ينقطعون عنه طرفة عين، وأن يقدموا من الأعمال الصالحة وأن يكونوا عوناً وخيراً لكل ما خلق سبحانه من مخلوقات. شاهدوا النهاية، ما بعد هذه الحياة وما في القبر، وشاهدوا الآخرة وما فيها من جنات لمن أطاع، ومن نار وخزي

﴿..وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا..﴾.

لمن عصى، كل هذا شاهدوه بمعيته ﷺ لذلك قالوا: ﴿..**وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا**﴾: هذا لا يكون، كل شيء منه سبحانه وتعالى فكيف نشرك به؟! بسيرنا وتطبيقنا ما أمرنا الله به على لسان رسوله ﷺ صارت نفوسنا بالجنة والنعيم والسعادة وشاهدنا ما شاهدنا فلن نشرك بربنا أحداً، صاروا مع الله وهو الوطن الدائم، تمسكوا به وما عادوا تركوه.

أما الإنسان الساكن بالدنيا وشهواتها أي: نفسه سكنت لهذا فلم تشاهد ما عند الله من جنات وأنوار ومشاهدات، هذا لا يتركه الله تعالى فإنه يرسل عليه ما يرسل من شدائد ومصائب ليرده إلى الحق ولا ينساه من فضله، على الإنسان أن يسكن بالوطن، الوطن الذي كنا فيه والذي سنذهب إليه، وهل من وطن دائم لهذه النفس غير الله سبحانه. (**حبّ الوطن من الإيمان**).

الدنيا الدنية هذه وطن المجانين، وطن من لا وطن له،قال ﷺ: «**الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا عقل له** »[1].

هؤلاء النفر من الجن آمنوا ووفُّوا بعهدهم، فصاروا مع الله مستشفعين بنفس رسول الله ﷺ مركب النجاة والدليل الموصل إلى الله.

٣ـ﴿ **وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا..**﴾: كنا نظن بالماضي ويظن الناس اليوم أن الدين أوهام! هذا الطريق الذي سلكناه والحق الذي وصلت نفوسنا إليه جدٌّ

---

(١) مسند الإمام أحمد.

﴿..مَا ٱتَّخَذَ صَـٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ۝٤ ﴾.

وليس أوهاماً وتخيلات، لأننا شاهدناه وصرنا باليقين والشهود، فبه أنوارٌ وسعادةٌ وحياة، شاهدنا الله تعالى وفضله وإحسانه علينا وعلى جميع الخلائق، فهو سبحانه المربي لنا، مَن غَيْرُه يحرِّك الكون؟ مَن غَيره ينزل الأمطار وينبت الزرع ويحرِّك ويسيِّر الأبدان؟ وهو سبحانه المعلم والمؤيد والناصر وكل خير منه. ﴿..**مَا ٱتَّخَذَ صَـٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا** ﴾: حاشاه مما قالوا عنه، كل الكائنات خلقها بكلمة "كن"، سبحانه وتعالى لا حاجة له بهم، لا حاجة له لصاحبةٍ ولا لولد، ليس كمثله شيء، فكيف تكلموا بهذا؟!.

٤ـ﴿ **وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا..**﴾: إبليس، سَفِهَ نفسه حيث تركها جاهلة وما عرَّفها بالله، عصى الله تعالى وما سار بما أمره به لسعادته، ما صار له نور يرى به الحق من الباطل، من جَهْلِهِ ظن الشر خيراً وسار به. ﴿..**عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا** ﴾: من جَهْلِهِ بالله تعالى وخبثه جاء بهذا الكلام، ودعا إليه الجهلة فسار به من لا عقل ولا معرفة له بربه، فقال: إن رسولَ الله عيسى عليه السلام وأمه إلَٰهان ليحوِّل الناس عن الله تعالى وعما أعدَّه لهم ربهم من جنات وسعادة، هو الذي أغرى المشركين بهذا، وهذا كله شطط، إبليس شطَّ كثيراً، فالله سبحانه وتعالى منذ أن خلقه من بداية الخلق وهو يعطيه ويمده وهو يطلب أكثر وأكثر والله يعطيه، ما تراجع عن غيِّه وعمَّا صمَّم عليه من نيّةٍ لإضلال الناس، فوسوس لهم أن عيسى وأمه إلَٰهان.

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ۝٥ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ..﴾.

٥ـ﴿ **وَأَنَّا ظَنَنَّآ..**﴾: بعد أن آمنا بربنا وشاهدنا فضله وإحسانه ورحمته، وبعد هذه الدلالة العظيمة التي جاء بها رسول الله ﷺ والتي بينت كلَّ الحقائق بأعماله وأقواله ﷺ. ﴿..**أَن لَّن تَقُولَ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا**﴾: الآن بعدما بيَّنَ ﷺ ما بيّن بعلومه أن المسيرة الإيمانية سوف تسير والناس سيسيرون بدلالته لأنها الحق، ظننا أنَّ الكل سيسير بالحق، وأن الباطل من دسوس وغيره سوف ينتهي، قالوا هذا لما رأوا وشاهدوا واستعظموا، قالوا هل هناك أعظم من هذا البيان؟! أما بيَّن ﷺ ببيانه كل الحقائق؟! القرآن ألفاظه من الله سبحانه وتعالى، أما الشروح والبيان وفهم المعاني فمن رسول الله ﷺ من قربه من الله أدرك ما أدرك من علوم ربه، وجاء بما لم يأتِ به أحد من العالمين [1].

٦ـ﴿ **وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ..**﴾: هؤلاء الرجال من الإنس، من بُعْدِهم عن الله انحطوا، صاروا أحطَّ من شياطين الجن، مع أن الإنس أعلى مرتبة من الجن. ﴿..**يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ..**﴾: بدل أن يهدوهم إلى الحق وينقذوهم ذهبوا معهم بالانحطاط والانهيار، فصاروا مثلهم وأقلَّ منهم.

---

(١) كذلك فضيلة العلاَّمة الإنساني الكبير محمّد أمين شيخو قدَّس الله سره من قربه من الله أدرك ما أدرك من علوم. أما بيَّن معنى أحرف أوائل السور؟! أما بيَّن الفاتحة ومعناها؟! ومن بيَّن معاني ألفاظ النار وجهنم وسعير واللظى ومعاني ألفاظ القرآن كلها؟!: ﴿ **لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا** ﴾ سورة الأحزاب: الآية(٢١).

﴿..فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦ وَأَنَّهُمْ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمْ..﴾.

ظنوا أَنَّ لهم حولاً وقوة، وسوف يعطونهم الخوارق ليتكبروا على بني جنسهم ويستعلوا عليهم، وأنهم سوف يُخرجون لهم الكنوز من الذهب والأموال ويعطونهم إياها فساروا معهم. ﴿..**فَزَادُوهُمْ رَهَقًا** ﴾: زادوهم رهقاً فوق رهقهم، زادوهم شقاء وضيقاً وهمّاً، فوق شقائهم أهلكوهم، أشعلوا النار بنفوسهم لذلك تراهم لا يستطيعون نوم الليل. يأخذون مددهم من الشياطين وجعلوهم كالمجانين. فاحتقرهم الناس ونفروا منهم ومن أعمالهم وروائحهم وما يرتكبون من فواحش ظاهرة وخفية، هؤلاء هم إخوان الشياطين.

٧ـ﴿ **وَأَنَّهُمْ ظَنُّواْ**..﴾: هذا هو السبب الذي جعلهم يكفرون ويسيرون بالانحطاط والأذى والفواحش، ظنوا أن الله تعالى لا يحاسبهم فلا آخرة ولا حساب ولا عقاب، لا جنة ولا نار، قالوا: إذن الدنيا هي كل شيء وفيها السرور (البسط والكيف) والسعادة، فساروا بالانحطاط وارتكاب الفواحش والإجرام، حيث لا حساب ولا عقاب بظنهم. ﴿..**كَمَا ظَنَنتُمْ**..﴾: أي كما كنتم تظنون أنتم سابقاً، هؤلاء النفر من الجن الذين جاؤوا رسول الله ﷺ هكذا كان ظنهم بالسابق قبل أن يجتمعوا به ﷺ.

﴿..أَن لَّن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ أَحَدٗا ۝٧ وَأَنَّا لَمَسۡنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدۡنَٰهَا مُلِئَتۡ حَرَسٗا شَدِيدٗا وَشُهُبٗا ۝٨﴾.

﴿..أَن لَّن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ أَحَدٗا﴾: لا بعث ولا حساب ولا عقاب، وبهذا الظن صارت الدنيا جنَّتهم وكل مبتغاهم، ظنّوا هذا الظن لأنهم ما فكروا بالآخرة وبالموت حتى تخاف نفوسهم فيستطيعوا التفكير بنعم الله وبآيات الله من ثنايا صنعه العظيم، لذلك بعدم تفكيرهم أنكروا البعث، كذلك ظنوا أن الله سبحانه وتعالى لن يرسل عظماء بهذا الزمان يكشفون دجلهم، لذلك صالوا وجالوا بالباطل، وكذلك أهل الباطل أمثالهم من الإنس فعلوا.

٨ ـ﴿ وَأَنَّا لَمَسۡنَا ٱلسَّمَآءَ..﴾: قبل أن نأتي لمجلس رسول الله ﷺ لمسنا السماء، كنا نصعد إليها بأجسامنا مع نفوسنا، الصعود لأجل أن يسمعوا الكلام الذي تتلقاه الملائكة لوظائفهم مع البشر وما سيعملوه غداً من حضرة الله سبحانه، كان ذلك قبل مجيء رسول الله ﷺ صعدوا إلى السماء بأجسامهم ونفوسهم ليتمكنوا من السماع وهؤلاء انتحاريون. ﴿..فَوَجَدۡنَٰهَا..﴾: بعد ظهور الرسول ﷺ. ﴿..مُلِئَتۡ حَرَسٗا شَدِيدٗا وَشُهُبٗا﴾: بظهوره ﷺ جاءت معه ملائكة كثيرة مرافقة له لا يعلم عددها إلا الله، وهؤلاء الملائكة معهم شهب لذلك فالشياطين لا يتجرؤون ولا يستطيعون الصعود إلى السماء، كُبِتُوا وحوصروا، والذي يصعد ويتمكن من سماع قولٍ يرسل الله تعالى عليه شهاباً فيحترق ويموت.

﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِيَ..﴾.

٩ـ﴿ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ..﴾ : بالسابق قبل ظهوره ﷺ كانوا أحراراً، وسوقهم رائجة هم والسحرة أمثالهم، فصالوا وجالوا ولم يحسبوا حساباً لأحد. ﴿.. فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ..﴾ : الآن بعد أن جاء هذا الرجل العظيم رسول الله ﷺ وجاء معه هذا الكَمُّ الكبير من الملائكة، فالذي يحاول لا يستطيع بل ويُقضى عليه، وقد صاروا ملاحقين من الملائكة ومضغوطاً عليهم . ﴿..يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴾ : ينزل عليه شهاب فيحرقه، عرفوا أن الموت مصيره حتماً، السبب في صعودهم إلى السماء أن الأوامر الإلۤهية تتنزل على الملائكة كل يوم من حضرة الله تعالى: افعلوا كذا وكذا، ويخبرهم بأنه سيحدث كذا وكذا، فإذا سمع الشياطين ما سيحدث؛ بعدها يذهبون إلى أعوانهم السحرة ويخبرونهم عما سمعوا فينشرها السحرة بين الناس ويعتقد الناس بهم وبعلمهم الغيب، وبهذا الاعتقاد يضلون الناس، والله يقول: (..وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا)[1]. لذلك يرسل عليهم شهباً فتحرقهم.

١٠ـ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِيَ..﴾ : بالماضي قبل أن نأتي لرسول الله ﷺ لا ندري لماذا أرسلنا الله تعالى إلى الدنيا، ولِمَ خلقنا وخلق هذا الكون العظيم والحكمة من

---

[1] سورة الكهف: الآية (٥١).

﴿..أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ۝ ﴾.

خلقه، ولِمَ الصلاة والصيام والحج، كانوا لا يعرفون شيئاً عن هذا، وعندما سمعوا الهدى من رسول الله ﷺ آمنوا وعرفوا الحق. ﴿..**أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ**..﴾: إن ظلُّوا مصممين على ما هم عليه من ضلال وطغيان وعدوان وكفر، فهذا السير يجرُّ لهم الشقاء والشر، هذا الشقاء منهم وليس من الله سبحانه وتعالى، فالله كتب على نفسه الرحمة وكتب عليهم السعادة وخلقهم من أجلها ومن أجل أن ينالوا من جناته وعطاءاته، لكن هذا الشقاء هم كتبوه على أنفسهم بأعمالهم الخبيثة وأعمالُهم عادت عليهم.

«**..أعمالكم عمالكم..**»[1].

﴿..**أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا** ﴾: إن تراجعوا عن ضلالهم وطغيانهم ورجعوا إلى الله وغيَّروا ما بأنفسهم، وطبَّقوا كلامه وساروا بدلالته المنزلة على رسوله والذي يدلُّهم على الفضيلة والسعادة، فالله سبحانه وتعالى يبدلهم بدل الشقاء سعادة، وبدل الفقر والذل غنىً وعزاً، وتصبح الأرض جنة، ويعيشون بسعادة وأمان وينالون الخيرات منه سبحانه وتعالى.

١١ـ﴿ **وَأَنَّا**.. ﴾: نحن الجن. ﴿..**مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ**..﴾: أتقياء صالحون للعطاء الإلٰهي. ﴿..**وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ**..﴾: ما دون الأتقياء. ﴿..**كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا** ﴾: يتبعون طرائق متعددة مثل عالم الإنس، عندهم طرائق كثيرة كما عند الإنس.

---

(١) رواه الطبراني.

﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ۝٢٧ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ..﴾.

٢٦ـ﴿ **عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ**.﴾: قال لهم ﷺ: هو سبحانه وتعالى يعلم الغيب؛ أنا لا أعلم متى وقوعها لكن أعرف أشراطها، وأشراطها وقعت الآن، لكن وقوع الساعة لا يعلمه إلا الله: ﴿..**فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا** ﴾.

٢٧ـ﴿ **إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ**..﴾: الله تعالى يخبر رسوله إن شاء والرسول ﷺ يبلغ أصحابه "إن كانوا مؤمنين". ﴿..**فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا** ﴾: لا يستطيع أحد لمس الرسول بضرٍّ وكل ما قيل عنه ﷺ من أنه ضُرب وأهين وعُذِّب لا أصل له، إذ أن معه ﷺ مرافقة رهيبة من الملائكة، وهو طاهر سائر على أمر الله فلا سلطان لأحد عليه أفراداً وأمماً، وهو ﷺ كما قال عمّه العباس لمؤمني المدينة: **(هو في عزّ من قومه ومنعة في بلده)**، وقول العباس بن عبادة: (**هل تدرون علام تبايعون رسول الله ﷺ ؟ قال : إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس..**)[1]. فكيف يقولون دجَلاً أنه أهين وأذلَّ في الطائف وفي المسجد الحرام؟!! دسوس شيطانية لا أصل لها.

٢٨ـ﴿ **لِّيَعۡلَمَ**..﴾: رب العالمين، الله يعلم كل شيء لكن هنا الاختيار للإنسان، قد يغيِّر هذا الإنسان طريق الحق ويسلك طريقاً ثانياً. ﴿..**أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ**..﴾: الله حافظٌ رسله ولا أحد يستطيع منعهم عما جاؤوا من أجله، وكذلك

---

[1] السيرة النبوية لابن هشام، المجلد الثاني.

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعۡجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَن نُّعۡجِزَهُۥ هَرَبٗا ١٢﴾.

لكن هذه الطرائق كانت قِدداً بظهور رسول الله ﷺ وببيانه العالي العظيم قددت كلها ولم يبقَ لها داعٍ، انتهت ولم يبقَ إلا القرآن.

بوجود رسول الله ﷺ من يحق له أن يجتهد ويأتي بطريقة أو بشيء غير الهدى المنزل عليه ﷺ؟! الذي يجتهد ويأتي بشيء من رأيه معنى هذا أن كلام ربه ورسوله ما أعجبه وأنه غير عابئ به.

إذن بظهور هذا البيان قُدَّت كل الطرق وانتهت ولم يبقَ لها داعٍ، وليس لأحد أن يأتي بشيء غير الذي جاء به رسول الله ﷺ من حضرة الله تعالى.

١٢ـ﴿ **وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعۡجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلۡأَرۡضِ..**﴾: بالماضي كانوا قبل ظهور الرسول آخذين حريتهم، لكن بظهوره ﷺ صاروا ملاحقين كالمجرمين لا يستطيعون الصعود إلى السماء، وفي الأرض البلاء والألم والشقاء والمصائب تأتيهم من كل الجهات[1].﴿ **..وَلَن نُّعۡجِزَهُۥ هَرَبٗا** ﴾: مهما هربنا سوف نموت ونرجع إليه سبحانه وتعالى، لذلك عندما فكَّروا بهذا قرروا الرجوع إلى الله وسلوك طريق الهدى، وأحبوا أن يعرفوا من أين يأتيهم هذا البلاء، لذا ذهبوا لمجلس رسول الله ﷺ مسالمين لا نية سوء لهم طالبين الحق والحقيقة، وعندما

---

[1] كمثل أهل هذا الزمان، الأمراض والزلازل والبراكين والأعاصير كل يوم تصيبهم وتخرب مدنهم، حتى الأوبئة والأمراض نزلت بالحيوان كأنفلونزا الطيور وجنون البقر وأنفلونزا الخنازير، والسماء ضدهم لا تجود عليهم إلا بما يعكّر عليهم صفو حياتهم من صقيع أو طوفان أو صواعق، وكذلك الأرض ضدهم والألم والشقاء والضيق والحروب في كل مكان، والبلاء يزيد.

﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ..﴾.

سمعوا عرفوا كل شيء وعرفوا أنَّ ما يأتيهم سببه أعمالهم، هم جرُّوه لأنفسهم وأعمالهم عادت عليهم فغيَّروا وغيَّر الله عليهم. فالله سبحانه وتعالى لرحمته بهم وعطفه عليهم شدد كثيراً عليهم، وبهذا التشديد تركوا الدنيا وشهواتها وطريق الضلال عندها سبحانه هداهم لرسوله ﷺ.

١٣ـ﴿ **وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ..**﴾: من رسول الله ﷺ. ﴿**..ءَامَنَّا بِهِۦ..**﴾: سلكنا طريق الحق، أعطينا الطريق حقّه كلياً فاهتدينا وآمنا بربنا. ﴿**..فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ..**﴾: الذي يؤمن الإيمان الحقيقي ويتقي. ﴿**..فَلَا يَخَافُ بَخْسًا..**﴾: لا يخسر، بل بالعكس يربح، ودائماً بازدياد. ﴿**..وَلَا رَهَقًا**﴾: لا نفسياً ولا جسدياً، بل بالسعادة والصحة دائماً، بالنور والسعادة والجنة وبالمكاسب، وهكذا نرى غير المؤمن معذَّب النفس ممتلئاً بالأمراض والعلل لا يعرف السعادة محروماً منها، دوماً يشكو دهره.

١٤ـ﴿ **وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ..**﴾: الذين استسلموا لله رب العالمين بما شاهدوا من أسمائه الحسنى ورحمته وعدله وعطفه، ثم سلَّموا أمرهم لرسول الله ﷺ وأصبح سراجاً لهم، فصاروا إنسانيين بما كسبوا من فضائل وبما اشتقوا من أسمائه تعالى الحسنى، الكل يأنس بهم ويطمئن لهم. وهكذا نرى أن الله سبحانه وتعالى هو الذي يبدل صفات هذا الإنسان من قسوة إلى رحمة، ومن بخل إلى

﴿..وَمِنَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ..﴾.

جود، ومن ظلم إلى عدل، وكل هذا يحدث بالصلاة، والعمل الصالح نتاج الصلاة، فالمؤمن هو الذي يعمل الصالحات لأنه يصلي، وإذا لم يصلِّ الإنسان ولم يشاهد ربه وفضله عليه فكيف يعمل؟.

الشياطين عندما فكروا آمنوا، الإيمان والهدى سعي من الإنسان ذاته، فالله تعالى يقول: (**إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ**)[1].

لمن شاء: أي لمن طلب، فكل من طلب الهدى هداه الله وأرشده، أما الذين ما سلكوا وما طبقوا يقولون بأفواههم ما ليس بقلوبهم، يتظاهرون أمام الناس بالصلاة ويتكلمون زخرف القول، والله يشهد ما في قلوبهم.

المؤمن الذي عرف ربه كلامه كله حق وخير، المؤمن لا يمزح إلا أن يكون له غايةٌ وهدفٌ وكسب أخروي، وبمزحه يجمع ولا يفرِّق.

﴿..**وَمِنَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ**..﴾: المائلون عن الحق، هؤلاء قاسوا الحق على ميزان آبائهم وأجدادهم تقليداً، وما ورثوه من تركة لا خير في معظمها، تراهم إن سُئلوا يرجعون إلى أقوال الآباء، هجروا القرآن، حفظوه للتغني والتفاخر والتعالي على بعضهم ولم يعملوا بهِ، معاندون للحق ومصممون على معاندتهم، كل هذا لأجل شهواتهم وارتكاباتهم المنحطة، (**ٱلۡقَٰسِطُونَ**): خانوا عهدهم الذي

---

(١) سورة التكوير: الآية (٢٧ـ٢٨).

﴿..فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوْاْ رَشَدٗا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبٗا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا ﴿١٦﴾ ﴾.

عاهدوا الله عليه ألا يسيروا إلا على كلامه وهديه، وبخيانتهم قست قلوبهم، وبهذه القسوة صاروا يسطون على بعضهم البعض على الأموال والأعراض، كل هذا لأنهم ما سمعوا كلام رسول الله ﷺ ولم يسلكوا طريق الحق والإيمان الذي دلَّهم عليه، وهو التفكير بالموت وبالكون حتى يصلوا إلى الشهود. ﴿..فَمَنْ أَسْلَمَ..﴾: لله، سمع كلامه وطبق. ﴿..فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوْاْ رَشَدٗا ﴾: بإيمانهم يشاهدون ويسمعون ما يتلوه الله تعالى على رسوله من أنوار وتجليات قدسية، فيؤمنون ويصبحون خلفاء راشدين يدلّون قومهم.

١٥ـ﴿ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبٗا ﴾: بأعمالهم الخبيثة.

١٦ـ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ..﴾: هؤلاء النفر الذين آمنوا عن طريق رسول الله لما حضروا مجلسه ﷺ، لكن بعد فترة من إيمانهم شاهدوا أن الذين ساروا من قبلهم من الإنس ضعفاء ولم يؤمنوا ويسعوا إلى الإيمان الحقيقي من ذاتهم، فتأثروا من ضعفهم وضعفوا معهم. إذ توقفوا عن الجهاد، جهاد النفس والهوى وانتكسوا، لو ظلوا مستقيمين ولم يضعفوا: ﴿..لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا ﴾: ماء الحياة، ماء المتقين، ماء للقلوب منه السعادة والشفاء والهناء والجنات، وهذا الماء لا يجدونه إلا عند الأنبياء والمرسلين.

﴿لِّنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَمَن يُعۡرِضۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِۦ يَسۡلُكۡهُ عَذَابٗا صَعَدٗا ﴿١٧﴾﴾.

١٧ـ﴿ لِّنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِ..﴾: به يُفتن ويتحول عن الدنيا وشهواتها وانحطاطها وما فيها من لذائذ فيها الشقاء. به يترك الدنيا بما في هذا الماء القلبي من نعيم وسعادة وحياة. الصلاة فيها لذَّة. الذين لم يشربوا منه أصبحوا كلاباً، كلاب الدنيا متكالبين عليها: «**الدنيا جيفة فمن أرادها فليصبر على مخالطة الكلاب**»[1]. ﴿..وَمَن يُعۡرِضۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِۦ..﴾: أعرض عن ربه ورسوله ﷺ، الله سبحانه وتعالى أرسل له دلالة عالية توصله للسعادة فما سار عليها وأعرض، حب الدنيا رأس كل خطيئة، من أجل الدنيا وشهواتها أعرض عن ربه فصار مجرماً يقتل ويسرق ويرتكب الفواحش ويتعدى على الأعراض والأموال، وبهذا فهو دائماً خائفٌ من الموت وقلبه خالٍ من السعادة. ﴿..يَسۡلُكۡهُ..﴾: كما يريد، الاختيار له، هو أعرض وصمم على إعراضه. ﴿..عَذَابٗا صَعَدٗا ﴾: هذا العذاب الذي يصيبه سببه صدوده عن الحق، وبما أنه صد الحق وأعرض عن ذكر ربه صار عمله دنيئاً وسيرجع عليه (**خذ من الدنيا ما شئت وخذ بقدره همّاً**)، كل هذا العذاب رحمة من الله بهذا المعرض ليعود لجادة الصواب.

الشدائد حتى تخرج الدنيا من القلب ولأجل أن يرجع الإنسان إلى السعادة، هذه هي الغاية من إرسالها، وهؤلاء الجن كانوا مصممين على إعراضهم لكن بهذه الشدة عادوا للحق ورجعوا إلى جادة الصواب.

---

[1] كنز العمال ج٣ رقم/٨٥٦٤/.

﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ١٨ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ..﴾.

١٨ـ﴿ **وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا** ﴾: نفوسكم لله، النفس في حال سجودها لله تسمّى مسجداً، هذه النفس لله فقط فلا تضعوا بقلوبكم غير الله ورسوله ﷺ، الرسول دائماً مع الله، لا ينقطع عنه طرفة عين، إن أحبه الإنسان ووضعه بقلبه صار بالتبعية مع الله، فلا تتحولوا عنه ﷺ ولا تعلّقوا نفوسكم بغيره، على الإنسان أن لا يعلّق نفسه بالمعرضين وأن يتعلق بالذين لا ينقطعون عن الله.

١٩ـ﴿ **وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ..**﴾: رسول الله ﷺ عندما قام بالدعوة إلى الله. ﴿..**كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ..**﴾: قامت بوجهه الكرة الأرضية، لا يريدون الحق ولم يبقَ أحد معه. قول عمه العباس لأهل المدينة عندما دعوا الرسول الكريم إلى المدينة المنورة:

(إن محمداً منّا حيث قد علمتم.. فهو في عز من قومه ومنعة في بلده، ... فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه، ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك، ... فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده. قال : فقلنا له: قد سمعنا ما قلت).

وقول العباس بن عبادة:

(هل تدرون على ماذا تبايعون رسول الله؟ قالوا: نعم؛ قال: إنكم تبايعونه

﴿..لِبَدًا ۝١٩ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٠ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ۝٢١﴾.

على حرب الأحمر والأسود من الناس..)[1] وهذا شيء عجيب أن يكون الكل ضده وضد الحق.

لما سمعوا الهدى من رسول الله ﷺ قاوموا ظناً منهم أنهم إن ساروا بالحق سيحيف الله تعالى عليهم، فكادوا له وقاموا بتدبيرات لمنعه ـ كلام الله ـ وللنيل منه ﷺ.﴿ لِبَدًا ﴾: أي جميعهم وقفوا ضدَّه.

٢٠ـ﴿ **قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي..**﴾: بغير القرآن ـ كلام الله ـ لا أسير، ولا أتكلم إلا بالقرآن وبما يأمرني ربي. قوله ﷺ: «**..والله لو وضعوا الشمس في يميني، و القمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله، أو أهلك فيه، ما تركته**»[2]. وكان ﷺ كلامه القرآن. ﴿..**وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا** ﴾: قل لهم أنا لا أشرك بربي أحداً فكيف يجعل سبحانه وتعالى لهم سلطاناً عليّ، كيف يُمكِّنهم مني وهو سبحانه الفعَّال بيده كل شيء، أنتم بيده وأنا بيده ولم أشرك به ولا بكلامه أحداً، أنا سائر على هديه فلا سلطان لهم عليّ ولا يُمكِّنهم مني، هذا لا يكون. قال ذلك لعمّه أبي طالب حين ساوموه بالدنيا.

٢١ـ﴿ **قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا** ﴾: لو آمنوا بالله لما قال لهم ﷺ هذا الكلام، لو آمنوا لتعهدهم الله ورسوله ﷺ، الله تعهد المؤمنين، غير المؤمن

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام المجلد الثاني.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ـ المجلد الثاني.

﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ..﴾.

لم يتعهده بالحفظ ، المؤمن يطبق كلام ربه ، غير المؤمن يسمع بأذنه فقط ، يقرُّ بأنه منطق عالٍ لكنَّ نفسه لا تسمع ، لذلك قال لهم ﷺ الله سبحانه أعطاكم الاختيار فهل تسمعون دلالته أم تسمعون من الذين أشركوا وكفروا ؟.

٢٢ـ﴿ **قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ..**﴾ : أنا لا أسير معكم على ضلالكم ولا أسمع كلام عَبَدَة الأصنام ، لا أسمع من أحد غيره سبحانه ، إذا سمعت منكم فالموت آتٍ ولا بد منه وسوف أموت وأذهب لربي ، فهل تستطيعون أن تدفعوا عني شيئاً مما سيصيبني إن فعلت؟. ﴿..**وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا** ﴾ : لا أتحد مع غيره سبحانه وتعالى.

٢٣ـ﴿ **إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ..**﴾ : أنا أبلغكم كلام الله. ﴿..**وَرِسَٰلَٰتِهِۦ..**﴾ : التوراة والزبور والإنجيل كلها بالقرآن. ﴿..**وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ..**﴾ : أنتم تعلمون نتائج العاصي. ﴿..**فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا** ﴾ : هم يرمون بنفوسهم إلى النار ليخلصوا من نار جهنم التي بنفوسهم ، هم بذاتهم يخلدون فيها حيث يتحولون عما في نفوسهم من نار حسرة وندامة وعار.

٢٤ـ﴿ **حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ..**﴾ : عند الموت والبلاء أو بوقوع الساعة. ﴿..**فَسَيَعْلَمُونَ..**﴾ : سيشاهدون ما عملوا ويعلمون أن كل ما خلق الله من

﴿..مَنۡ أَضۡعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ۝٢٤ قُلۡ إِنۡ أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٞ مَّا تُوعَدُونَ أَمۡ يَجۡعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا ۝٢٥﴾.

مخلوقات جاؤوا وأدّوا وظائفهم إلاَّ هم. ﴿..مَنۡ أَضۡعَفُ نَاصِرًا..﴾: صاروا أذلاء حقراء فمن سينصرهم. ﴿..وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾: أقلُّ عدداً بالعالمين مما خلق الله، لأن كل ما خلقه سبحانه من المخلوقات لم ينقطع عنه وهم انقطعوا عن الله، فالكلب خير من الكفار. الحيوان جاء إلى الدنيا وأدَّى وظيفته وهم خانوا، لذا فالنار عليهم فقط.

٢٥ـ﴿ قُلۡ إِنۡ أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٞ مَّا تُوعَدُونَ..﴾: بالنصر، وبالساعة، الآن أشراطها وقعت ولم يبقَ إلا حدوثها كما حدث مع الأقوام الماضية؛ قوم سيدنا نوح والطوفان وقوم سيدنا لوط وكيف جعل عاليها سافلها، وقوم فرعون لما قاوموا الحق أغرقهم بالبحر، وغيرهم من الأقوام السابقة[1]. ﴿..أَمۡ يَجۡعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا﴾: يتأخر النصر لكن لابد منه، فالله تعهد لسيدنا عيسى عليه السلام بأنه سيجعل المؤمنين الذين يتبعونه فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة كما بالآية الكريمة: (إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ)[2].

---

[1] وكذلك أهل هذا الزمان وما يرتكبونه من فواحش وقتل وإجرام وربا ولواط فسوف تأتيهم الساعة وما سيصيبهم فيها أدهى وأمرُّ من كل ما مرّ بالأمم السابقة.

[2] سورة آل عمران: الآية (٥٥).

﴿..وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ٢٨﴾.

أصحابهم محفوظون بهم لا أحد يستطيع لمسهم ما داموا على استقامتهم. ﴿..**وَأَحَاطَ**..﴾: رب العالمين. ﴿..**بِمَا لَدَيۡهِمۡ**..﴾: وهذه وظيفة الرسل والأنبياء فالعلوم التي أخذوها ونالوها من حضرة الله يعلِّمونها ويمنحونها للبشر. ﴿..**وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا**﴾: لكل إنسان ما سَمِع وطبَّق، وماذا عمل ونال، وعمله محفوظ عنده سبحانه وتعالى.




عددُ آياتِها
٢٠
تأويلُ
سُورَةُ المُزَّمِّلِ
رقمُ السُّورَة
٧٣

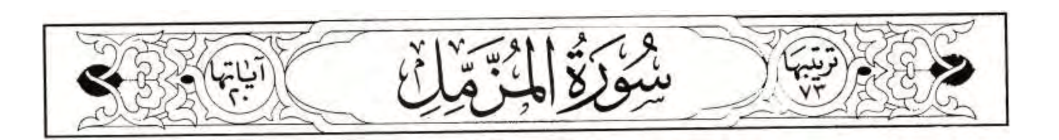
سُورَةُ المُزَّمِّلِ

ترتيبها ٧٣ آياتها ٢٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾

۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ
ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ
عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ
وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ
يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ
ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ
عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ ﴿٢٠﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝١﴾.

١ـ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴾: الرسول ﷺ بعدم انقطاعه عن حضرة الله وإقباله العالي الذي لم يبلغه أحد أحب الله حبّاً كبيراً فاق به الخلائقَ جميعها، وبحبه لربه أحب خلقه وأحب أن يزاملهم لإنقاذهم من الظلمات التي أوقعوا أنفسهم بها إلى النور والجنات والسعادة، وينقذهم ويخلصهم من الشقاء والآلام التي حلّت بهم جرّاء انقطاعهم عن حضرة الله، فكلمة (الْمُزَّمِّلُ): هي صيغة المبالغة لاسم الفاعل مشتقة من الفعل زَمَلَ:

يقال زمل فلاناً زملاً، أي عادله وأردفه وتبعه، وزمل الشيء رفعه وحمله فهو زميل، ومنها زميل الكلية أو زمالة وهي درجة علمية ينالها طالب الشهادة من الكلية، والزميل هو الرفيق والرديف بالعمل والسفر، وعلى هذا فالرسول ﷺ لمن تبعه رديف يرفعه إلى الله ويحمله بنفسه فيصبح في كنفه ومن صَحْبِه الكرام، فهو ﷺ زميل وشفيع ودليل إلى الله وبالله، والله بهذه السورة يخاطب رسوله بقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴾: هو ﷺ طلب زمالة الخلق

﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢﴾.

وصحبتهم للنهوض بهم للأنس والإنسانية ونوال الخيرات من الرحمن الرحيم بمعيته وزمالته، والله سبحانه وتعالى وجد عند رسوله اللهفة والرحمة والحنان على الخلق لإخراجهم من الظلمات إلى النور، وجده صادقاً بطلبه، لذا تجلى عليه التجلي الأعظم وجعله زميلاً لهم وباباً له سبحانه وتعالى ليسمو بهم إلى عليين. فخاطبه الله تعالى بهذا الخطاب: يا من أحببت أن تكون زميلاً وشفيعاً لعبادي بنفسك الطاهرة المزدانة بالقدس وبأكاليل النور الساطع، وأن تكون لهم سراجاً منيراً يرون بنورك جناتي وأسمائي العلية، يا رحيماً بعبادي ورؤوفاً بهم. الطريق لهذا:

٢ـ﴿ **قُمِ**..﴾: قم لله وانهض بهم إليَّ. ﴿..**ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا** ﴾: لكن لِمَ قيام الليل لرسول الله ﷺ؟ القيام لأجل العالمين، لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وليحارب شياطين الظلام، والله هو المعطي وهو ﷺ القاسم بما يمده الله من عطاءاته ثم يمددهم ﷺ بما يتلوه عليهم من كلام الله العظيم، أنت يا رسولي تريد أن تغمرهم بالأنوار والجنات والسعادة، ولتحقيق طلبك عليك قيام الليل حتى أرسل لك القرآن ويتنزل عليك هذا البيان من أجلهم حتى يهتدوا. فقبل نزول القرآن الكريم على رسول الله ﷺ لم يهتدِ أحد لكن بعد نزول القرآن اهتدى به ﷺ، واهتدت بهديه الخلائق فآمنوا معه وصاروا علماء حكماء. وحتى الرسل والأنبياء عليهم السلام ازدادوا سمواً وعلواً بهديه وبيانه

﴿نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلاً ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلاً ۝٤﴾.

بما أشهدهم ﷺ من أسماء الله وجناته ومعانٍ لكلماته تعالى ما كانوا ليبلغوها لولاه. لأن الإسراء والمعراج تمَّ بقيام الليل، فقيامه الليل حتى يتنزل عليه القرآن الكريم من أجل الخلائق ومن أجل أصحابه الكرام الذين كانوا ببداية مسيرهم ولا يعرفون التوجه إليه، لذلك بقيامه ﷺ الليل ـ حيث لا مشاغل ولا أحد عنده ـ يكون متفرغاً عليه السلام لنفسه ولغيره فيما بعد، نهاراً: حسب الآية الكريمة بعدها: ﴿ **إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحًا طَوِيلاً** ﴾[1].

٣ـ﴿ **نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلاً** ﴾[2]: من نصف الليل.

٤ـ﴿ **أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ..**﴾: حسب المناسب. فالليل صيفاً يكون قصيراً جداً عكس ليل الشتاء يكون طويلاً فقيامه الليل على حسب الظروف من مرض أو مشاغل أو سهر وبسبب نقصان وزيادة الليل صيفاً وشتاءً.

﴿..**وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ..**﴾: نهاراً على أصحابك بعد قيام الليل ونوالك الخيرات في قيام الليل. ﴿..**تَرۡتِيلاً** ﴾: آية بعد آية حتى يفكروا بها، للفهم والعقل، فالرسول ﷺ

---

[1] سورة المزمل: الآية(٧).

[2] وهذه بشرى من الله لرسوله ﷺ، فكما أنه يوجد ظلمات للعين يوجد ظلمات للقلب، وكما أن هناك شمس للصورة وتزول، فهو ﷺ شمس للحقيقة الباقية، والله ينظر للقلوب، وطلبه ﷺ هداية القلوب، وهو ﷺ أتى ليزيل ظلمات القلوب بنور الله الدائم بالبرزخ والآخرة والأبد، أما نور العين فإنه يزول بالموت، وهو ﷺ قدَّم وأعطاه الله كما قدَّم، والحقيقة لولا مقاومة اليهود والنصارى لساد الإسلام العالم، فهذه بشرى من الله تحققت، ولأنه ﷺ رحمة للعالمين.

﴿إِنَّا سَنُلۡقِى عَلَيۡكَ قَوۡلاً ثَقِيلاً ۝ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ..﴾.

كان يعطيهم قدر صفحة من القرآن بدرس الجمعة يتدارسون ويفكرون بها من الجمعة إلى الجمعة يعيشون بها وبأحوالها، ثم يأتي الدرس والرسول ﷺ يشرح لهم المعاني وهكذا أُنزل القرآن في قلوبهم. فعلى الإنسان أن يقرأ بصلاته في الركعة الواحدة آيتين أو ثلاث أو سورة قصيرة حتى يستطيع أن يفكِّر فيها ويتعرف إلى معانيها، ويعيش بها وبأنوارها ويشاهدها بمعية تاليها ﷺ القلبية.

٥ـ﴿ **إِنَّا سَنُلۡقِى عَلَيۡكَ قَوۡلاً ثَقِيلاً** ﴾: ثقيلاً بالخيرات لك وللعالمين بأنواري وأنوارك، فيه جنات وعطاءات وأنوار، فيه شفاء للقلوب وسعادة لها، وهذه الخيرات أُنزلت على الرسول ﷺ لقوله تعالى (**عَلَيۡكَ**) لا على سواك، فكل الخيرات المنزلة من حضرة الله تأتي على رسول الله ﷺ صاحب الفضل الكلي العميم. فالله المعطي وهو ﷺ القاسم يلقيه على الصحابة الكرام، فالإنسان إذا لم يحب أو يقدِّر رسول الله ﷺ ولم تصبح له صلة به وشفاعة يبقى محروماً من الخير والسعادة ولا يخرج منه خير.

لكن من يستفيد ويأخذ هذه الخيرات؟.

٦ـ﴿ **إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ..**﴾ : ما ينشأ فيه من خيرات، "**وكل من يقوم الليل فله من هذه الخيرات**"، بقيام الليل تنشأ خيرات عظيمة لما فيه من هدوء وصفاء نفسي، حيث إن المرء لا ينشغل بشيء ولا يخطر على باله طعام أو شراب، ففيه عقل حقائق القرآن وشفاء للقلوب وإقبال على الله وسبح نفسي. فالله أعد

﴿..هِيَ أَشَدُّ وَطْءًا..﴾.

لمن يقوم الليل خيرات كبيرة وعظيمة ما كان لينالها لولا قيامه الليل، لذلك كان الصحب الكرام رضوان الله عليهم بالليل رهباناً وبالنهار فرساناً، من الفراسة أي صارت لهم فراسة أي بصيرة من الله، دائماً ينظرون بنوره، فلا أحد يستطيع أن يخدعهم أو يغشهم، لذلك مدحهم الله سبحانه وتعالى وأثنى عليهم بقوله الكريم: (كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ)[1].

وبهذا شفيت نفوسهم من حب الدنيا وعللها وأصبحوا مرشدين يدلُّون الناس على ربّهم وعلى الرسول، يُدخلون في قلوبهم محبته ﷺ والرسول يُدخلهم على الله، وبهذا سلّم الله الصحبَ الكرام البلادَ والعباد لأنهم أهل وجديرون بهذا، فلا غاية ولا مطلب لهم إلا هداية الخلق.

﴿..هِيَ أَشَدُّ وَطْءًا..﴾: تأثير قيام الليل على النفس كبير حيث فيه صفاء للنفس وبهذا ينطبع الحق بنفوسهم، كذلك أشد وطئاً على الشيطان الذي وعد بإضلال الإنسان، فهو عدو الإنسان يبث في نفس النائم الشهوات من حبٍّ للنساء والمال والجاه ليحوِّله عن ربه، فإذا قام الإنسان الليل قطع على الشيطان مكائده هذه وخلَّص نفسَه مما كان سيضع الشيطان فيها، فلا يبقى للشهوات سلطانٌ عليه وبذلك يطأ الشيطان ويدوسه، فالصحابة الكرام رضوان الله عليهم وقفوا بوجه شرور وفساد العالم وحاربوه وانتصروا بمعية

---

(١) سورة الذاريات: الآية (١٧ـ١٨).

﴿..وَأَقۡوَمُ قِيلاً ۝٦ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحًا طَوِيلاً ۝٧﴾.

رسول الله ﷺ القلبية، لم تفتر عزائمهم، صار لهم ثبات نفسي وجسمي، ثبات جسمي أمام أقوى وأعتى الجيوش والرجال فلم يخافوا ولم يجبنوا، وثبات نفسي أمام الشهوات من مال ونساء وأولاد وجاه، فلم تؤثر عليهم وتحولهم عن غايتهم من هداية الخلق وعن إيمانهم ومحبة الله ورسوله ﷺ لما يغدق الله على قلوبهم من نعمه التي لا تكاد لذائذ الدنيا تذكر تجاهها.

﴿..**وَأَقۡوَمُ قِيلاً**﴾: صار سماعه للقرآن عن شهود حيث صار لهذا المؤمن من الله نورٌ وأصبحت له بصيرة يرى فيها معاني كلام الله التي يتلوها رسول الله ﷺ عليه، يرى ما فيها من خيرٍ وحقٍّ وسعادةٍ ويرى بها أسماء الله الحسنى، فكل ما يتلوه عليه الرسول يراه ويشهده شهوداً نفسياً، ويعقلون كلام الله عن طريق رسوله ﷺ فتنطبع معاني القرآن بنفوسهم، وبهذا يصبح قولهم عن شهودٍ وليس مجرد كلام، وتأثيره قوي بالناس، فكلام الله أولاً لرسوله ﷺ ثم لمن اقتفى أثره.

٧ـ﴿ **إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحًا طَوِيلاً** ﴾: وظيفته ﷺ دائمة لا تنقطع أبد الآباد وهي التسبيح بفضل الله وبأنواره العلية وأسمائه الحسنى، فهو ﷺ الذي ينقل النفس من حال لحال أعلى ومن جنة لأعلى يسبِّحها بأنوار الإِلٰه وأسمائه، وهو الذي يُسبِّح الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام والمتقين والمؤمنين، وهذا السبح طويلٌ من الأزل إلى الأبد.

﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ﴿٨﴾﴾.

كذلك صار معه ﷺ أصحاب صادقون، صاروا علماء حكماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء وهم الصحب الكرام، الرسول يسبِّحهم، يسبِّح نفوسهم سبحاً نفسياً بأنواره القدسية العلية بحياته وبعد انتقاله، وهم يسبِّحون غيرهم من المؤمنين لكن بمعيته قلبياً وأنواره ﷺ، وبهذا التسبيح بفضل الله وتجليه وأنواره يحدث الشفاء والعطاء، وقد امتد هذا التسبيح إلى ما ينوف عن ألف ومئتي عام، فكلنا بفضل الصحابة والكل بصحيفة الرسول ﷺ وبفضله، ولولا فضل الله على الرسول ﷺ والصحابة ما آمن أحد منَّا وما اهتدينا.

٨ ـ﴿ **وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ**..﴾: اذكر أسماء الله الحسنى. ﴿..**وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ**..﴾: تبتل إلى الله، الله هو المعلم، ولشدة حبه لرسوله ﷺ يعلمه بهذه الآية كيفية الوصول إلى سدرة المنتهى أي المكانة التي ما وصل إليها أحد، فالله يقول لرسوله ﷺ الآن خُذْ كمالاتك حتى تصل لهذه المرتبة، (**تَبَتَّلْ**): انقطع عن كل شيء إلا الله، لا تنقطع عني، والرسول ﷺ يقول في حديثه الشريف:

(لي ساعة مع ربي لا يسعني فيها ملك مقرّب ولا نبي مرسل).

وبذلك حاز الرسول العظيم هذه المرتبة العظمى ونالها. ﴿..**تَبْتِيلاً** ﴾: انقطاعاً كليّاً عن كل شيء، وبعدها ابقَ معي ومعهم، أي لتكن عيناً مع الله وعيناً مع الخلق، بعين النفس وعين الرأس.

﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ.. ﴾.

٩ـ﴿ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ..﴾ : كل الإمداد بالتربية منه سبحانه وتعالى، فما أعظم من يدوّر ويقلِّب الكرة الأرضية! تدور كل أربع وعشرين ساعة دورة كاملة بلطف بالغ، لا أحد يشعر بدورانها، فكأس الماء لا يتحرك ولا يهتز بانقلاب الدورة الأرضية، فما هذه القدرة؟! يمدُّ الكون كلَّه من أجلك أيها الإنسان حباً بك وعطفاً عليك، يمدك بالطعام والشراب ليعيش جسمك، كل هذا من أجل أن تلتفت إليه بإيمانك بالمحبة فتنال جناتك وسعادتك وتصبح من أهل الإشراقات، فإن التفتَّ وآمنت به بمشاهدة هذه العظمة، حيث يشرق نوره تعالى على نفسك فتشفى مما بها من علل وأمراض نفسية كانت تحجبك عنه سبحانه وتعالى وعن عطاءاته وأنواره. فكل من آمن وسار مع الرسول ﷺ وسمع كلامه أمده الله تعالى بالأنوار والإشراقات القلبية عن طريق رسوله السراج المنير، شمس القلوب وضياؤها. عندها بالرابطة برسول الله ونوره ﷺ يعرف أهل الإشراق وأهل العطاء والخير، فتأتيه إشراقات ربه وعطاءاته حيث يمده بالنور والضياء القلبي عن طريق رسوله ﷺ ورسله وأنبيائه الكرام صلوات الله عليهم أجمعين، فلا يبغي عنها حولاً لما يناله من سعادة ونعيم لو علمت به ملوك الأرض لتركوا ملكهم من أجله، وبذا نكون قد تحدثنا عن الآية الكريمة عن المشرق المادي والقلبي.

﴿..لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ٩﴾.

إن لم تؤمن فلك الاختيار، وربك يمدك بالشيء الذي اخترته وطلبته، إن أعرضت عن الله وأصررت ولك الاختيار فتغرب نفسك عن الله وأنواره الباقية المتنامية إلى الدنيا وزينتها وأنوارها الزائلة بدل أن تشرق بنوره وجناته (**كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا**)[1].

الذين ما آمنوا ما عظموا ربهم وما عرفوا رسولهم، يريدون الدنيا وما فيها من ملاذٍّ وشهوات فقط، وهؤلاء غربت نفوسهم عن الله وسوف يغربون عن الدنيا ويتركونها بالموت، وبالشقاء والعذاب والنار سوف ينزلون، أولئك هم الخاسرون.

﴿..**لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ**..﴾: بيّن لهم، علَّمهم طريق الإيمان ليشاهدوا أن لا مسيِّر إلا الله، هو سبحانه يسيِّرك على حسب ما في نفسك وعلى حسب طلبك، إن كانت نيتك طيبة يسيِّرك لفعل الخير ويعطيك ما تحب وترضى، إن كانت نيتك غير ذلك وصمَّمت على ما في نفسك يسيّرك بما صمَّمت عليه فلك الخيار.

﴿..**فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا** ﴾: الرسول دائماً متوكِّل على الله، وكل من صاحبه وارتبط به متوكل على الله، والله بهذه الآية يخاطبنا عن طريقه ﷺ قائلاً: يا عبادي أنا الممد المسير المربي بيدي كل شيء، سلِّموا أمركم لي وتوكَّلوا عليّ

---

(١) سورة الإسراء: الآية (٢٠).

﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرًا جَمِيلاً ۝١٠ وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ..﴾.

كتوكّل إمامكم عليّ واطلبوا مني وأنا أعطيكم وأهيئ لكم الأسباب لنوالها، فقط توكلوا عليَّ، آمنوا وتمسكوا بمن جعلته هادياً لكم، فعن طريقه تنالون كل خير ولا تنفتنون بالدنيا وشهواتها، أمَّا بدونه تنفتنون.

لذلك على الإنسان التمسك بالعروة الوثقى، برسول الله ﷺ بيد، واليد الثانية يُنقِذ بها الخلائق ويعمل بها الخير من هداية الخلق وبهذا لا يقع بالفتن.

١٠ـ﴿ **وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ..**﴾: من تكذيب، قلبه الشريف ﷺ يتقطع عليهم، هو يريد هدايتهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور وهم يعارضونه، اصبر على هؤلاء الذين كذبوا بك وبدلالتك، أنت تريد لهم الخير والنجاة والجنة وهم يتكلمون عنك ويظنون بك الظنون. ﴿..**وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرًا جَمِيلاً** ﴾: لاطفهم ولا تهاجمهم لئلا يزدادوا بعداً على بعدهم وليكون لهم مجال للرجعة إن أرادوا أن يرجعوا.

١١ـ﴿ **وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ..**﴾: أنا أعالجهم، خطاب من الله تعالى لرسوله الرحيم، فالله بهذه الآية يقول لرسوله ﷺ: هؤلاء كذَّبوا بي وبدلالتي وكذَّبوا بك وتكلموا عنك بالسوء والآن لا يمكن أن يسيروا معك ويسلكوا طريق الحق، يريدون الدنيا وشهواتها اتركهم لي الآن واهتمَّ بالمؤمنين. فلابد من علاجهم وسوف أعالجهم، فلا تحزن عليهم. ﴿..**أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ..**﴾: عطاء

﴿..وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلاً ۝١١ إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالاً ..﴾.

الدنيا نَعمَة وليس بنِعمة وهو زائل. هم يريدون المال والنساء والمناصب والجاه، يريدون الدنيا ليستعلوا بها على بعضهم البعض ويتكبروا على الناس، وأنا سوف أعطيهم ما طلبوا واختاروا على المستحقين، لكن هذه ليست نِعمة لهم هذه نَعمة، وستعود عليهم بالنِّقمة وبجهنم، وسترجع عليهم بالشقاء والألم والأمراض، وكل هذا رحمة مني وحناناً عليهم وعلاجاً لأنفسهم ليعودوا فيطهروا ويدخلوا جناتي حتى يزهقوا الدنيا وشهواتها، وما هم مفتونون به من مال وأولاد ونساء حوَّلَهم عني وعن عطائي وجناتي. ﴿..**وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلاً** ﴾: بيّن لهم ليخففوا من المعاصي، بيّن لهم نتائجها عليهم. مهما لازموا مجلسك إن لم يتوبوا ويغيِّروا ما بأنفسهم ويؤمنوا فلابد للذي بنفوسهم من أن يخرج، لكن أنت مهلهم قليلاً.

لكن كيف يمهلهم الرسول:

بتوجهه ﷺ بنفسه بالنور الذي معه بهذا يخفِّفون من المعاصي ويتأخرون عن الوقوع بالكبائر والارتكابات والجرائم، لكن بعدها إن لم يغيِّروا ويتوبوا فلابد للذي فيهم أن يخرج ويعملوا به.

١٢ـ﴿ **إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالاً** ..﴾: الله لا يتركهم، أعمالهم سترجع عليهم بالوبال والحسرات والخسران. كلمة (**أَنكَالاً**) تعني: أنهم سينالون ما كالوه لأنفسهم.

﴿..وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾﴾.

وفي الحديث الشريف: (**..أعمالكم عمالكم..**)[1] خسروا كل شيء، خسروا مقامهم العظيم من أجل يوم من أيام هذه الدنيا الفانية، كل هذا لأنهم ما سلكوا طريق الإيمان مسلك سيدنا إبراهيم عليه السلام، المدرسة فيها قوانين إن طبقتها تنجح.

﴿**..وَجَحِيمًا**﴾: هذه الشهوات المحرمة التي وقعوا بها وفحشهم وجرائمهم عادت عليهم بالنيران الجهنمية، وستعود عليهم بنار الله الموقدة بعد ذلك، نفوسهم دائماً معذَّبة منغَّصة لا يعرفون للسعادة طعماً. ويَشْكون أنَّ ناراً بهم.

(وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا..)[2].

السعادة من الله بالإقبال عليه وبالأعمال الصالحة، وهؤلاء أعرضوا عن الله ولم يعملوا صالحاً فكيف يسعدون ومن أين يأتون بالسعادة؟ صاروا وحوشاً بثياب إنسان، ووقعوا بشرِّ أعمالهم، نهب وسلب وقتل وحروب وزلازل وبراكين وأعاصير نتاج أعمالهم ونواياهم المؤذية.

١٣- ﴿ **وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ..**﴾: وقعوا بالأمراض والآلام والأحزان، حياتهم ضيق وهمّ وغمّ، وبسبب مرضهم وتعاستهم لا يستطيعون الأكل إلا أنواعاً معينة، وبعد موتهم طعامهم ذو غصّةٍ. (**خذ من الدنيا ما شئت وخذ بقدره هماً وغماً**). ﴿**..وَعَذَابًا أَلِيمًا**﴾: بسبب أعمالهم. المريض إذا أكل طعاماً

---

[1] رواه الطبراني.

[2] سورة طه: الآية (١٢٤).

﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلۡجِبَالُ كَثِيبٗا مَّهِيلًا ١٤﴾.

لذيذاً طيباً، تُرى هل يتلذذ به؟! فلابد له من أدوية وعلاجات حتى يشفى ويخلص من العلة.

١٤ـ﴿ **يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ**..﴾: وهذه بقيام الساعة، ساعة البلاء التي وعد الله بها الناس إن لم يسيروا بالحق، بلاء مثلما أتى الأقوام الماضية: قوم نوح وعاد وثمود، وكيف أنَّ الله أوقف شرورهم عندما عصوا رسله. وهي التي سيظهر فيها السيد المسيح عليه السلام ويمسح الكفر والشقاء من الكون ويحل الأمن والسلام والسعادة فيه، ترجف الأرض والجبال بهذه الساعة من قوة الزلازل لتخفي ما على ظهرها وتخرج ما فيها.

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ)[1].

فالله العظيم يقول عنها ويصفها بأنها عظيمة لكثرة الأهوال التي فيها.

﴿..**وَكَانَتِ ٱلۡجِبَالُ**..﴾: الله خلق هذه الجبال وأوجدها وجعل لها وظيفة، تثبت الأرض من الانسياح فهي كالأوتاد، ومثلما خلق الله هذه الجبال العظيمة والتي هي من صخور وحجارة، كذلك خلق وأرسل لنا جبالاً بالعلم والمعرفة والأنوار لقلوبنا وهم السادة الرسل والأنبياء صلوات الله عليهم، فهم جبال يثبتون الخلائق من أن ينساحوا إلى الفحشاء والمنكر، وهذه الجبال كانت: ﴿..**كَثِيبٗا مَّهِيلًا**﴾: الجبال والأرض والسموات كانت في بداية الخلق

---

(١) سورة الحج: الآية (١).

حينما خلقها الله نفوساً مجردة لا حجم لها ولا كيان، ولكن الجبال على سبيل المثال أحبت أن تكون بهذا الحجم الرهيب والسمو والعلو على الأرض لأن لها طاقات مميزة، فهي أولاً كنفوس تثبت الأرض بوظيفتها حينما تُذهَلُ الأرض من أعمال البشر المكلفين والذين هم أسمى الخلائق وقد غدوا بإعراضهم عن الله يرتكبون من الارتكابات السيئة ما تتأثر به الأرض كنفس وتكاد تذهل وتترك وظيفتها، عندها يأتي دور الجبال ذوات النفوس والطاقات الأكبر من طاقات الأرض فتثبتها في الاستدامة على وظيفتها، هذا يجري في العالم الغيبي عن المشاهدات المادية، لأنها مجريات نفوس لا تُرى بالعين المجردة وإنما يراها أهل النفوس البصيرة بنور الله ورسوله ﷺ لا بالأنوار المادية، أما هذه الجبال العظيمة الشاهقة بالعلو والعظمة بالحجم الصخري المادي فهي أيضاً كما شرحنا سابقاً تثبت القشرة الأرضية من الإنسياح والتشقق، لأن ما ثبت بالوسائل الصوتية الرنانة (SONIC) أن الجبال أعظم مما نراها فهي كثبان صخرية (حتى الكثبان الرملية أصلها صخرية)، وهي أكبر بكثير من الحجم المرئي لأن جذورها الصخرية كما ثبت بـ(SONIC) الصوتي ممتدة في باطن الأرض بقدر ثلاثة أمثال حجمها الظاهر ونصف المثل، فهي كما قلنا تثبت القشرة الأرضية من التشقق والإنسياح، كذلك تعمل على توازن الأرض الثابت بدورانها اليومي، كذلك الجبال خزانات للماء التي فيها الحياة وعن طريقها حياة المخلوقات ومع عظمة الجبال فهي محمولة كلها لخيرك.

نقول: هذه الجبال هي جبال الدنيا لا الآخرة وسوف تزول يوم القيامة وتذهب بلا عودة ولا بقاء لها، والآن وحينما يأتي يوم القيامة تظهر جبال الآخرة وهي نفوس عظيمة سمت فوق نفوس البشر والخلائق كلها.

وكما أن هذه الجبال العظيمة تحوي في بطونها الماء والحياة فتمدنا بالينابيع والأنهار بل وكل حياة مادية(..**وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ**..)[1] وكذلك جبال الآخرة أيضاً تحوي الماء الغدق للخلائق، عندئذ فهي مهبط التجليات الإلۤهية وينابيع الحياة للبشر، ألا إنها نفوس الأنبياء والرسل الكرام العظام.

إذاً فالجبال المادية كثبان صخرية ثلاثة أمثال ونصف تحت الأرض ومثل ظاهر، فهي أربعة أمثال ونصف المثل. ﴿ **كَثِيبًا** ﴾: وهي تساعد الأرض حينما تُحاول أن تتزلزل أو تزول من هول ما ترى من أعمال البشر المكلفين من شرور، فتثبتها من أهوال ما تشاهد من شرور البشر المعرضين والذين كان من المفروض أن يكونوا ينابيع للخير بما عاهدوا الله عليه في الأزل ثم غيَّروا. ﴿ **مَّهِيلاً** ﴾: الجبال البشرية. هؤلاء الجبال صلوات الله عليهم أجمعين حقيقتهم سارية في الوجود وهم معك بالحقيقة أيها الإنسان عن كثب، عينُهم دائماً عليك، قريبون منك لا يتركونك لحظة بحكم وظيفتهم التي أسندها الله سبحانه وتعالى إليهم، بسبب رحمتهم وعطفهم على خلق الله. ﴿ **مَّهِيلاً** ﴾: بهذه النظرة وهذا التوجه الذي يتوجهونه بالنور الذي معهم يمهلون النفوس المعظمة لهم والملتفتة إليهم بالتقدير من أن تقع بالشذوذ والفواحش والإجرام، يسكِّنون

---

(١) سورة الأنبياء: الآية(٣٠).

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولاً شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولاً ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ..﴾.

لهم شهواتهم المحرمة ويحوِّلونهم عنها بالصلاة معهم، وهكذا حتى يملؤوا نفوسهم بالنور والكمالات فيشاهدوا حقيقة الشهوات الدنية وأذاها.

قال تعالى: (.. **وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡ..**)[1].

١٥ـ﴿ **إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولاً..**﴾: أرسل لنا رسولاً مثل باقي الأمم، لم يتركنا سبحانه وتعالى بلا هادٍ ولا دليل، أرسل رسوله وأنزل عليه هذا البيان وهو ﷺ بيّن وأنذر. ﴿..**شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ..**﴾: من رحمته وحنانه دائماً عينه عليكم لا يترككم لحظة. هو قريب منكم أنتم فقط التفتوا له بالتقدير والتعظيم والمحبة، هو ﷺ غامركم بالنور ومشاهدُكُم بإشهاد من الله ويحب أن تروه هكذا، وإلا أنتم بعيدون عنه. ﴿..**كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولاً** ﴾: لكن فرعون ما استفاد من رسول الله موسى عليه السلام، الله يحذرنا بهذه الآية ويقول: أنا أرسلت لكم رسولي أنتم لا تكونوا مثل فرعون وقومه، انظروا الذين ما عرفوا رسولهم وما قدروه، ما آمنوا به، ماذا حلّ بهم؟.

١٦ـ﴿ **فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ..**﴾: دعاه إلى الإيمان وإلى السعادة والجنات فما فكر ولا سمع وما طبق ولا سار بكلام سيدنا موسى عليه السلام، عصى خليفة الله ولم يعرف قدره، عصى الرسول وتكلم عليه بالسوء وحاربه وأراد القضاء عليه.

---

[1] سورة التوبة: الآية (١٠٣).

﴿..فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا ١٦ فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ يَوۡمٗا يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا ١٧﴾.

﴿..فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا ﴾: لكن بماذا عاد عليه هذا العصيان؟ عاد عليه بالهلاك، هلك ومن معه وتدمرت بلاده وأملاكه. كذلك نحن إن عصينا الرسول ﷺ وما طبقنا ما يأمرنا به وما سلكنا طريق الحق وسرنا بدلالته سوف يأخذنا الله أخذاً وبيلاً كما أخذ فرعون (..**وَدَمَّرۡنَا مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ**)[1].

١٧ـ﴿ **فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ..**﴾: إن ما فكرتم وآمنتم، إن ما طبقتم كلام الرسول وتركتم المدرسة المحمدية وأعرضتم عنها، "كفرتم بالله والرسول" هل تستطيعون أن تتقوا البلاء وتردوه عن أنفسكم؟ كيف تتقون ما في ذلك اليوم من هول شديد؟!. هل تستطيعون أن تفعلوا شيئاً وتمنعوا البلاء عنكم وأنتم لا إيمان ولا تقوى ولا أعمالَ صالحةً لكم؟!. ﴿..**يَوۡمٗا يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا** ﴾: تشيب من شدة الهول، الطفل يبيض شعره، حيث أن الولدان متعلقون بآبائهم فمن الأهوال التي تنصب على الآباء ولشدتها تنعكس بهذه العلاقة على أبنائهم فتشيب، فحينها إن كفرتم ما الذي سيقيكم تلك الأهوال؟!. (**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ**)[2]. زلازل وبراكين وأعاصير حيث الأرض تتمايل من الزلازل ونيران من السماء والأرض، فإن

---

(١) سورة الأعراف: الآية (١٣٧).

(٢) سورة الحج: الآية (١).

﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا ۝١٨ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٌ.. ﴾.

لم تحصل لك التقوى فسيحصل لك بلاء عظيم، والله يصف هذا اليوم بالشدة والعذاب، فكيف هو يا تُرى؟! **(يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ.)**[1]. كم عند الأم على ولدها من عطف وحنان! لكن ساعتها تذهل عنه وتلقيه. فالهول ينسي الناس كل شيء.

إن ما آمنا بالله والرسول سيقع علينا هذا البلاء والعذاب حتماً. الرسول ﷺ حذرنا من هذه الساعة وبين لنا كيف التقوى والخلاص منها، لكن إن لم نعبأ بإنذاره وما طبقنا وعصينا فسوف تأتينا مثلما أتت الأقوام السابقة، وهو ﷺ ساعتها يتفطَّر قلبه على الخلق.

١٨ـ﴿ **ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ..**﴾: من شدة ألمه وحزنه ﷺ على الخلق، وأيضاً سترجع السماء كما خلقت أول مرة، حيث تزول السموم منها وتعود صافية نقية. الآن الجو كله ملوث غداً يعود كل شيء كما كان. ﴿ **..كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا** ﴾: على الأقوام السابقة حدث هذا الشيء، والآن سيقع أيضاً وسيحدث هذا حتماً، ولن يطول كثيراً، وما التأخير إلى الآن إلا رحمةً وحلماً وحناناً من الله تعالى.

١٩ـ﴿ **إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٌ..**﴾: لا إكراه في الدين ولا إجبار، هذه الدلالة وهذا البيان الذي بيَّنه لنا رسول الله ﷺ تذكرة لنا، فالرسول ذكَّرنا بهذه السورة. فإن طبقتم وسلكتم فإنكم تهنأون بالسعادة حين البلاء والناس بأهوال

---

(٢) سورة الحج: الآية (٢).

﴿..فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلاً ﴿١٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ..﴾.

الساعة. ﴿..**فَمَن شَآءَ**..﴾: لك الاختيار أيها الإنسان فكل من شاء. ﴿..**ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلاً** ﴾: سار بطريق الإيمان، الطريق الذي بيَّنه لك رسول الله، وهو ﷺ معلم الإيمان، وهو طريقك للوصول إلى الله، كل من شاء سار بطريق الإيمان وطبق. ما هو الطريق؟ فكَّر بالموت حتى أيقنت نفسه بساعة الرحيل والفراق فخاف على مصيره، ساعتها ترك المنكر وأهله واستقام على طاعة الله، فكَّر بالكون وآياته، جعل لنفسه ساعة تفكير صباحية وساعة تفكير مسائية، قام الليل وقدم أعمالاً صالحةً، صار ينفق مما يحب، ينفق الشيء الغالي على نفسه، آمن، شاهد عظمة الله ورحمته من خلال الكون، بعدها يحب أهل الكمال ويحب رسول الله ﷺ ويرتبط معه برابطة المحبة، هذا هو القانون، فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً عن طريق الرسول ﷺ لأن حقيقة الرسول سارية في الوجود والذي يطلب ربه الله يرسل له رسوله ﷺ بأنواره فيرى وهذه هي التقوى.

٢٠ـ﴿ **إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ**..﴾: وهذه شهادة من الله سبحانه وتعالى لرسوله أنه يقوم الليل، وقد بعثه المقام المحمود وأنزل عليه كلامه المُغني الذي ينهض بالقلوب إليه تعالى، فكان زميل الخلق ينهض بهم إلى الله ويخرجهم من الظلمات إلى النور.

﴿..وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ..﴾.

﴿..وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ..﴾: أيضاً يقومون لصلاة قيام الليل، ويتوجهون بأنفسهم إليك، ويطوفون بأنفسهم حوله ﷺ بالمحبة والتقدير فيتدبرون معاني بيانه القرآني العظيم.

﴿..وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ..﴾: من تزايدهما وتناقصهما خلال السنة، يقدر الأوقات من زيادة ونقصان، فليل الشتاء طويل ونهاره قصير، وليل الصيف قصير ونهاره طويل، وكل هذا من أجلك أيها الإنسان، من أجل حياتك وسعادتك، فزيادة الليل ونقصانه بسبب الفصول الأربعة ولولا طول الليل ونقصانه لما خرج الثمر ولما نتج الزرع، وطعامك وشرابك أيها الإنسان بسبب طول الليل ونقصانه.

﴿..عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ..﴾: لا تستطيعون القيام مثل الرسول على الدوام، فمهما جاهدتم وضحيتم وآمنتم لن تصلوا إلى درجته ﷺ ولن تسبقوه، هو ﷺ السابق الأسبق وهو الأول، نيته عالية فاقكم بالنوايا وبإقباله العظيم على الله، فنال من العلوم ما لم ينَلْه أحد. ﴿..فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ..﴾: رجع عليكم بالخيرات.

﴿..فَٱقۡرَءُواْ..﴾: من القرآن، اقرأوا بدلالة الله القرآنية وفكروا في معانيها.

﴿..مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ..﴾: اقرأوا من القرآن ما تيسر منه حتى تفهموا معانيه

- ١٨٢ -

﴿..عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَـٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ..﴾.

وتسيروا بها وتعملوا بموجبها. ﴿..**عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ**..﴾: لا يستطيعون أن يقوموا من الليل بسبب مرضهم. ﴿..**وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ**..﴾: مسافرون، والسفر فيه مشقة وتعب فلا يستطيعون قيام الليل، لكن يقوم الليل لفترة قصيرة. ﴿..**يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ**..﴾: يدعون الناس إلى الإيمان، فالصحابة فتحوا العالم بالمعاملة الحسنة والتضحية بالمال عن طريق التجارة. عاملوهم بالإحسان، أعطوا صورة صادقة حقيقية فاضلة جميلة عن رسول الله ﷺ بمعاملتهم وتسامحهم ورحمتهم وعلمهم "والدين المعاملة" فأقبل الناس عليهم ودخلوا بالإسلام أفواجاً.

﴿..**وَءَاخَرُونَ يُقَـٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ**..﴾: يقاتلون المعتدين بالسيف لردِّ الناس إلى الحق والسعادة وإخراجهم من الظلمات إلى النور بمعية رسولهم ﷺ ولتكون كلمة الله هي العليا، هؤلاء وقتهم ليس بيدهم، لكن قيام الليل ولو كان لفترة قصيرة يستيقظ المرء فيه فينزع مكائد الشيطان ويقطع حبائله. ﴿..**فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ**..﴾: اقرأوا القرآن على أنفسكم بقيام الليل، أي قوموا الليل واقرأوا على أنفسكم الذي يتيسر لكم من القرآن ولو شيئاً قليلاً، فهذا القيام نعمة لهم حيث يقطعون به حبل وشغل الشيطان أثناء غفلة النوم، وبذلك لا يكون للشيطان سلطانٌ عليهم بالشهوات الدنية، حيث لا قيمة لها بنفوسهم.

﴿..وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿..**وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ**..﴾: لأنفسكم ولغيركم، بالتفكير ومحبة الرسول ﷺ وعمل الخير والإحسان تثق النفس برضاء الله عنها فتصلي. ﴿..**وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ**..﴾: وبهذه الصلاة تكسبون الطهارة لأنفسكم. ﴿..**وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا**..﴾: الله سبحانه وتعالى ليس بحاجة إلى مالك فكل شيء منه سبحانه، كذلك الرسول ﷺ ليس بحاجة لأموالكم، لكن هذا المال الذي تنفقه من زكاة وصدقة، لك عليه أجرٌ من الله وجنات. ﴿..**وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ**..﴾: العائد لك، من أجل أن تنال من الله الكمال والجنات. ﴿..**عِندَ ٱللَّهِ**..﴾: في الصلاة. ﴿..**هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗا**..﴾: لكم عليه أجر من الله، جنات وسعادة ورحمة دنيا وآخرة. ﴿..**وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَ**..﴾: اطلبوا الشفاء من الله لأنفسكم، الطريق: قيامكم الليل إذا داومتم عليه تُشفى نفوسكم مما بها وتطهر وتحب رسول الله ﷺ وترتبط نفوسكم معه، عندها برابطتكم مع رسول الله ﷺ تستطيعون أن تستغفروا لأنفسكم ولغيركم. ﴿..**إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ**..﴾: هو سبحانه وتعالى الشافي لا غيره، يتجلى عليكم، يشفي النفوس من عللها، وهو سبحانه بعثكم من أجل هذا، من أجل أن تشفى نفوسكم من أدرانها لأنه: ﴿..**رَّحِيمُۢ**﴾: بكم يريد سعادتكم وأن تدخلوا الجنات.





عددُ آياتِها
٥٦
تأويلُ
سورةِ المدّثرِ
رقمُ السورة
٧٤

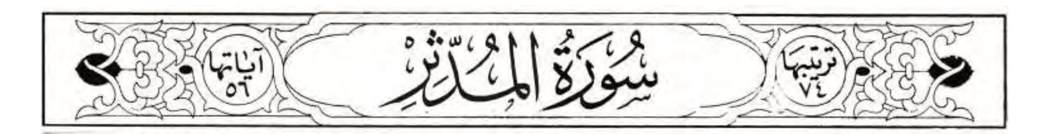
سُورَةُ المُدَّثِّرِ

ترتيبها ٧٤ — آياتها ٥٦

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾
وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾
فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ
غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا
مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ
أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾
إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ
﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ
يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ
مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ
﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً
لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ
وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ

وَٱلۡكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي
مَن يَشَآءُۚ وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا
وَٱلۡقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحۡدَى
ٱلۡكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرٗا لِّلۡبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ
نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ
﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ
ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ
ٱلۡخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ ﴿٤٧﴾
فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمۡ عَنِ ٱلتَّذۡكِرَةِ مُعۡرِضِينَ
﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمۡ حُمُرٞ مُّسۡتَنفِرَةٞ ﴿٥٠﴾ فَرَّتۡ مِن قَسۡوَرَةِۭ ﴿٥١﴾ بَلۡ يُرِيدُ
كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُؤۡتَىٰ صُحُفٗا مُّنَشَّرَةٗ ﴿٥٢﴾ كَلَّاۖ بَل لَّا يَخَافُونَ
ٱلۡأٓخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾
وَمَا يَذۡكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ ﴿٥٦﴾



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١﴾.

١ـ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ﴾ : خطاب لرسول الله ﷺ ووصفٌ لحاله. فالمدثر مأخوذة من الدثور، وفي اللغة تعني الغنى المادي أو المعنوي، ومنها قول بعض الصحابة رضي الله عنهم لرسول الله ﷺ : **«ذهب أهل الدثور بالأجور»** [1].

أي كسب أصحاب المال من كبار الصحابة وغيرهم رضوان الله عليهم بإنفاقهم كسباً عظيماً كبيراً.

وعلى هذا فالمدثر هو الغنيُّ المزدان بالثراء، وهي هنا الحائز على الغنى القلبي والحائز على الكمالات الإنسانية المترف بالعطاءات القلبية من ربه الغني المغني، فهو تعالى الذي أمدَّه بالثراء الكوني فجعله رحمة للعالمين أجمعين بدءاً من السادة المرسلين والنبيين العظماء إلى المتقين والمؤمنين أجمعين إذ خصَّه بالتنزيل لكلامه تعالى المبين بقوله الكريم.

---

(١) صحيح مسلم رقم الحديث /٢٣٧٦/.

﴿ قُمْ .. ﴾ .

ولغوياً كلمة (**مُدَّثِّر**) بفقه اللغة مشتقة من كلمتين: مُدَّ أي امدد. ثِرْ: أَثْرِهِم من الثراء. (**وَلَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ**)[١].

القرآن: المتضمن الكتب القيِّمة والصحف المقدسة، فالله يخاطب رسوله ﷺ ﴿**يَا أَيُّهَا الـمُدَّثِّرُ** ﴾: أي يا رسولي اقسم عطاءاتي وجناتي المتواردة مني عليك على عبادي، فأنا المعطي وأنت القاسم، فهو ﷺ رحمة للعالمين ليهدينا ويدلنا إلى الكنز الذي منه بحور النعيم والغنى والثراء على العالمين فهو المدثر بخيرات الإلّه التي نالها وأحبها لهم. فالرسول ﷺ بإقباله على الله نال ما نال وشاهد أن إخوانه لم ينالوا مثله من ربهم فأحب واشتهى لهم ما نال، وطلب من الله أن يجعله باباً لهم لينالوا مثله والله سبحانه مع الخير، فأذن للرسول بهذا الطلب وقال له يا أيها الغني مني وبي زاملهم وصاحبهم ولا تعدُ عيناك عنهم (**وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ...**)[٢]. لإثرائهم ثراء وغنىً قلبياً وغنى دنيوياً لا فقر بعده ليغدوا بالثراء الكلي دنيا وآخرة وللأبد بالجنات رافلين.

٢ـ﴿ **قُمْ ..**﴾ : يا رسولي إلى طلبك، أنت طلبك هداية الخلائق وإخراجهم من الظلمات إلى النور ومن الشقاء للسعادة والجنات، والآن آن الأوان وجاء

---

(١) سورة الحجر: الآية(٨٧).

(٢) سورة الكهف: الآية(٢٨).

﴿..فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣﴾.

وقت طلبك لهداية الناس والصادقون من ذرية قريش قد تهيؤوا للإيمان، انهض بنفوسهم من طريق الكعبة. ﴿..**فَأَنذِرۡ**﴾: أنذر الذين عاهدوا ربهم ونكثوا بالعهد ونسوا ميثاقهم مع الله، أنذر هؤلاء الضالين الغارقين بالجهل والشهوات والشقاء حتى يرجعوا إلى الصواب، بيِّن لهم أنهم سيموتون وأمامهم عذاب القبر وسعير النار والإنسان محاسب على أعماله.

خوِّفهم لأنهم إذا خافوا رجعوا للحق وغيَّروا من سلوك حُفر النار المحرقة إلى وجهة الجنان المغدقة المشرقة، والتفتوا لك وأنت بهذا الحال العالي معي فينجون. أنذَرَهُم ﷺ فما خافوا ولا التفتوا نحوه إلا الذرية آمنوا، وهم الصفوة أوائل الصحابة الكرام من المهاجرين.

٣ـ﴿ **وَرَبَّكَ**..﴾: يا محمد. ﴿.. **فَكَبِّرۡ**﴾: عظِّم لهم ربك أرهم عظمة الله حتى ينفتنوا بالصلاة القلبية معك، دلَّهم على الله، بيِّن لهم أسماءه الحسنى حتى يحبوا ربهم، أشهدهم أسمائي الحسنى فأنت السراج لهم بنورك الموصل لنوري يصلون إليَّ ويرون أسمائي وكمالي وجمالي ويعيشون بالجنان بنورك. كذلك تكبيرات الصلاة فكلما أشهد الرسول ﷺ المؤمن التقي شيئاً وانجذب به وتوقف عنده مشدوهاً بعظمة ربه وجلاله حرَّضه الرسول ليرقى لدرجة أعلى ليتحسن ويتوسع أكثر فيقول له في الصلاة **(الله أكبر)** ويشهده شيئاً أكبر مما شاهده وهكذا، فالرسول ﷺ دلَّهم على طريق الإيمان فسلكوه، فكروا بالموت

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ..﴾.

وبالكون وما فيه من آيات، سلكوا كما سلك سيدنا إبراهيم عليه السلام للإيمان بالله. فشاهدوا عظمة الله من خلال الكون بعدها انتقلوا إلى درجة أعلى حيث أصبحوا يشاهدون عظمة الله في الكون بنور رسول الله وطرفاً من مشاهداته ﷺ. شاهدوا أن كل شيء قائم بالله وكل هذا عن طريق الرسول ﷺ **(المُدَّثِّر)**.

٤-﴿ **وَثِيَابَكَ**..﴾: أي كل من ثاب بنفسه إلى نفسك الطاهرة، كل من قدَّرك وأحبَّك وعرف قيمة إرشادك من المؤمنين الذين يريدون طهارة نفوسهم ويريدون وجه الله، الذين سمعوا الحق وطبقوه وسلَّموك قلوبهم وزمام أمرهم وارتبطوا بك. ﴿..**فَطَهِّرۡ** ﴾: توجَّه لهم بالنور الذي معك، اغمرهم بحالك العالي حتى يشعروا بلذة الصلاة ونعيمها وبهذا تطهر قلوبهم مما بها من أدران. فهؤلاء يتوجه لهم الرسول ﷺ بنفسه وبالنور الذي أنزل معه عندها يزدانون بصفات الكمال، حيث إنه يُذهب عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم بلطف بلا شعور، وبالمجالسة والمؤانسة وبالصلاة تعرج نفوسهم مع نفسه الطاهرة فيدخلهم على الله وتنحت الأدران منهم وتزدان بالكمالات، فالصلاة الصحيحة الكاملة معراج المؤمن.

٥-﴿ **وَٱلرُّجۡزَ**..﴾: أهل الفسق والضلال والارتكابات، الواقعون بالمعاصي أهل البلاء أولياء الشيطان، هؤلاء أصبحوا نجساً إن دخلوا مجلسك وحضروا

﴿..فَٱهۡجُرۡ ۝٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ۝٧﴾ .

عندك لا يغيِّرون ما بأنفسهم، بل العكس هدفهم من دخولهم تغيير وتحويل المؤمنين الذين معك عن طريق الإيمان، هؤلاء لم يئن أوانهم الآن، أوانهم في المستقبل، فحب الدنيا والشهوات مستحكم بقلوبهم ولابد لهم من علاجات ومصائب وبلاءات حتى يرجعوا للحق لذلك: ﴿..فَٱهۡجُرۡ ﴾: اهجرهم هجراً جميلاً، اتركهم. لا تُدخلهم مجلسك ولا تدعهم يختلطون مع المؤمنين كي لا يضعفوهم ويوقعون البلبلة فيهم، فقط الصادقون الطالبون للحق اهتم بهم وضمّهم لمجلسك.

٦-﴿ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ﴾: لا تستكثر بالعدد فتقطع هذا الخير الجاري، فالذين معك ما زالوا ضعفاء بادئ ذي بدء، فإذا دخل بينهم المعرضون من أهل الدنيا أهل الترف يؤثّرون عليهم ويقطعونهم فلا تستكثر بالعدد، المسألة بالصدق ابقَ مع هؤلاء الصادقين بطلب الحق، دائماً انظر إليهم.

٧-﴿ وَلِرَبِّكَ..﴾: يا محمد وجّه لله بقلبك فأنا صاحب الأسماء الحسنى. ﴿..فَٱصۡبِرۡ﴾: هؤلاء صادقون طالبون اصبر حتى يصبحوا راشدين ثم تنهض بهم نهضة كاملة، بالصلاة يطهر المؤمن وبها يزدان بالكمال والصفات الحسنة وتزول منه العلل والأدران والصفات الذميمة بما يسري بنفسه من النعيم والغبطة والسرور فيستغني عن الدنيا وما فيها ويصل لربك عن طريقك، حيث لا شافي إلا الله سبحانه، أنت دلّهم عليّ وبسعيهم أنا أشفيهم.

﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ يَوۡمَئِذٖ يَوۡمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ غَيۡرُ يَسِيرٖ ۝١٠﴾.

---

٨ ـ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴾ : ساعة الموت، تلك الساعة الرهيبة التي ستحل بكل إنسان عند حفر قبره، قل لهم لابد لكل إنسان أن يموت ويُحفر قبره وينزل فيه وحيداً، فما حالكم إذا متم ولم تفتح بصائركم وتشفى نفوسكم؟ أما الموت للمؤمن فهو ساعة الفرج حيث كان عمله للوطن الدائم: الله، وكان في هذه الدنيا في بلاء وغربة وكربة وصعوبات وعند الموت آن الأوان لساعة الرحيل منها إلى الوطن ويعلم أن الجنة وعد صدق. فما أجمل الموت عنده.

٩ـ﴿ فَذَٰلِكَ يَوۡمَئِذٖ يَوۡمٌ عَسِيرٌ ﴾ : على العاصين والمخالفين الذين ما آمنوا الإيمان اليقيني بالسلوك الإيماني الصادق، حيث سيفقدون كل شيء كانوا بحاجة إليه، سيفقدون شهواتهم وطموحاتهم وينزلون في حال من الرعب والألم والوحدة والظلام، لا أنيس ولا نور لهم، لذلك ومن رحمة الله تعالى بهم لا يتركهم وهم بهذا الحال الرهيب بل يرسل لهم الملائكة يضربونهم ليحوِّلوهم عما هم فيه. بيِّن لهم أن ذلك اليوم عسير جداً، نَبِّهْهم قلْ لهم هل من أحد نجا من الموت؟ قل لهم كل إنسان سيعود لربه وحيداً فكيف ستواجهون الله قبل أن تفتِّح بصائركم . كم ستحل بكم الحسرات والندامة؟ ما حالكم عندها؟!.

١٠ـ﴿ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ غَيۡرُ يَسِيرٖ ﴾ : وهؤلاء يوم موتهم لا يُسرَ فيه. إنه أكبر من كل وصف، جهنم تشتعل فيهم، والشهوات التي كانوا مغرمين بها تصبح ناراً فيهم...

﴿ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ۝١١ وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا ۝١٢ وَبَنِينَ شُهُودٗا ۝١٣﴾.

١١ـ﴿ **ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا** ﴾: خطاب من الله لرسوله ﷺ تخفيفاً عنه مما يلقى من حزن بسبب رحمته وحنانه على هؤلاء المعرضين، كان ﷺ يبكي عليهم كثيراً لا يريد لهم هذا المصير المرعب ويتألم عليهم كثيراً وكاد أن يهلك نفسه عليهم فخاطبه تعالى (**ذَرۡنِي**): أي رحمتي أوسع من رحمتك، لست بتارك أحداً وهؤلاء لا يناسبهم إلا هذا وحالهم يقتضي العلاج ولابد من علاجهم، أنا الرحمن بهم لأخلصهم من شقائهم وأمراضهم. (**وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا**): كم اعتنيت بهذا الإنسان وهو في بطن أمه وهو وحيد ولا أحد معي! شكَّلْته ونظَّمْته وأطعمته وسقيته ما تركته. دوماً ناظرٌ إليه متجلٍّ عليه برحمتي وحناني، كذلك الآن لا أتركه وهو بهذا الحال فلابد من علاجه حتى يطهر.

١٢ـ﴿ **وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا** ﴾: خرج من بطن أمه لا يعلم شيئاً فأعطيته كلَّ ما يحتاج إليه على مدى حياته من بصر وسمع ونطق وقوة وهواء وطعام وشراب وسخرت له الكائنات خدماً له حتى يلتفت إليّ ويستنير ويسير بطريق الحق فيسعد، ولكن تحوّل عن هذا الإمداد وما ظهر عليه بدنياه، أكرمته واتَّبع هواه فلم يلتفت من خلال ما أمده الله تعالى إلى المكرم جلَّ فضله.

١٣ـ﴿ **وَبَنِينَ شُهُودٗا** ﴾: شهوته أن يكون لديه أولاد فخلقت له أولاداً وأمددتهم بالتربية، وبمشاهدته تربيتي على أبنائه لعله يتذكر بدايته وتربيته، وعطفي

﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا ١٤﴾.

وحناني عليه. ورغم هذا ما قدَّر الإحسان. (**شُهُودًا**): حتى يعرف ويشاهد نفسه أنه كان مثلهم نطفة وتكوّن منها فيتنازل عن كبره وإعراضه الذي رماه بالشقاء والتعاسة. إذا فكر الإنسان بهذه النقطة تنازل عن كبره وإعراضه فيشاهد أن لا إلّه إلا الله. كذلك أيها الإنسان بنى الله لك هذا الكون العظيم وأنت مشاهد هذا الخلق حتى تفكر بفضله وعنايته بك وتلتفت إليه.

١٤ـ﴿ **وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا** ﴾: مهدت له بكل الوسائل من أجل هدايته، أزلت له كل العوائق والموانع التي تقف في طريق إيمانه وسعادته. أعرض عني بالأزل[١] وانقطع، فذهب عنه بصره وسمعه وذوقه، فقد كلَّ شيء وعاش بالظلام، أعطيته هذا الجسم إعارة وجعلت له اللسان ليذوق والأذن ليسمع والعين ليرى. أعطاه الله كل الذي فقده بإعراضه ليرجع. رغم هذا الفضل لم يلتفت ويرجع إلى ربه.

جاء للدنيا وأعطيته كل طلباته وشهواته، ما أنقصت عليه شيئاً رغم هذا لم يرجع، عالجته بالدنيا أرسلت له الشدائد والمصائب حتى تخرج محبة الدنيا الوسخة من نفسه ويسلك طريق الحق ومع كل هذا ظل متلبساً بإعراضه وأمراضه ويطلب الزيادة من الدنيا الدنية الوسخة.

---

[١] للاطلاع على المزيد حول "عالم الأزل" لطفاً انظر كتاب (**عصمة الأنبياء**) للعلاَّمة محمد أمين شيخو بحث (الله تعالى وبدء الخلق) صفحة/١١/.

﴿ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ ۝١٥ كَلَّآۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدٗا ۝١٦﴾.

١٥ـ﴿ ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ ﴾: يريد أكثر، مهما أعطيته من الدنيا لا يشبع منها ولا يمل ويطلب المزيد منها وبقاء الإعراض والأمراض، أنا أعطيه لكنه ومع هذا العطاء يزداد إعراضاً ومرضاً ويهلك نفسه وتزداد آلامه وناره في الآخرة.

١٦ـ﴿ كَلَّآ..﴾: في فقه اللغة مشتقة من كلمتي: **(كَلَّ، لا)** فالله لا يكلُّ من علاجه رغم كفره وأمراضه لا يتخلى عنه ليخرجه مما هو فيه من شقاء وهمٍّ وأمراض، قلبه يتحرك فمن المحرك له؟ يأكل ويشرب والأكل يتوزع إلى كل ذرة وخلية من خلايا جسمه، فمن الموزع؟ مَنِ البصير بكلِّ خلية وذرة فيه؟ يوزع لها ما تحتاجه من غذاء وهذا الطعام يتحول إلى سمع وبصر وإحساس وذوق وطاقة وحركة، فمن المحوِّل؟ وما أعظم هذه اليد التي تربيه! الكون بما فيه شمسه وقمره ونجومه وغيومه مَن يسيِّره ويديره؟ كل ذلك لأجل خاطره، من أجل طعامه وشرابه، فمن الذي يدوِّر ويحرِّك ويمد هذا الكون؟ فما أعظم وأرحم هذه اليد الحنونة! هل تخلى الله عنه؟! هل تركه وتخلَّى عنه بالدنيا؟! والآن بعد موته هل يتركه؟! لا.. فالله لا يتخلى عن هذا المعرض ولا يتركه بل عطفه وحنانه عليه كبير. لا بدَّ من علاجه لتطهيره، رحمته وحنانه تعالى تقتضي هذا.

﴿..إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدٗا ﴾: معاند لكلام الله، معارض لدلالة الله التي يدلُّه عليها رسول الله ﷺ، فالله سبحانه وتعالى أرسل أنبياء ورسلاً وأنزل عليهم كلامه ليدلوا الناس على الإيمان ويخرجوهم من الظلمات إلى النور،

﴿سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا ۝١٧ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝١٨ فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ۝١٩﴾.

لكن هذا المعرض سمع وما طبق، عاند رسول الله ﷺ وحارب الحق وأهله. فهل حاربه الله الذي يطعمه ويسقيه حتى يحاربه؟!.

١٧ـ﴿ سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا ﴾: انظر أيها الإنسان إلى حال البعيد عن الله دائماً مهمومٌ شقي لا يعرف معنى للسعادة، السعادة فقط من الله وبالله وهذه الدنيا بما فيها لا تسعد الإنسان بل بالعكس فإنها تعود عليه بالتعاسة، لذائذ عارضة منقضية يعقبها الألم والخسران، ولكن إذا صمم أعطاه إياها فلا إكراه أبداً، (**خذ من الدنيا ما شئت وخذ بقدره همًّا**).

و(**صَعُودًا**): هو في هذا الحال من الصدود وعدم العودة رغم جميع المحاولات التي يعامله بها الله، فكلما زادت دنياه زاد همّه وغمّه لعله يزهق الدنيا ويطلب الحق والحقيقة فيصل للإيمان والتقوى.

١٨ـ﴿ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴾: هل فكّر وقدّر؟ لا لم يفكّر ولم يقدِّر. هل قدَّر الرسول؟ لو التفت إلى الرسول وقدَّره لصار من أهل السمو وأهل الجنة. لو فكر وقارن بين الرسول ﷺ وبين البشر وقايس لوجد كلامه ﷺ فوق كلام العالمين ولقدَّره وأصبح من أهل الجنة، فهو لا فكَّر ولا قدَّر بل اندفع وراء شهواته وصار يسعى لها.

١٩ـ﴿ فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ﴾: بالأزل قبل مجيئه للدنيا قتل نفسه حيث كان بالجنة وكله أبصار وأسماع يرى ويشاهد وهو مع الله بالسعادة والنعيم، فكيف

﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾﴾.

قدَّر؟ قدَّر شهوته وترك ربه واستكبر عليه وبلا نور ولا هدى أخذ شهوته بالظلام وخالف بذلك عهده مع ربه عندما حمل الأمانة. تقديره الذي قدَّره أوصله إلى الانقطاع عن الله فقتله وأخرجه من الجنة والسعادة وفقد جميع ملكاته من سمع وبصر، لأنه تحول عن الممد لها والتفت لشهواته ولم يلتفت لربها، عندها استغرق بلذّة الشهوة وغرق بالشهوة فحجبته عن الله.

٢٠-﴿ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴾: **ثم**: حرف عطف على التراخي. أي: **(ثم)** في الدنيا قتل نفسه بعد أن أحياها الله مرة ثانية وأعطاه ما أعطاه وجعل له فكراً، قتلها لأنه لم يؤمن بالله ولم يفتِّح بالتقوى والاستنارة بنور الله ورسوله ﷺ، لذا أوقعها بالجرائم والأعمال السيئة والفسق والضلال.

٢١-﴿ ثُمَّ نَظَرَ ﴾: نظر لدلالة الله وكلامه فلم يعجبه ذلك، ظن أنّ الرسول ﷺ ضد شهواته بظنه الخاطئ فما أعجبه ذلك.

٢٢-﴿ ثُمَّ عَبَسَ.. ﴾: لأنها لا تناسبه ظن أن الله يريد أن يحيف عليه بالدنيا، شاهد أنَّ تجارته لا تمشي إذا سار بالحق، لذلك عبس عبسة الرافض المعرض عن دلالة الله، فعبَّ من الدنيا وغاص بها وعسعس فيها.

﴿..وَبَسَرَ ﴾: توقف وقطع عن نفسه السرور والنعيم القلبي وسريان نفسه بالغبطة والسرور مع أهل الحق، لم يعد يريد ذلك، لم يرضَ أن يكون من أهل البر، رضي أن يكون من أهل الشهوات الأشرار.

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾.

٢٣ـ﴿ **ثُمَّ أَدْبَرَ..**﴾: لم تعجبه دلالة الله ولا أهل الله بل يريد المحرمات وأهل الفسق والعصيان.

﴿**..وَٱسْتَكْبَرَ**﴾: قال: هل صحيح أن الله بيده كل شيء، ولا حول ولا قوة إلا به؟! هل من المعقول أن هذا الكلام يصل بي إلى السعادة والخير؟ ونحن لم نرَ ذلك بأم أعيننا بل نرى الدنيا، فاستكبر بما لديه.

٢٤ـ﴿ **فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ..** ﴾: هذا شيء مغطّى، هذه غيبيات لا نشاهدها، تخيلات، شيء غير مكشوف... يتخيلون أنه يوجد إلّه ورسول ونحن لم نر الله ولم نر رسوله إلاَّ بشراً، أما الدنيا فأمامنا وهي محسوسة ملموسة، فكيف ننكرها؟!.

﴿**..يُؤْثَرُ**﴾: كلامهم منقول عن كلام الأوائل. الأوائل قالوا مثل هذا، حيث لا علم ولا حضارة عندهم فكلامهم كله خرافات. أما الآن فيوجد علم وحضارة ومخترعات فكيف نتخلى عنها لمجرد كلام لم نشاهد منه شيئاً.

٢٥ـ﴿ **إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ**﴾: ما أقرُّوا أنه رسول من الله وأن كلامه وبيانه عن الله بل قالوا إنه ذكي عبقري سبق أهل زمانه، افتراه من عنده، فهو بشر ليس إلا، وما أنزل الله من شيء، فهل فكَّر، هل استطاع أحد أن يأتي بكلمة واحدة مثله؟.

﴿سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ ۝٢٦ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ ۝٢٧ لَا تُبۡقِي.. ﴾.

٢٦ـ﴿ **سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ** ﴾: وقعوا بسوء المقر. هو أراد الدنيا وما فيها من حضارة وتقنية وعلم زائل زائف وفضّله على ربه، فعادت عليه دنياه وحضارته بسوء المقر[1]، فضّل دنياه على مبدع السموات والأرض، عند الموت يُسجن في بطن الأرض فهي مراده وترجع عليه أعماله تحرقه.

٢٧ـ﴿ **وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ** ﴾:ما أعظمها سجّين، من سجن إلى سجن أعمق، أيها الإنسان بدون إيمان لا تعرفها ولا تشاهدها، المؤمنون شاهدوها من الدنيا بمعيّة رسول الله ﷺ ونوره، شاهدوا كل شيء سيحدث ويجري معهم في الآخرة كما جرى مع السحرة الذين قدروا سيدنا موسى عليه السلام فتحدثوا عن شهود وشرحوا أحوال أهل الجنة في الآخرة وأحوال أهل النار. أما المعرض الأعمى فما شاهدها لذلك رمى نفسه بهذا المقر، وأنزل نفسه فيه وهذا المقر سيوصله للنار بناء على طلبه ليخلص من ألمه الجهنمي بعد انتهاء الشهوة التي تحجبه وقدوم الموت.

٢٨ـ﴿ **لَا تُبۡقِي..** ﴾: لا تبقي له شيئاً من دنياه، يخسر أهله وأصدقاءه وماله، يخسر جسده وحواسه، بصره، سمعه، ذوقه، يخسر هذا الكون الذي كان معتمداً

---

[1] وكذلك أهل هذا الزمان عادت عليهم حضارتهم بالأعاصير والطوفانات والبراكين ودخانها وحممها والزلازل ودمارها وإفلاس البنوك وطاعون الطيور وجنون البقر والفيروسات والأمراض والحروب أحاطت بهم، لأنهم حاربوا دين الله فوقعوا بالبلاءات والشدائد وبما يسوؤهم (وقعوا بسوء المقر)، هداهم الله وردَّهم للخير برحمته.

﴿..وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾.

عليه، ويرى أنه خسر نفسه وجناته وسعادته لذلك يقول لم يبقَ لي أحد ولكن هل الله تركه؟! ويذهب إلى النار. ﴿..وَلَا تَذَرُ﴾: هذه النار تنسيه آلامه وأحزانه وتحوله عن نار الحسرة والندامة وما حلَّ به من همٍّ وغمٍّ، فهي لا تذر بنفسه شيئاً لكن لا يُخلق له فيها شيء من سعادة وحياة، فهي تجدي ولكن لا تشفي. لا تفيده شيئاً للشفاء، الله وحده الشافي.

٢٩ـ﴿ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾: هذه النار لواحة للبشر. أي: المبشّرون بالجنة والعطاء، وهم الذين سلكوا بطريق الإيمان وآمنوا صارت لهم رابطة برسول الله ﷺ هؤلاء يشاهدون النار من الدنيا ويتّقونها بما لديهم من نور وارتباط قلبي بنور الله ورسوله ﷺ.

٣٠ـ﴿ عَلَيْهَا..﴾: على النار. ﴿..تِسْعَةَ عَشَرَ﴾: حتى الأعداد كما في فقه اللغة لها معانٍ فالسبعة: من التسبيع أي التطهير، والثمانية: من الشيء الثمين، والتسعة: من الوسعة، والعشرة: من المعاشرة، فالله سبحانه وتعالى بهذه الآية يقول هذه النار المعدَّة لهؤلاء الذين أعرضوا تكفي وتتسع لكل شيء في نفوسهم من علل وأدران وأمراض ولكل شيء خالطته هذه النفس وعاشرته بما لا يرضي الله من حبٍ للأغيار وشهوات محرمة، فهذه النار تتسع لكل عللهم وتنسيهم آلامهم وأوجاعهم وأحزانهم وتحولهم عما في نفوسهم من نار الحسرة والندامة التي هي أشد من نار الله الموقدة.

﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ..﴾.

٣١ـ﴿ **وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً..**﴾: فالله يقول أنا لا أنسى عبدي المريض من رحمتي، أنا حضَّرت له مشفى لآلامه وعلله وجعلت أكرم وأجمل خلقي ملائكتي ممرضين لهذا الإنسان الذي أعرض عني ولم يؤمن ويعمل صالحاً، وبهذا خسر ما أعددته له من جنات ونعيم، فعندما يرى هذا المعرض خسارته الكبرى لجناته وما أعدَّه الله له فضيَّعها، كما خسر المكانة الكبرى التي رُشِّح لها بحمله للأمانة وقد خان الأمانة وخسر مشاهدة وجه ربه الكريم، كما خسر نفسه وأهله إلى الأبد. فأي خسارة أكبر منها! عندها يقع بنار الحسرة والندامة على ما ضيَّع وخسر من مقامٍ عالٍ فيرمي بنفسه في النار لينسى آلامه التي لا تطاق. وقوله ﷺ: «**إن العار ليلزم المرء يوم القيامة حتى يقول: يا رب لإرسالك بي إلى النار أيسر علي مما ألقى، وإنه ليعلم ما فيها من شدة العذاب**»[1]. فالله يقول: (**وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً**): كلهم لطف ورحمة وحنان وعطف منصبغون بأسماء الله الحسنى. ﴿**..وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ..**﴾: النيران. ﴿**..إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ..**﴾: كالمريض الذي يُفتَن بالدواء ليخلص من آلامه، كذلك الكافرون يُفتنون بالنار ويشتهونها

---

[1] المستدرك على الصحيحين للحاكم رقم الحديث: (٨٨٧١).

﴿..لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ..﴾.

ويعشقونها ويشاهدون أنها إكرامٌ من الله لهم، فالله سبحانه وتعالى يقول: (..**وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّـٰلِمِينَ**)[1]. والمأوى هو مكان الراحة فالإنسان يأوي إلى بيته وفراشه، والمثوى: هو مكان الإكرام المناسب لكل إنسان، لقوله تعالى في سورة يوسف:

(**وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ..**)[2]. وكذلك المريض مكان إكرامه في المشفى، وهذا الكافر يشاهد النار هي المكان المناسب له ومكان إكرامه، فيطلبها ويرمي بنفسه فيها ليخلص مما به من آلام نيران نفسه الجهنمية. فما أبشع حياة الكافر، وما أشقاها!. (**فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ**)[3]. بذاته يرتمي فيها ببسالة.

﴿..**لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ..**﴾: الذين أوتوا الكتاب هم الذين استجابوا لله وللرسول من النصارى واليهود مثل عبد الله بن سلام وأمثال النجاشي وصهيب الرومي وبلال الحبشي وغيرهم رضوان الله عليهم الذين آمنوا واتقوا وانطبع الحق بنفوسهم وعقلوا الكتاب عن طريق رسلهم، هؤلاء يعرفون أن الله رحيم وحاشاه أن يكون قاسياً على هذا الإنسان ويضعه بالنار، لكن لا يعرفون معنى هذه الآية وشرحها ومفهوم النار، لذلك عندما شرح

---

(١) سورة آل عمران: الآية(١٥١).

(٢) سورة يوسف: الآية(٢١).

(٣) سورة الفجر: الآية(٢٥ـ٢٦).

﴿..وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَـٰنًا ۙ وَلَا يَرۡتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَـٰبَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلۡكَـٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلاً..﴾.

لهم رسول الله ﷺ معنى النار نزل المعنى بقلوبهم واطمأنت نفوسهم وارتاحوا وأصبحوا باليقين بعد أن عرفوا المعنى شاهدوا النار والحكمة منها والرحمة من خلقها.

﴿..**وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَـٰنًا**..﴾: يزدادون إيماناً بهذا البيان الذي بيَّنه الرسول ﷺ لهم عن النار ومفهومها، حيث شرحها لهم وبيَّن رحمة الله فيها فهاموا بالله هياماً وازدادوا به إيماناً ويقيناً.

﴿..**وَلَا يَرۡتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَـٰبَ**..﴾: الريب هو الشك الذي يحوِّل الإنسان عن الحق. فهؤلاء أصبحوا على يقين ولديهم الحجة البالغة بما بيَّنه لهم رسول الله ﷺ فلا يستطيع أحد أن يشكِّكهم في رحمة الله أو يجادلهم في عطفه وحكمته أبداً. ﴿..**وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ**..﴾: كذلك لا يرتابون أبداً بعد هذا البيان، بيان رسول الله ﷺ لأنه علَّمهم الكتاب والحكمة منه.

﴿..**وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ**..﴾: مرضهم حبُّ الدنيا من مالٍ وجاهٍ ونساءٍ وأولادٍ، هؤلاء ينكرون هذا المعنى بما أوعوه بنفوسهم وبظنِّهم السيئ بربهم. ﴿.. **وَٱلۡكَـٰفِرُونَ**..﴾: كذلك، أعداء الحق والدلالة.

﴿..**مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلاً**..﴾: والحقيقة أن القرآن لا يفهمه إلا المؤمنون.

﴿..كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡبَشَرِ ٣١﴾.

(..قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞ..)[1].

﴿..كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ..﴾: المشيئة لك أيها الإنسان، والله يُضِلُّ كلَّ مَنْ صمَّم وأرادَ الضلالة، فهو سبحانه أعطى الإنسان الاختيار ولا ينازعه ذلك ولا يقف أمام ما اختاره.

(لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ..)[2].

﴿..وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ..﴾: يهدي الصادقين السالكين فقط، كل من شاء الهداية لنفسه وعمل من أجلها وسلك القوانين فالله يهديه.

﴿..وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ..﴾: النفوس الأخرى غيرُ المكلفة كلّها مسخرة للإنسان من أجل أن يخاف ويرجع عن ضلاله إلى الهدى، الفيروسات، الجراثيم، الأمراض وو... وعوالم لا يعلمها إلا الله كلها في حقيقتها لتحويل الإنسان إلى طريق الحق. ﴿..إِلَّا هُوَ..﴾: هو سبحانه وتعالى يحوِّلها لخيرك.

﴿..وَمَا هِيَ..﴾: دلالة الله سبحانه وتعالى. ﴿..إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡبَشَرِ﴾: لا يستفيد منها إلا البشر طالبو الحق، هؤلاء لهم البشرى، هذا يتذكر العهد ويرى بمنظار الرسول ﷺ الحقائق كلها.

---

[1] سورة فصلت: الآية (٤٤).

[2] سورة البقرة: الآية(٢٥٦).

﴿كَلَّا وَٱلۡقَمَرِ ۝٣٢ وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ۝٣٣ وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ ۝٣٤﴾.

٣٢ـ﴿ كَلَّا وَٱلۡقَمَرِ ﴾: أيها الإنسان لست متروكاً والله لم يتخلَّ عنك، وضع لك القمر فيه آية بينة، خلقه الله من أول الدوران إلى آخره، ولولاه لما عرف الناس المواقيت وعدد الأيام والسنين والأشهر الحُرُم وفي نوره أنس للعليل في ليله. فالله عزّ وجلّ وضع لك القمر، هذه الآية، لتفكر فيه وفي منازله التي يحلُّ بها للتوصل لعظمة خالقه وموجده وعنايته تعالى بك وحبِّه لك.

٣٣ـ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ﴾: الليل وما يرافقه من برودةٍ وسكونٍ وهدوءٍ ممّا يساعد الأحياء والنباتات على النمو. ﴿..إِذۡ أَدۡبَرَ ﴾: (إِذۡ) لحدوث الأمور فجأة وبسرعة وبشكل غير متوقع، فالليل ينحسر ظلامه ويبدأ النور بالسريان وذلك بعد الفجر فتنكشف الأشياء ويختفي الليل، وهذا مدَّته بسيطة أي بعد الفجر إلى الصبح.

٣٤ـ﴿ وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ ﴾: والصبح: مأخوذة في فقه اللغة من كلمتي (صب ـ صحى) فالأنوار تبدأ بالانصباب على وجه البسيطة وتغمر الأرض وتصحو الدنيا ويظل هذا الصحو إلى آخِر النهار، فالصبح يبدأ من قبل طلوع الشمس ويزداد ليشمل النهار كلَّه ويُسفِر عن الأشياء بضياء النهار والذي يمتد اثنتا عشرة ساعة تقريباً. لذلك جاءت (إذا) وهي ظرفية لما يستقبل من الزمان لا (إذ) الفجائية.

﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ۝٣٥﴾.

٣٥ـ﴿ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴾: نعم، هذه الآية حدث كبير وعظيم، فمن يقلِّب هذه الكرة الأرضية ويديرها ويحركها؟ من يأخذ الليل ويأتي بالنهار؟. يد مَن تسيّر كل ما في الكون؟ والقمر جامد مَن يحركه ويديره في منازله؟ فكم هي عظيمة تلك اليد المدبرة المتصرفة التي تحركه! فهذه الآية من الآيات الكبرى التي تستدعي التأمل والتفكير، وتوصل الإنسان إن كان صادقاً في طلب الإيمان إلى الإلَه المتصرف المدبّر.

هذا معنى، وكلام الله لا حدّ له ولا يقف عند معنى واحد، فكما أن للآيات القرآنية الكريمة دلالة إلى آيات الله سبحانه وتعالى في هذا الكون، المادية المحسوسة الملموسة، فللآيات الكريمة أيضاً بعالم الحقائق دلالاتٍ ومعانٍ أوسع. فالقرآن الكريم أشار بآيات عديدة وشبَّه السادة الرسل بالشمس كما في سورة يوسف ورؤيا سيدنا يوسف عن أبيه سيدنا يعقوب عليهما السلام:(**إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ**)[1]: ويقصد بالشمس أباه والقمر أمه التي تستقي نورها من زوجها سيدنا يعقوب عليه السلام كما يستمد القمر نوره من الشمس، كذلك فإن سيدنا محمد ﷺ هو شمس النبيين والسادة الأنبياء يستمدون نورهم عن طريقه ﷺ، فهو شمسهم وهم أقماره.

---

(١) سورة يوسف: الآية(٤).

وبعد هذا التمهيد نعود للآيات التي كنَّا بصددها لنفهم بعض حقائقها وقد توحي لنا ﴿ **كَلَّا وَٱلْقَمَرِ** ﴾: القمر إنما هو رمز لرسول الله سيدنا عيسى ﷺ، الذي هو قمرٌ لشمس النبيين سيدنا محمد ﷺ، فرعٌ من الأصل فبقدومه الثاني وتشرّف الدنيا بظهوره، سينجلي الظلام الذي خيّم على القلوب. ﴿ **وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ** ﴾: وبما أن اليوم قد عمَّ الجهل وساد الظلام والبعد عن الله خالقِ النور والحياة، فعاش الناس في ليلٍ قلبي بهيمٍ من الظلم والجور والفسق والعصيان وسدَّ ذلك عن القلوب النور فسقطت في سدف الظلام، ولكن يأبى الله لعباده العمى والضياع ويكره لهم الكفر ولا يرضاه لهم فلابدّ لليل أن يضمحل وذلك بأمر الله (**وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ**)[1]. تأتي ضربة واحدة فلا يدوم الليل بل ينجلي وبعدها يظلُّ السلام والإسلام يرفرف في ربوع المعمورة إلى قيام الساعة.

﴿ **وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ** ﴾: سيظل هذا النور نور الإيمان والإسلام والسلام والإنسانية باقياً إلى آخر الدوران وذلك بتشرف الكون برسول السلام قمر الحقيقة سيدنا عيسى عليه السلام، وفي القرآن دلائل كثيرة على حتمية قدومه وتشرفنا بأنواره البهية وطلعته السنية[2].

---

(١) سورة القمر: الآية (٥٠).

(٢) وقد أفرد العلاَّمة محمد أمين شيخو كتاباً خاصاً حول هذا البحث اسمه (**السيد المسيح رسول السلام يلوح بالأفق**) وفيه يستعرض الأدلة القرآنية على عودته عليه السلام بهذا الزمان، فللمزيد حول هذا البحث يمكن الرجوع إلى الكتاب المذكور.

﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ۝٣٦ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ۝٣٧﴾.

﴿ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ﴾ : قيام الساعة وأهوالها، هذه كبيرة حقاً (**بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ**)[1]. كل الرسل والأنبياء عليهم السلام تحدثوا عنها. والآن توسعنا في فهم حقيقة الآية كما ذكرنا دلالتها الصورية (**قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا**)[2].

٣٦ـ﴿**نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ**﴾ : قل إنما أنا النذير المبين. أنذرهم ﷺ من الساعة وأهوالها، أنذرهم من الموت وما فيه ومن الآخرة ونارها حتى يخافوا على مصيرهم ويمشوا بالحق، الذي فكر وخاف أُنذر هذا استفاد فآمن ونجا، وصار من أهل السعادة دنيا وآخرة، فهذه الدلالة دلالة الله المنزلة على رسول الله ﷺ.

٣٧ـ﴿ **لِمَن شَآءَ مِنكُمْ**..﴾ : المشيئة لكم.﴿..**أَن يَتَقَدَّمَ**..﴾ : بالإيمان والأعمال الصالحة الطيبة، وهؤلاء هم الذين سمعوا وفكروا وطبقوا القوانين من تفكير بالموت وتفكير بآيات الله والكون فقدموا بعد إيمانهم أعمالاً عاليةً طيبةً لله انتفع بها البشر. ﴿..**أَوْ يَتَأَخَّرَ**﴾ : عن فعل المنكر والأعمال السيئة، فتاب وإلى الحق أناب.

---

(١) سورة القمر: الآية (٤٦).

(٢) سورة الكهف: الآية (١٠٩).

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾﴾.

٣٨ـ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ** ﴾: رهينة أعمالها السيئة، فعمل الإنسان المعرض هو الذي يُنْزِله في القبر ويسجنه فيه حيث الظلام والرعب والوحدة إلى يوم القيامة، لأن هذا المعرض أشاح عن منبع الأنوار جلَّ شأنه فلم يؤمن بالله العظيم.

٣٩ـ﴿ **إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ** ﴾: أهل اليمين، أصحاب أعمال الخير، الذين قدموا صالح الأعمال والتي كلُّها يُمْنٌ وخير، هؤلاء أعمالهم أوصلتهم إلى النجاة من عذاب القبر والنار، وصلوا إلى السعادة والجنة.

٤٠ـ﴿ **فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ** ﴾: عن أصدقائهم وأهلهم الذين كانوا معهم في الدنيا، يفتشون عنهم ليعرفوا إلى أي نتيجة صار هؤلاء، ويطمئنوا عليهم حيث سمعوا دلالة الله مثلهم فيجدوهم مجرمين، أي: محرومون من الخير.

٤١ـ﴿ **عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ** ﴾: الذين أجرموا بحق أنفسهم وحرموها من كل خير بانغماسهم بشهواتها فما عملوا لآخرتهم وجنتهم وبهذا أشقوا أنفسهم وحرموها السعادة الأبدية ورموها بعذاب القبر والنار.

٤٢ـ﴿ **مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ** ﴾: ما الذي أوصلكم لهذا المقر السيئ، هذا السجن وهذه النار؟!.

﴿قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ۝٤٣ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ۝٤٤ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ ۝٤٥ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤٦ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ ۝٤٧ فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ۝٤٨﴾.

٤٣ـ﴿ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ﴾ ما أقبلنا على الله بصلاتنا حتى نكسب كمالاً ورحمة بنفوسنا ونعمل صالحاً، فالخير لا يأتي إلا من الله، لذلك قال رسول الله ﷺ: **(تارك الصلاة لا خير فيه)**.

٤٤ـ﴿ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ﴾: ما نظروا لجانب ربهم حتى ينظروا للمسكين والفقير، ما عملوا خيراً لقسوة قلوبهم صارت أعمالهم كلُّها عاطلةً سلباً ونهباً.

٤٥ـ﴿ وَكُنَّا نَخُوضُ.. ﴾ بالشهوات والفسق والضلال. ﴿..مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ ﴾: مع أهل الدنيا، نظرنا لسيرهم فأُعجِبنا به وخضنا معهم بالشهوات المحرّمة، أعطينا نفوسنا هواها الذي أعماها.

٤٦ـ﴿ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾: يوم القيامة، نفوسنا ما صدقت أنه سيأتي يوم ونحاسب فيه، أما بلسانهم فيعترفون كذباً أن هناك قيامةً وحساباً وثواباً.

٤٧ـ﴿ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ ﴾: الموت، شاهدت نفوسهم الشيء الذي كذبوا به وأنكروه.

٤٨ـ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾: (ٱلشَّٰفِعِينَ): هم الرسل والأنبياء عليهم السلام جعلهم الله لنا شفعاء لنستشفع بهم، أي نربط نفوسنا بهم بالمحبة

﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾﴾.

والتقدير والتعظيم وهم عليهم السلام يربطوننا بمحبة الله ويدخلوننا عليه، وهذه الصحبة بالدنيا وتستمر إلى أبد الآباد بالنور والسعادة والجنات. لكن أولئك بعد أن ماتوا وظهرت نتائجهم كيف يستشفعون وينتفعون بصحبة الرسل والأنبياء الكرام عليهم السلام؟! لابد أولاً من علاجهم. كذلك الرسول ﷺ رائحته طيبة زكية وهم روائحهم منتنة خبيثة من أعمالهم المخزية الخبيثة فكيف يستطيعون وهم بهذا الحال مصاحبة الرسل والأنبياء؟!.

٤٩ـ﴿ **فَمَا لَهُمْ..**﴾: أي شيء لهم من هذا الكون؟ هل يملكون شيئاً؟ هل الكون لهم، هل هم خلقوه؟! هل أجسامهم وحياتهم لهم وبأيديهم؟! فما هم فيه الآن إعارة ومستخلفون به وغداً سيزول هذا الشيء عنهم؛ سيزول الكون وستزول أجسادهم وتذهب حياتهم فلا بصر ولا سمع يبقى لهم، سيتركون الكلَّ والكلُّ يتركهم ولا يبقى لهم إلا الله. فلماذا هم ﴿..**عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ**﴾: عن كلامي الذي يتكلم به رسولي معرضون لا يسلكون بطريق الحق ويطبقونه. والله يصف حالهم عندما جاءهم الهدى على لسان رسول الله ﷺ:

٥٠ـ﴿ **كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ** ﴾: مثل الحمير الوحشية، فالحمار من صفاته أنه يحمل على ظهره ولا يعرف ماذا يحمل ويسير به، وهؤلاء المعرضون جعلوا أنفسهم كالحمير حيث حملوا شيئاً عظيماً، حملوا الأمانة، وعاهدوا الله

﴿فَرَّتۡ مِن قَسۡوَرَةِۭ ۝٥١ بَلۡ يُرِيدُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُؤۡتَىٰ صُحُفٗا مُّنَشَّرَةٗ ۝٥٢﴾

على الوفاء بها لكن ما عملوا لها ومروا بالدنيا، حفظوا الألفاظ لكن ما شاهدوها وما عقلوها فما وفُّوا بما عاهدوا الله عليه، وغيرهم يحملون الدسوس ويمرون بها بين الناس ويُعلِّمونهم إياها فباؤوا بغضب من الله وهم يحسبون أنهم مهتدون.

٥١ـ﴿ **فَرَّتۡ مِن قَسۡوَرَةِۭ** ﴾: عندما يظهر لها أسد تفرُّ خوفاً وفزعاً منه، وهؤلاء عندما جاءهم الحق من الله على لسان رسوله ﷺ وهو هذا البيان وهذه الدلالة صار حالهم كحال هؤلاء الحمير استنفروا خوفاً وفزعاً من الحق. ظنُّوا أنَّهم إن ساروا به سوف يحرمون أنفسهم من شهواتها وملاذها ودنياهم وما فيها. نظروا للحق ولأهله ولله سبحانه وتعالى أنه قاسٍ وظالمٍ يريد أن يحرمهم شهواتهم ففرُّوا من الله والرسول إلى غيرهم، وصاروا يحاربون الحق وأهله ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها ظناً منهم أنهم خالدون بالدنيا وأن الموت لا يأتيهم.

٥٢ـ﴿ **بَلۡ يُرِيدُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُؤۡتَىٰ صُحُفٗا مُّنَشَّرَةٗ** ﴾: كالتلميذ الكسول يريد أن تنكشف له الأوراق دون دراسة ولا تعب، وهؤلاء يريدون أن يروا الله والملائكة والآخرة دون أن يسلكوا بالقانون الرباني، أي عن طريق التفكير بالتربية حتى يطبقوا كلام الله ويستقيموا على طاعته. فما الفائدة

﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ ۝ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ ۝ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝ وَمَا يَذۡكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ.. ﴾.

من كشف كل هذا لهم وهم لا عمل صالحاً لهم يدخلهم الجنة؟ والجنة بالأعمال الصالحة، فلا فائدة من ذلك.

٥٣ـ﴿ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ ﴾: هذا هو السبب لعدم سيرهم بالحق؛ لأنهم ما خافوا من الموت، ما ذكّروا أنفسهم به وما أيقنوا به حتى يخافوا ويسيروا بالحق، ما صدّقوا أنهم سيموتون ويتركون دنياهم، لذلك ركنوا إليها ظناً منهم أنها باقية.

ما فكروا بالآخرة حتى يعرفوا أن هناك جزاءً وحساباً وثواباً على الأعمال.

٥٤ـ﴿ كَلَّآ إِنَّهُۥ ..﴾ : هذا القرآن الكريم وهذا البيان الذي جاء به رسول الله ﷺ عن الله ﴿.. تَذۡكِرَةٞ ﴾: يذكّرك أيُّها الإنسان، أي بمعية رسول الله ﷺ تسري نفسك وتشاهد المعاني المخبأة وراء الألفاظ، فتتذكر وتشاهد عهدك مع الله وكيف أنك عاهدته ألاَّ تنقطع عنه وتمشي بالنور، تَسْري نفسك إلى الآخرة وتشاهدها، وإلى الجنة وتعيش بها وأنت بالدنيا.

٥٥ـ﴿ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴾: الاختيار لك أيها الإنسان إن شئت وسلكت طريق الحق تشاهد هذا الشيء، فالباب مفتوح وكل إنسان عنده الإمكانية.

٥٦ـ﴿ وَمَا يَذۡكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ..﴾: حتى تتذكر وتشاهد وتصبح من أهل الجنة والسعادة لابد لك أيها الإنسان من أن تسلك ضمن ما شاءه لك من

﴿..هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ ۝٥٦﴾.

قانونٍ وتسير عليه ؛ وهو الصدق بالطلب وعلامته التفكير بالموت والاستقامة على طاعة الله والابتعاد عن المحرمات والتفكير بآيات الكون للوصول إلى الله، والمداومة على ذلك مهما طال بك الزمن، فإن وجد ربك لديك الصدق كشف لك وأراك وذكَّرك بمعية رسوله ﷺ.

إن وجدك ربك غير صادق لا يهديك ولا يذكِّرك بشيءٍ.

إذن المسألة بالصدق اطلب تعطَ.

﴿..**هُوَ**..﴾ : رب العالمين. ﴿..**أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ**..﴾ : التقوى هي الاستنارة بنور الله. فالله سبحانه وتعالى هو الذي يؤهِّلك للتقوى فترى بنوره وبنور رسوله ﷺ أسماءه تعالى الحسنى فتصبح ذا بصيرة ترى بها الخير خيراً والشر شراً.

﴿..**وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ**﴾ : يشفيك من العلل والأمراض والأدران وحبِّ الدنيا، ولا يشفي نفسك إلا ربها حتى تستطيع الإقبال عليه ونيل الخير والجنات بما تقدمه من أعمال صالحة.




عددُ آياتها
٤٠
تأويل
سورة القيمة
رقمُ السُّورة
٧٥

سورة القيامة

ترتيبها ٧٥ — آياتها ٤٠

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحۡسَبُ
ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلۡ
يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ
﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلۡقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذٍ
أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمُسۡتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ
يَوۡمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ ﴿١٤﴾ وَلَوۡ أَلۡقَىٰ
مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ
وَقُرۡءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾
كَلَّا بَلۡ تُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾
إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذِۭ بَاسِرَةٞ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفۡعَلَ بِهَا فَاقِرَةٞ ﴿٢٥﴾
كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلۡتَفَّتِ
ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ
﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوۡلَىٰ لَكَ

فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾
أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ
ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧيَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾

سورة القيامة

ترتيبها ٧٥ — آياتها ٤٠

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١﴾.

١ـ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾: رغم عظمة هذا اليوم وأحداثه الرهيبة الكبرى فالله سبحانه وتعالى لا يقسم به، لأن القسم لا يكون إلا بشيء كامل لا نقص فيه. فالله سبحانه وتعالى عندما خلق الأنفس جميعها خلقها للسعادة وليدخلها الجنة، لكن عندما جاؤوا للدنيا غيَّروا وأعرضوا فصار هناك خسارة للمعرضين وربح للصادقين بعهدهم.

فأناس بما قدَّموا من أعمال سيئة خسروا فكانوا سبب مرض أنفسهم وأشقوها بالدنيا وشهواتها فكان لابد من علاجهم، فالنار يوم القيامة مثوى لهم ومكان لعلاجهم. وأناس بما قدَّموا من أعمال عالية صالحة رقوا وهؤلاء الجنة مأواهم، وهم بالسعادة والنعيم. فلو كان لأب عشرة أولاد؛ تسعة منهم نجحوا وواحد رسب وأجرم ودخل السجن ووقع بالآلام والأمراض تُرى هل يكون هذا الأب سعيداً ؟ فأين رحمة الآباء من رحمة الله وهل تُذكر رحمتهم أمام رحمة الله تعالى؟.

﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾.

فالله سبحانه دعا كلَّ النفوس إلى مأدبة عالية ذات قدر وقيمة. أناس استجابوا وأناس لم يستجيبوا رغم وجود الإمكانية عندهم، لو استجاب الكل لأقسم سبحانه وتعالى بيوم القيامة. وكذلك يوم القيامة وإعادة الأنفس وقيام الأجساد كلُّه على الله هين ويسير لذلك فالله لا يقسم بيوم القيامة.

٢ـ﴿ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾: والنفس اللوامة هي أرقى نفس بعد نفوس السادة الرسل والأنبياء، وأصحاب هذه النفوس متواضعون غير متكبرين. الذي يكشف عَيْبَهم يصبح حبيبَهم ويتراجعون عن خطئهم حالاً بالتوبة إلى الله. (**النفس اللوامة**): دائماً تلوم ذاتها ولا تلوم غيرها، تنظر لعيبها وتطلب من الله الشفاء منه. (..**فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ**..) [١]، لا تنظر لعيوب الآخرين، لا تقُل فلان قابلني بكذا وكذا وفلان تكلم عليّ، وإنما قُل لنفسك أنا أخطأت وعاد عملي عليّ، وفتش عن خطئك لتتوب، وهذه النفس اللوامة هي التي تتطهر وتنال عطاءات ربها وتصل إلى درجات عالية، تصل للتقوى وتصاحب رسول الله ﷺ، ومع ذلك لم يقسم الله بها، ولكن أقسم فقط بعمر الرسول ﷺ الذي ما ضيع فيه لحظة عن التفكير فما ضلَّ وما غوى أبداً.

---

[١] سورة التوبة: الآية (١٠٨).

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ۝٤﴾.

٣ـ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ ..﴾ : أهكذا يظن؟!. ﴿.. أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴾: لولا العظام لم يقف الجسم، فهيَ الأساس الذي يقوم عليه الجسم ولولاها لما استطاع الإنسان أن يقف على الأرض ولا أن يتحرك ولا أن ينفّذ شهواته ومتطلباته. هذا الإنسان الذي حسب أن لن تُجمع عظامه وأنكر البعث والحساب، ظنَّ الدنيا كلَّ شيء ولا وجود للآخرة ولا لرب العالمين، فضيَّع نفسه بهذا الظن وأهلكها لأنه ما فكر، ما استعمل هذه الجوهرة التي منحها الله له، لو استعملها ما ظن هذا الظن. فالله قادر على جمع عظامه والدليل: ألم يخلق سبحانه وتعالى سيدنا آدم عليه السلام من تراب وبكلمة "كن"؟ فكيف قال: إذا كنت تراباً فلن تجمع عظامي، وأنكر ربه والآخرة والحساب! أما أتى على الإنسان حينٌ من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً؟! هل كان الإنسان شيئاً قبل أن يخلق، ألسنا من منتجات الأرض ومن هذا التراب؟! الأب أكل فتشكلت النطفة، والأم أكلت فتشكل الجنين وأصبح إنساناً كاملاً سوياً، فكيف قال هذا الإنسان إن الله غير قادر على جمعه وخلقه مرة ثانية من تراب وهو الذي خلقه أول مرة من تراب! أيصعب عليه سبحانه وتعالى خلقه مرة ثانية بعد الأولى؟!.

٤ـ﴿ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴾: وكلمة (قَٰدِرِينَ): رد على هذا الإنسان الذي ما فكر وأنكر. وهي تعني أن الذي ينكره هذا الإنسان جارٍ

﴿بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥﴾.

أمامه وحادث في كل لحظة، حيث لم ينقطع خلق رب العالمين للأجسام وكلها من تراب.

ألم يشاهد هذا الإنسان خلق أبنائه وخلق باقي الكائنات أمام عينه؟ أليس هذا دليلاً على أن الله قادر على إعادة خلقه وسيعيده وسيحاسبه، فلم العجب والإنكار؟! الذي صنع المذياع أول مرة، هل يصعب عليه صناعته وتكراره مرة ثانية؟ بل على العكس في المرة الثانية أهون عليه من المرة الأولى.

٥ـ﴿ بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ﴾: "الفَجْرُ" هو البيان والظهور، وهذا الإنسان رغم إعراضه يريد أن تظهر له الحقائق ويراها أمامه دون سعي منه وجهاد. يقول إذا كان هناك آخرة ليريني الله إياها، لا يوجد أحد مات ورجع وتكلم عن عذاب الآخرة، من أين أتيتم بهذا ؟! الإنسان بعد سنوات يصبح تراباً وتبلى عظامه، فكيف تقولون أن هناك عذاب قبر ليوم القيامة؟! هذا الكلام لا أصل له، وإذا كان له أصل أروني، كالطالب الذي يقول لأستاذه: اكشف لنا يا أستاذ أوراق وأسئلة الفحص وهو لم يدرس.

هذا المعرض ولو كُشف له كل شيء لا يستفيد ويبقى على كفره. بنو إسرائيل كم شاهدوا معجزات أمام أعينهم، ومع هذا ما استفادوا!. شاهدوا سيدنا موسى عليه السلام كيف ضرب البحر بعصاه وصار طرقات وساروا فيها، شاهدوا إحياء الميت وكيف قام وتكلم عن قاتله، شاهدوا معجزات كثيرة ومع ذلك

﴿يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝٦ فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ ۝٧﴾.

ما استفادوا، بل العكس نكثوا واتبعوا السامري. هذا الكون العظيم وهذا التسيير له وما تراه أيها الإنسان كل يوم من خلق جديد من نباتات وزهور وأشجار وثمار وحيوان وإنسان، أما هو دليل على وجود إلَه؟! أما شاهدت خلق أبنائك وكيف تكوَّنوا في بطون أمهاتهم، أما كنت مثلهم؟!.

هل يبني الإنسان بيتاً بلا غاية ولا هدف، هذا الكون العظيم بناء الله، فهل يعقل أن الله خلقه عبثاً بلا غاية ولا هدف؟! فما غايته، وما هدفه من خلقك؟! ألا تفكر بهذا؟!. **(وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ)**[1].

٦ـ﴿ **يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ** ﴾: أيَّان: بأيِّ وقت يكون يوم القيامة، وإذا كان هناك قيامة فالوقت طويل. الدنيا فيها بسط و"كيف" ونساء و"شم هوى" كيف نضيِّع هذا البسط؟! مع أن الإنسان كل يوم يقترب منها، ففي كلِّ لحظة الموت متوقع.

٧ـ﴿ **فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ** ﴾: عند الموت وبلمح البصر يذهب عن هذا الإنسان كل شيء. تذهب دنياه وما فيها من شهوات وتختفي عنه بسرعة كما البرق يظهر ويختفي، ولا ملموس بعد الموت ونفسه في عماء لم يعمل إلا للدنيا ما عمل للآخرة، والآخرة لا محسوس ولا ملموس بها، ليس فيها إلا حقائق، وهو لم يشاهدها بالدنيا، اعتمد على عينه فقط، فما سعى وما أوصل نفسه لله حتى يرى بنوره الحقائق.

---

(١) سورة الأنبياء: الآية (١٦).

﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩﴾.

---

٨ ـ﴿ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴾: الله يريد من كل إنسان أن يصبح قمراً لرسول الله ﷺ السراج المنير، ويستضيء بنوره كما يستضيء القمر بنور الشمس، إلا أن هذا المعرض خسف نفسه؛ جعل الدنيا وشهواتها حجاباً بينه وبين رسول الله ﷺ الشمس التي لا تغيب، كما الأرض تكون حجاباً بين الشمس والقمر عندما ينخسف القمر، فأظلم.

٩ـ﴿ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴾: جمع عن هذا المعرض الشمس والقمر وأنوارهما، أي ذهب عنهم فلم يبقَ له نور عند الموت وحل بالظلمات، فمن أين يأتي بالنور؟!. (..وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ)[1].

أصبح أعمى البصر والبصيرة وحالته مرعبة، ظن الدنيا باقية دائمة فاعتمد عليها وعلى أنوارها والآن ذهبت عنه. هذا المعرض استحلى الدنيا بسبب إعراضه عن الله وعدم تفكيره بآيات الله، وكما جعل الله لهذا الجسم أنواراً بواسطة الشمس والقمر جعل لهذه النفس شمساً حقيقية وهي نفس رسول الله ﷺ، وقمراً مرشداً بكل زمان يوصل إلى رسول الله ﷺ، صفته أنه لا ينقطع عنه تعالى أبداً؛ وهذا المعرض ما استفاد من الشمس ولا من القمر، ما آمن فما عرف ربه، وعند الموت ذهبت عنه الفرصة فوقع في الظلمات والحسرة والندامة على ما ضيَّع. ومن رحمة

---

[1] سورة النور: الآية (٤٠).

﴿يَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذٍ أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ ﴿١٠﴾﴾.

الله به وليحوِّله عما فيه من آلام لا تطاق يرسل له الملائكة. كذلك في الآخرة حضَّر له ربه النار يرمي نفسه فيها لينسى ناره، نار جهنم التي حلت فيه[٢].

١٠ـ﴿ **يَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذٍ أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ** ﴾: هذا الإنسان في الدنيا كان له أصدقاء وزوجة وولد وأهل، وكان له معهم تعامل على مصالح دنيوية، لا تعامل أخروي ولا غاية له لله ولا لإنقاذهم وإرشادهم إلى طريق الهدى والحق، وعند الموت يزول هذا التعامل الدنيوي ويمضي ويبقى وحيداً.

"ما كان لله فهو المتصل وما كان لغيره فهو المنفصل".

عندها يقول لم يبقَ لي أحد، أين المفر؟! لمن ألتجئ وبمن أحتمي وأنا بهذا الحال؟! بعد الموت لا يستطيع أحد نجدته والكلّ يتخلّى عنه، كل هذا لأنه ما آمن ما عرف ربه، لو آمن لشاهد الله معه وما قال هذا وما حلَّ به ما حلَّ من رعب وفزع وهمٍّ ووحدة وظلام.

فيا أيها الإنسان الغارق بالدنيا هل من مهرب لك من الموت؟ هل من شك في هذه الساعة؟ هل من أحد هرب من الموت؟ أين الملوك وأصحاب المال الأغنياء والأطباء أما ماتوا؟! أفلا تموت أنت؟ لماذا لا تفكر بهذه الساعة الرهيبة التي لا مفر لك منها والتي لا ينفعك عندها إلا الله ورسوله ﷺ؟!.

---

(٢) لمزيد من التفاصيل حول مفهوم النار، لطفاً انظر كتاب **(تأويل الأمين)** للعلاَّمة الجليل محمد أمين شيخو (مفهوم النار ـ ص٢٩٩).

﴿كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ۝١٢﴾.

١١-﴿**كَلَّا**..﴾: وهذا قول الله العظيم ورداً على هذا المعرض، يقول له: (**كَلَّا**): أي يا عبدي أنت غير متروك، أنا لا أتركك وأنت بهذا الحال، لماذا تقول لم يبقَ لي أحد؟! لمَ أنت معرض عني وتطلب غيري ولا محب حقيقياً لك إلا أنا؟! أنا لك وأنت عبدي هل تركتك بالدنيا رغم إعراضك عني؟ مَن كان يطعمك ويسقيك ويمدّك ويحركك؟! من كان يحرِّك لك قلبك وأعضاءك؟ والآن وأنت بهذا الحال أنا لا أتركك، أنت لست كَلاً عليّ وأنا لا أكلُّ ولا أملُّ من علاجك حتى تخلص مما بك وتشفى وتدخل جنتي.

﴿..**لَا وَزَرَ**﴾: الوِزْر هو الحمل، فلا أحد يستطيع أن يحمل عن أحد شيئاً، لا صديق ولا زوجة ولا مال ولا ولد. فيا إنسان اعمل لهذا اليوم الذي يتخلى فيه عنك أحبابك وولدك، زوجك وأهلك، ولا يبقى لك من أحد غيره سبحانه وتعالى. فهل من مَلِكٍ بقي على ملكه؟! هل أفاده ملكه بعد موته شيئاً؟! أما ترك ملكه وذهب ملكه لغيره؟!.

١٢-﴿ **إِلَىٰ رَبِّكَ**.﴾: يا محمد ﷺ. ﴿..**يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ**﴾: كل من أحبك وصارت له رابطة نفسية بك استقر بالجنان. غُمر بالسعادة وخلص من عذاب القبر.

إن لم تكن بمعادي آخذاً بيدي تعطفاً وإلاَّ فقل يا زلّة القدم

الرسول ﷺ ليس بقلبه إلا الله، وهو دليل ومرشد لله سبحانه وتعالى، فإذا أحب الإنسان رسول الله ﷺ أحب الله، كسب كمالاً، وبكماله الذي كسبه من

﴿يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ١٣﴾.

الله ومحبة رسوله ﷺ يقوم بأعمال عالية صالحة تجعل مستقره بالجنان. أما هذا المعرض الذي صار إلى ما صار إليه لو كان مع رسول الله ﷺ لاستقر بالجنان، لكنه ترك الرسول ﷺ وذهب إلى دنياه حتى صار بهذا الحال المرعب ولا يناسبه إلا هذا، فهو مريض والمريض لابد من علاجه.

وهذا تحذير لنا وبيان ودعوة حتى لا نقع بما وقع به غيرنا.

١٣ـ﴿ يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾: بالآخرة كلٌّ شيء مشهود وكلُّها حقائق وليس كلاماً. أي سيشاهد هذا الإنسان كل شيء مما قدم من أعمال طيبة عالية وما تأخر عن أعمال سيئة عاطلة كان فيها الهلاك له.

يرى أنه أحب الرسول ﷺ وقدَّمه على كل شيء من مال وزوج وولد، وبهذه المحبة صارت أعماله عالية وسيره على صراط مستقيم، وكان لأهله ومحبِّيه منقذاً وإلى الجنات والسعادة لهم هادياً.

المؤمن يشتهي لكن لا يرمي نفسه في الشهوة، يرجع إلى الله الذي آمن به ويستشيره والله سبحانه يُريه ما فيها من شر فيتجنبها، غير المؤمن يرى الشهوة وينكبّ عليها.

الإنسان: الذي استأنس بالله ورسوله ﷺ، كسب كمالاً ورحمة فصار كل شيء يستأنس به لأنه كله خير للكلِّ.

﴿بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ ۝١٤ وَلَوۡ أَلۡقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ۝١٥ لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦﴾.

١٤ـ﴿ **بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ** ﴾: كل إنسان يعرف حاله وعلى نفسه بصيرة كاشفة له، لو كلُّ الناس مدحته فنفسه تقول له أنت لست كذلك، أنت فعلت كذا وكذا. الإنسان بصلاته ينكشف، الصلاة كاشفة له، آمن وأقبل بصلاته على الله واتصل به وبرسوله ﷺ معنى هذا أن عمله عالٍ وهو من المؤمنين. إن لم تحدث له الصلة معنى هذا أن في مسيره خطأ ونفسه مسيئة، والمسيء لا يستطيع الإقبال على الله.

١٥ـ﴿ **وَلَوۡ أَلۡقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ** ﴾: ولو وضع معاذير ومبررات يعرف نفسه أنه كاذب. المؤمن لا يضع مبررات لنفسه، يحب من يكشف له عن عيوبه حتى يصلحها لأنه يريد طهارة نفسه، لا يحمل على أحد، معاملته إنسانية للكلِّ، لا يقول فلان تسلَّط عليّ بل يقول لماذا سلَّطه الله عليَّ والله سبحانه عادل؟ إذن أنا السبب وبنفسي علَّة والله يعالجني بسببها ويريدني أن أشفى وأخلص منها، فيسعى لمعرفتها ويزيلها، فيخلص مما سلَّط الله عليه. بل ويصلحه متى استطاع ويسعى لهدايته ولكن بالحكمة وبما يناسب، لا حقداً ولا شركاً بل محبة ربانية إنسانية.

١٦ـ أيها السائر في طريق الإيمان، أيها المؤمن: ﴿ **لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ** ﴾: لا تتكلم عن حالك وأعمالك. لا تقل صار لي أحوال، مشاعر،

﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَـٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾.

بوارق، شهود. لا تقل أنا فعلت كذا وكذا، تصدقت بمالي، هديت فلاناً، خلَّصت فلاناً من ورطة، إن تكلمت بهذا ذهب كلُّ عملك لأنك بشعور منك أو غير شعور تريد الفخر والظهور أمام الناس، فتصبح وجهتك ونيتك الناس وليس ربَّ الناس. لا تمدح نفسك، مدّاح نفسه لا خير فيه.

١٧ـ﴿ **إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ..**﴾: كل شيء عملته يجمعه الله لك، فالله سبحانه لا يضيع لك شيئاً من عملك وهو محفوظ عنده تعالى. ﴿..**وَقُرْءَانَهُۥ** ﴾: الله يُظهر أعمالك ويقرؤها للخلق جميعاً وعلى لسان الخلق في الوقت المناسب، وعندها وبهذه القراءة ترقى وتتنقل من جنة لجنة. فالله سبحانه حكيمٌ،ما يناسبك يظهره. الصحابة الكرام ما قالوا فتحنا العراق، المدائن، الشام. كانوا يقولون بعد الفتح: فتح الله علينا هذا البلد ويحمدون الله. المؤمن لا يتكلم عن أعماله وفتوحاته، لا يتكلم إلا عن أعمال الرسول ﷺ وبيانه ويدلُّ الناس عليه ﷺ.

١٨ـ﴿ **فَإِذَا قَرَأْنَـٰهُ ..**﴾ : أظهرنا لك عملك في المستقبل على لسان الخلق.

﴿..**فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ** ﴾:أقبل على الله بالصلاة، حيث إنه سبحانه وتعالى دلَّك على هذا الطريق ورزقك هذه الأعمال العالية وبإقبالك عليه سبحانه ترقى وتشكره، وتشكر رسوله ﷺ فهو السبب لما نلته من خير من ربك.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩ كَلَّا بَلۡ تُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ ۝٢٠ وَتَذَرُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ ۝٢١ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢﴾.

١٩ـ﴿ **ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ** ﴾: للخلق ولك، فيوم القيامة سيبين الله لك أعمالك حتى ترقى فتشاهد الخلائق كلها أعمالك وتدخل بها الجنات.

٢٠ـ﴿ **كَلَّا بَلۡ تُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ** ﴾:ومعنى كلاَّ أي إن الله لم يتخلَّ عنه ولكنه هو تخلى وأعرض عن خالقه ورازقه ومحبِّه تعالى، بل تحبون الدنيا وشهواتها العاجلة؛ وكل هذا من قلة التفكير وعدم ذكر الموت، تركوا الله وما أعدَّه لهم من جنات بحبهم لها رغم أن العاجلة والآجلة بيده سبحانه وتعالى، والله سبحانه وتعالى بهذه الآية يقول:

تركوني ولحقوا الدنيا العاجلة فلم يسعوا بالخلوات ليؤمنوا بي، ومني كل شيء، وبدوني فقدان كل شيء، عجلوا فيها رغم أن كل الإمداد مني بالعاجلة والآجلة. الكرة الأرضية حجر كبير يدور فمن الذي يحمله ويمده بالحياة؟! أين تفكيرك أيها الإنسان؟! وهذه العاجلة بعد فترة سوف تذهب عنك وترميك في الظلمات والآلام. الذين اقتصروا عليها خسروا الدنيا والآخرة وما فيها من كنوز أعدها الله تعالى لهم.

٢١ـ﴿ **وَتَذَرُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ** ﴾: غيرُ عابئين بها، وفيها جناتكم الدائمية، لكن لا تريدونها. ما هي الجنة وماذا في الآخرة؟:

٢٢ـ﴿ **وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ** ﴾: الوجوه هي النفوس التي توجهت إلى الله فانطبع فيها الجمال، والسبب:

﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾﴾.

٢٣ـ﴿ **إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** ﴾: دائماً شاخصة ببصيرتها إلى الله سبحانه، فالجنة هي النظر إلى وجه الله الكريم، ولا عجب فهو خالق الجمال والكمال، وكل ما هو منثور في هذه الدنيا من جمال ذرة من جماله سبحانه جعله عن طريق مخلوقاته، وغداً سيذهب المخلوق ولا يبقى إلا الخالق، فالذين تركوا الله ولحقوا المخلوق ولم يؤمنوا بالله خسروا خسراناً كبيراً، أضاعوا النظر لوجهه الكريم، أضاعوا الجنة وما فيها بشيء زائل. أين الماضي ولذائذه؟! الآخرة دائمية، الدنيا لحظة منقضية بالنسبة للآخرة الدائمة.

٢٤ـ﴿ **وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ** ﴾: طالب ما درس، التهى، ذهب للمقاهي والملاهي، والنتيجة راسب وذهبت عنه المناصب وصار أخفض وأحطَّ شيء بالمجتمع، تراه هل يكون مسروراً على هذا الحال؟ وهؤلاء كانوا بالدنيا مسرورين، أكل، "كيف بسط"، أهل، أصدقاء، نساء... وعند الموت ذهبت عنهم دنياهم والتي هي كل شيء بالنسبة لهم، وشاهدوا نتيجة أعمالهم وما ستعود عليهم ارتكاباتهم، باؤوا بالشيء الذي سرت نفوسهم فيه، البيئة ضيَّعتهم، نظروا للبيئة ولم ينظروا إلى خالقها، أعجبوا بها ولم يعجبوا بخالقها فخسروها، وخسروا سعادتهم وأصبحوا فقراء الأعمال. كلُّ هذا لأنهم ما فكروا. لذلك بالآخرة يرجع الإنسان المعرض إلى أعماله فيرى نفسه فقيراً لا عمل صالح له فيحزن ويختزي أمام الخلق والخالق.

﴿تَظُنُّ أَن يُفۡعَلَ بِهَا فَاقِرَةٞ ﴿٢٥﴾ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ ﴿٢٧﴾﴾.

٢٥ـ﴿ تَظُنُّ أَن يُفۡعَلَ بِهَا فَاقِرَةٞ ﴾: ظنُّهم بالله ظنُّ السوء، ظنُّهم أن الله لا يعطيهم.

ما عرفوا شيئاً عن حنانه ورحمته وكرمه وعطفه، ما شاهدوا هذا الشيء.

بالدنيا دائماً خائفٌ من الفقر، يظن أنه إذا تصدق يفتقر، وأن الله لا يعطيه، لذلك فهو دائماً يسعى للزيادة وملتفت إليها، وجُلُّ اهتمامه الدنيا، وبالآخرة يبقى هذا الظن ولولا هذا الظن لكان من السعداء:

«أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء»[1].

ظنوا السوء بالله، وهذا الظن أرداهم مع أن الله ما خلقهم إلا ليعطيهم ويسعدهم. أيها الإنسان لا مفرَّ لك من الموت وسوف تترك الأهل والأحبة والخِلاَّن، وعندها لا يبقى لك من أحد غير الله، فما حالك عندها؟!...

٢٦ـ﴿ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴾: وهذا وقت النزاع حيث تبلغ الروح الترقوتين، أي عظمتي الترقوة عند الحلقوم ولم يبقَ إلا أن ينفخها "أي ينفخ الإنسان روحه".

٢٧ـ﴿ وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ ﴾: وكلمة (رَاقٍ): مأخوذة من الرقي وهو العلو

---

(١) مسند الإمام أحمد.

﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ٢٨﴾.

والرفعة[1]، كما أنها مأخوذة من الصفاء والنقاء، نقول: راقت الماء، أي صفت، وهنا الملائكة هي التي تسأل عن نتيجة الإنسان تقول: هل من راق؟ من رقى بهذه الدنيا وكسب الرقي الأبدي، من نجا؟!.

إذن حتى الملائكة لا تعرف نتيجة هذا الإنسان حتى يخبرها الله بحاله، فالملائكة وهم أجمل ما خلق الله بعد السادة الرسل والأنبياء صلوات الله عليهم، ومع ذلك هذا الميت المعرض لا يشاهد جمالهم بل يشاهدهم غلاظاً شداداً جاؤوا للعذاب، والحقيقة أن الله أرسلهم للرحمة.

٢٨ـ﴿ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ﴾: وهذا الظن إنما هو ظن تحقيقي، وقتئذ تفاجأ بأنه وصل إلى الموت، وأن هذا الظن قد تحقق لا محالة، ولآخر لحظة كان هذا الإنسان يشك بموته وله أمل في الرجوع إلى الحياة، يظن أنه سيعيش، لا يريد

---

(١) وكلمة: ﴿ ٱلتَّرَاقِيَ ﴾: مأخوذة لغوياً من الرقي، فالنفس عند الموت تنسحب من أسفل الجسم (القدمين) إلى الأعلى، لأن الرقي من الأسفل إلى الأعلى، حتى تصل إلى عظمتي الترقوة وهذا في حال النزاع حيث تنسحب الروح من أسفل القدمين فصاعداً إلى أعلى الجسم، وبانسحاب الروح من قِبل ملك الموت يفقد الجسم حرارته، فترى المحتضر أول ما يبرد فيه قدماه، وكلما انسحبت الروح من عضو تدريجياً نحو الأعلى، تحلُّ البرودة، والنفس لا تمكث بالبرودة، لذا تراها تتبع الروح شيئاً فشيئاً وهكذا إلى آخر المطاف عند عظمتي الترقوة، وعند الحلقوم تبدأ النفس بالتردد وترفض الخروج حيث إنها تجهل إلى أين الذهاب، والإنسان عدو ما يجهل فتراه يتشبث بالجسد لا يريد الخروج منه، ويصبح نزع الروح كنزع الحرير من الشوك، هذا بالنسبة للكافر. فالآية تعني: كيف بك إذا بلغت نفسك هذه اللحظة، وهي لحظة الفراق وترك الدنيا إلى مجهول ووصلت إلى هذا الحال، فما هو مآلك؟! فلْتفكر في هذه اللحظة الحاسمة (..وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ..) سورة الأنعام(٩٣).

﴿وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ۝٢٩ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ۝٣٠﴾.

أن يموت ظناً منه أنه ذاهب إلى صحراء قاحلة لا شيء فيها وأن الموت سيُذهب عنه دنياه وكلَّ ما فيها ولا يبقي له أحداً. والله تعالى يقول: "كلا". أيْ: هذا الإنسان غير متروك وأنا ربه لا أتخلى عنه، ليس كلاً عليّ، وأنا لا أكلُّ من علاجه فله العلاج.

٢٩ـ﴿ وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴾: هنا يشاهد هذا الإنسان حقيقة أعماله وما عمله هو بنفسه وكيف ضيعها وحرمها السعادة الأبدية، فيندم ويتحسر، ولكن ما الفائدة من الاعتراف، وهل استفاد فرعون عندما اعترف وآمن وهو بالغرق؟ يشاهد ما ساقه الله له من معاملات وإكرامات طوال عمره ويشاهد ما ساقه هو لنفسه باختياره وكيف قابل الإحسان والإكرام بالجحود والنكران واللؤم. كذلك عند الموت تلتف وتشتبك ساقا الميت على بعضهما وعندها يتضايق كثيراً.

٣٠ـ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ..﴾: يا محمد ﷺ صاحب الرحمة والحنان والجود والإكرام، بالموت يعرف الإنسان المقامات، يعرف مقام رسول الله ﷺ فيندم ويتحسر كيف لم يتخذ الرسول سبيلاً وخليلاً؟!.

﴿..يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ﴾: سوف يساق لعند كريم رحيم عطوف شافٍ، فلِمَ الخوف من الموت وأنت ذاهب إلى الله صاحب الأسماء الحسنى؟!.

السبب في خوفه:

﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾﴾.

٣١ـ﴿ **فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ** ﴾: سمع الحق لكن ما عبأ ولا صدَّق. لو صدَّق لكان صلّى وكسب كمالاً أغناه عن الحرام وما وقع بالآثام والحرام وما عمل سوءاً. لكن ما صدَّق، ما سار على القوانين التي وضعها الله له من أجل نجاته وسعادته، ما فكر بالموت حتى تخاف نفسه وتترك الدنيا الدنيّة وتلتفت إلى ربها وتستقيم على طاعته، ما فكر بالكون وبما فيه من آيات دالة على عظمة الله ورحمته ولطفه به وبالخلائق، ما فكر كيف كان نطفة ضعيفاً وكيف جعله الله من هذه النطفة إنساناً كاملاً، ما تنازل عن كبره وما جعل لنفسه خلوات يفكر فيها بمصيره وبهذه اللحظة الرهيبة، ما كان يحاسب نفسه على أعماله.

٣٢ـ﴿ **وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ** ﴾: كذَّب بالحق الذي جاءه من الله على لسان رسول الله ﷺ، لم يبالِ ولم يهتم، لو اهتمَّ لكان مشى بالقانون وما كذَّب وأدار ظهره وتولى غير الله ورسوله.

الدنيا مجموعة طاعات وقوانين وضعها الله لهذا الإنسان من أجل سعادته دنيا وآخرة، إن طبقها الإنسان نال سعادة الدارين ونجا ودخل الجنة، لكن هذا المعرض ما طبَّق بل كذَّب وتولَّى غير الله ورسوله، تولى المخلوق، والمخلوق ليس بيده شيء، لا حول له ولا قوة، لا يعطي جنة ولا يمنح سعادة ولا يخلِّص من مرض ولا يطعم ولا يسقي.

﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ٣٣ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ٣٤﴾.

٣٣ـ﴿ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴾: أهله الذين يسير على ممشاهم ويسيرون معه في الضلال والفسق؛ وهي تشمل الأهل في النسب والعشيرة والأصدقاء، ورغم جهلهم وضلالهم مشى معهم وهو مسرور يتمطى أي تارك نفسه على طبيعتها غير خجل، مُطْلِقٌ نفسه على هواها، وهم سادرون معه، أحاديثهم جنسية، خمر، مفاسد، رقص، اختلاطات.

٣٤ـ﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴾: أيها الإنسان المعرض عن ربك هل ولاَّك ربك، هل أعطاك الولاية حتى تعطي نفسك هواها وتضع قوانين من عندك وتترك قوانين الإلٓه؟!.

الرسل والأنبياء عليهم السلام رغم علوهم وسموِّهم وعصمتهم وكمالهم ما ساروا إلا على قانون ربهم، فكيف سرت أنت على قوانينك ورأيك الذي أعماك في الأزل؟!. ﴿..أَوْلَىٰ لَكَ..﴾: بالأزل قبل مجيئك للدنيا عاهدت ربك أن تبقى معه بالنور ولا تنقطع عنه سبحانه وتعالى وطلبت الشهوة لا لأجلها وأجل ما فيها من لذة بل لتكون سبباً لأعمالك الصالحة، وعندما ألقى الله الشهوة بالنفس خنت ربك وأعرضت عنه ووقعت بالعماء، وبهذا أهلكت نفسك باختيارك هذا. فهل أعطاك الله الولاية أن تختار لنفسك هذه الشهوات الدنيئة وتترك ربك وما أعدَّه لك من جنات حتى جعلت لنفسك التولية دون النظر لجانب ربك ونسيت عهدك؟! هل كان عهدك مع الله هكذا؟.

﴿ ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰٓ ﴾.

﴿..فَأَوۡلَىٰٓ ﴾: بالدنيا، فالله سبحانه وتعالى بعد أن فقدت هذه النفس النور جعل لها أنوار الكون وألبسها هذا الجسم، ترى عن طريق العين وتسمع عن طريق الأذن وتحس وتلمس عن طريق الجلد، وجعل لها هذا الكون وما فيه من آيات دالة عليه لتفكر، وأرسل لها الأنبياء والرسل يدلونها لتعود لربها وتتفتح بصيرتها، ومع هذا ظل هذا المعرض على رأيه الذي أعماه في الأزل، عاد إليه فعمي ثانية ولم يلتفت إلى ما أولاه الله إياه، وتولى الدنيا وشهواتها وأهواءه ولذائذه ولم يتولَّ الله والرسول، وراح يمشي في الأرض مكباً على وجهه يفسد فيها ويضل ضلالاً بعيداً إلى أن جاء أجله وساعة الفراق والرحيل إلى عالم البرزخ، وفي هذه الساعة العصيبة هل يتركه الله تعالى؟! كلا.

٣٥ـ﴿ ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰٓ ﴾: ثم حرف عطف على التراخي. كذلك بالبرزخ، فهذا الإنسان غالٍ على ربه لا يتركه، لذا جعل له من عذاب القبر وضيقه ووحشته وعلاجات الملائكة الكرام كل ذلك علاجاً لحاله علَّه يرجع عن إعراضه ويخرج من حالته المرعبة الجهنمية غداً حال العار والخزي على ما فرَّط في جنب الله إلى السعادة والنور، إذن كذلك أولاه الله بالعلاجات علَّه يعود إلى كنف ربه، لكن ظل متولياً إعراضه متلبِّساً به ولم يخرج منه. وهناك أناس كُثْر ترجع وتنجو وتخلص من عذاب القبر بعد أهوال كبرى.

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾﴾.

﴿..فَأَوْلَىٰ ﴾: بالآخرة لم يرجع عن إعراضه ويتنازل لربه، وظلَّ متلبِّساً بكبره لا يتنازل عنه حتى صار إلى النار وعناية الله لم تنقطع عنه طرفة عين ولن تنقطع عنه أبداً فيجد في حريق النار وألمها الشديد سلوى لما به من عذاب الذل والعار، فأولاه الله بالعطف والعناية أيضاً في الآخرة لأنه لم يطهر في الدنيا ولا في البرزخ فالنار لتطهيره، ولا يشفيه إلا التجاؤه ووجهته لربه ولا تزكو نفس إلا بالله تعالى.

٣٦ـ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾: هل أرسلك الله أيها الإنسان لهذه الدنيا حتى تلهو وتلعب؟ هل لهذا خلقك سدى بلا هدف ولا غاية؟! أما خلق لك هذا الكون وجعل له نظاماً؟ أما جعل لك قانوناً ونظاماً أيها الإنسان؟ الدنيا مدرسة والإنسان جاء ليدرس وينجح وينال شهادة، شهادة أن لا إلّه إلا الله وأن محمداً رسول الله، فالله ما خلق هذا الإنسان سدى وعبثاً، بل لغاية عالية. والطريق حتى يخرج من عماه ويتنازل عن كبره ويخلص من مصيره المرعب ويصل للسعادة والجنة:

٣٧ـ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴾: ليفكر الإنسان بهذه النقطة، كيف كان نطفة لا حول لها ولا قوة جرماً صغيراً مع ملايين النطف المنوية، فمن جعلك منها إنساناً سوياً وجعل لك السمع والبصر ؟.

﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾.

هكذا كنت أيها الإنسان، فلا تتكبر على ربك ولا تمشِ برأيك بل دائماً انظر لبدايتك، إن فكرت بهذه النقطة وآمنت ترى نفسك لا شيء، والله منه كلّ شيء، فتتنازل عن كبرك وتلتجئ إلى خالقك وتطلب منه النجاة والعون على الطاعة.

٣٨ـ﴿ **ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ** ﴾: سوَّاك بهذا الكمال، سوَّاك بالغاً عاقلاً كاملاً.

٣٩ـ﴿ **فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ** ﴾: جعل هذا الخلق الذي من نطفة ذكراً وأنثى، وجعل له أعضاءً ولكلٍّ ما يناسبه. وبالأصل كانت نفوساً مجردة لا تذكير ولا تأنيث فيها.

٤٠ـ﴿ **أَلَيْسَ ذَٰلِكَ**..﴾: هذا الخلق الذي خلقك الله منه، فأنت من تراب والله من التراب خلقك وأوجدك، وجعل لك ما جعل من أجهزة وأعضاء وخلق لك الطعام منه. ﴿..**بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ** ﴾: هذا الخلق الجاري المستمر والذي هو من التراب يدلُّك إن فكرت به أن الله دوماً يحيي وقادر على أن يحيي الموتى بعدما يصبحون تراباً.




عَدَدُ آياتِها
٣١
تأويل
سُورَةُ الإنسانِ
رَقَمُ السُورَة
٧٦

سُورَةُ الإِنسَانِ

ترتيبها ٧٦ — آياتها ٣١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾

وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا

﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا

﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ

خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا

طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا

نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ

مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾

وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ

هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ

خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا

﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾

وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾

يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾

سورة الإنسان

ترتيبها ٧٦ — آياتها ٣١

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٍ..﴾.

١ـ﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ﴾ : أما حصل هذا من آدم عليه السلام حتى نهاية العالم، فقبل أن يكون الإنسان نطفة ونفساً لم يكن، ما كان غير الحضرة الإلٓهية.

فماذا كانت الناس؟ لم تكن شيئاً. وأين الأقوام السابقة الآن، وإلى أين ذهبوا؟ فمن يأتي بالناس إلى الدنيا، ومن يأخذهم؟

إذا لم يفكّر الإنسان بأصله لا يصبح إنساناً.

٢ـ﴿ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٍ..﴾ : من الأطعمة المختلطة، من خلاصة الثمرات والفواكه، اشترك الكونُ كله في خلقك أيها الإنسان من ليل ونهار وفصول أربعة وسحب وهواء... كل هذا عناية من ربك بك، الأب أكل فتشكلت النطفة، والأم أكلت فتكوَّن الجنين حتى صار إنساناً، فهل الطعام يصبح إنساناً؟.

هل يصبح أجهزة وعضلات وأعصاباً؟!.

﴿..نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ..﴾.

إن فكرت بهذا دلَّك على أنه لابد من يد صنعت هذا، إن فكرت بها وصلت إلى لا إلَه إلا الله.

﴿..**نَّبۡتَلِيهِ**..﴾: بهذه الدنيا، إن كان منه خير يظهر خيره، فالإنسان لهذا خلق، للامتحان بهذه الدنيا وما فيها من زينة وشهوات، وحتى يجري سبحانه وتعالى عليه أحسن الأعمال ويُدخله الجنة.

﴿..**فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا** ﴾: جعلنا لديه الأهلية ليكون كذلك، وكل واحد فيه خير لا بدَّ وأن يُظهر تعالى خيره. جعلنا له قابلية للسمع ليسمع الحق المنزل على رسول الله ﷺ، إن سمع وطبق أصبح بصيراً يبصر الحقائق بنور الله، والمقصود هنا بالسماع سماع النفس ذاتها لا الأذن، فالله خاطب زوجات رسول الله ﷺ قائلاً لهنّ: (**إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَا**..)[1]: فالسماع نفسي قلبي، سماع الحقائق لا الألفاظ الهوائية بالأذن.

فكل إنسان بلغ سن التكليف عنده القابلية ليسمع ويبصر ويصل للإيمان والتقوى ويصبح سميعاً بصيراً.

٣ـ﴿ **إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ**..﴾: أريناه طريق الحق، شاهد من مات قبله ليعلم أنه سيموت ولابد أنه مفارق لهذه الدنيا، شاهد هذا الكون العظيم وما فيه من

---

[1] سورة التحريم: الآية (٤).

﴿..إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغْلَٰلًا..﴾.

آيات دالة على الله، شاهد نتائج الظالمين وما عادت عليهم أعمالهم بالسوء، أرسل الله له كتاباً وأرسل له رسولاً يدلُّه على الإيمان والتفكير، فالاختيار له.

﴿..**إِمَّا شَاكِرًا**..﴾: يكون هذا الإنسان شاكراً على ما تفضل الله به عليه من عناية وتقويم وحُسن دلالة فيقبل على ربه ويقدم الأعمال الصالحة.

﴿..**وَإِمَّا كَفُورًا** ﴾: يُنكر هذه النعم فلا يفكر ولا يعبأ ولا يُقبل على ربه، ولكن هل يتركه تعالى؟!.

٤ـ﴿ **إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ**..﴾: من رحمته تعالى بهذا الإنسان لا يتركه حناناً منه عليه ليعود إلى الحق ويسعد، فالله يقول نحن لا نتركه سدى حضَّرنا له: ﴿..**سَلَٰسِلَاْ**..﴾: يُقيَّد بها، سلسلة من علاجات في الدنيا والقبر والآخرة، مثل المريض الذي بالمستشفى، وكل هذه العلاجات رحمة من الله سبحانه وتعالى وحناناً ليرجع هذا الإنسان لربه، فما من أحد متروك، فهذا الإنسان غالٍ على ربه لا يتركه سدى.

﴿..**وَأَغْلَٰلًا**..﴾: سوف يُغَلُّ بأعماله السيئة التي اختارها وقام بها، أعماله غِلٌّ له تمنعه من دخول الجنة والإقبال على الله وسيحصد نتائج أعماله وسترجع عليه، إن كانت شراً عادت عليه بالشر والشقاء، فإن غيَّر سلوكه السيِّئ وكانت خيراً عادت عليه بالخير والسعادة.

﴿..وَسَعِيرًا ۝٤ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥﴾.

فالله لا يريد لعباده إلا السعادة ولا يريد لهم إلا الخير، بيَّن لهم وحذَّرهم ولهم ما اختاروا، فإذا أصاب الإنسان ما يكره فليرجعْ إلى عمله ولْيتُب والله يغيِّر عليه إن تاب، ويبدله بدل الفقر غنىً وبدل المرض صحة وبدل الذل عزاً.

﴿..**وَسَعِيرًا**﴾: بحسب ما يناسبه وبسعر ما قدَّم من عمل فلا زيادة ولا نقصان.

٥ـ﴿ **إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ..**﴾: يقال: برَّ بوعده أي وفَّى. والأبرار هنا هم الرسل والأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين عاهدوا الله ووفوا بعهدهم، قالوا يا رب لا ننقطع عنك فصَدَقوا ولم ينقطعوا، كذلك المؤمنون الأتقياء جاؤوا للدنيا وبمعية رسلهم برُّوا ووفوا بعهدهم، رجعوا إلى النور واستنارت بصائرهم.

﴿..**يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ..**﴾[1]: وهذا الكأس جامع لأعمالهم العالية التي صدرت عنهم، وما امتلأت به نفوسهم من الخيرات ونعيم التجلي الإلۤهي.

﴿..**كَانَ مِزَاجُهَا..**﴾: هذه الكأس التي يشربون بها ممزوجة بالمحبة والعشق الإلۤهي. ﴿..**كَافُورًا**﴾: كل من شرب منها يُستر ويُقطع عن كل سوء بما فيها من نعيم ولذة، فالشيء الذي يشربونه يغطي ساحتهم النفسية هياماً وحباً وعشقاً لله، وبما يتفضل به عليهم بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر

---

(١) وهذا الكأس جامع للكمالات الإلۤهية كلها وتصب به التجليات الإلۤهية والتي فيها النعيم والغبطة والسرور القلبي، فالله المعطي وصاحب الكأس ﷺ هو القاسم.

﴿عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا ۝٦ يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ..﴾.

على قلب بشر، كذلك المؤمنون الأتقياء بهذا الكأس وبما يشربونه يُكفِّر الله عنهم ماضيهم ويُمحى من نفوسهم كل شيء قاموا به فلا يتذكرون شيئاً من أعمالهم التي تسوؤهم وتخجلهم من ربهم، حتى الأشخاص الذين كان يعرفهم بالباطل ينساهم. (**صِبۡغَةَ ٱللَّهِ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗ**...)[1].

٦ـ﴿ **عَيۡنٗا**..﴾: هذا الكأس نبع عين متوارد دوماً لا ينقطع عنهم ولا ينضب، فأعمالهم العالية الطيبة تعود عليهم بالإقبال والجنات فهم دائماً من إقبال على ربهم لإقبال أعلى، ومن جنة لجنة أعلى إلى أبد الآبدين، فخير هذا الكأس لا ينقطع كالنبع دوماً متوارد بالماء، بالحياة.

﴿..**يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ**..﴾: الذين أطاعوا الله. الدنيا مجموعة طاعات إن طبقها الإنسان أطاع الله ودخل الجنة، وهؤلاء أطاعوا الله ولم يعصوه في شيء.

﴿..**يُفَجِّرُونَهَا**..﴾: لهذه العين. ﴿..**تَفۡجِيرٗا** ﴾: يفجرونها واحدة بعد واحدة تفجيراً بالخيرات، فكلما شاهد هذا الإنسان عملاً من أعماله رأى ما وراء عمله هذا من خيرات وجنات، وبمعية هذه العين يرى مشاهدات وجنات وخيرات أكبر وأكبر إلى ما لا نهاية.

٧ـ﴿ **يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ**..﴾: عاهد الله ألا ينقطع عنه إذا جاء للدنيا، عاهد أنه يبقى دوماً مستنيراً بنور الله ووفى بعهده، نذر نفسه مخالفة الشيطان وعمل لهذا، فهؤلاء لا يمشون مع الشيطان ولا بهوى أنفسهم.

---

[1] سورة البقرة: الآية(١٣٨).

﴿..وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝﴾.

﴿..وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾: ما ينبعث عن الأعمال من نتائج. ساعتها تأتي عليهم، فهؤلاء لا يعملون شراً أبداً لأنهم مشاهدون أنهم سيجزون به في الدنيا، وفي القيامة سوف يشاهدون هذا العمل وتشهده الخلائق فيحجبهم ذلك عن ربهم خجلاً وسيعود عليهم هذا بالسوء والخسران ويحرمهم الجنات، لذلك تراهم دائماً متلهفين على عمل الخير ويبحثون عنه.

٨ ـ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ..﴾: حباً بهذا العمل، يحبون الإنفاق والتضحية يحبون عمل الخيرات والمعروف وهذا طلبهم رضى الله، إذ علموا أنهم جاؤوا إلى الدنيا لعمل المعروف ولأنهم يعلمون أن عمل الخير فيه سعادة وسرور وهذا الشيء سيرجع عليهم. ﴿..مِسْكِينًا..﴾: من لا قدرة له على الكسب "مقعد". ﴿..وَيَتِيمًا..﴾: حيث لا ناصر له. ﴿..وَأَسِيرًا﴾: منقطعاً، أسرى الحروب، كذلك أسرى الشهوات يعاملونهم ويحسنون لهم ولو كانوا من غير دين.

٩ـ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ..﴾: لا غاية دنيوبة لنا من ذلك، إلاَّ اللهَ ورضاءه ومشاهدة أسمائه الحسنى، ليست الغاية من أعمالنا دنيا نصيبها.

﴿..لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾: هذا حال أنفسهم، لا يقولون هذا بلسانهم، لسان حالهم يقول هذا، عملهم لله ولا يطلبون من وراء أعمالهم شيئاً.

﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝١١ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝١٢ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ.. ﴾.

١٠- ﴿ **إِنَّا نَخَافُ.** ﴾: إن لم نفعل ولم ننفق ولم نعمل خيراً. ﴿ **..مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا..** ﴾: شديد فيه شدة فالحساب بالمثاقيل. ﴿ **..قَمْطَرِيرًا** ﴾: فيه قمط دائمي ومرارة، وهذا ما يجعل المعرض يرمي بنفسه إلى النار.

١١- ﴿ **فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ..** ﴾: سترهم عن ذلك اليوم بما تجلى عليهم من أسمائه الحسنى. ﴿ **..وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً..** ﴾: حياة. ﴿ **..وَسُرُورًا** ﴾: فرحاً، وما يسري بنفوسهم من سعادة وغبطة.

١٢- ﴿ **وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟..** ﴾: صبروا على نفوسهم وشهواتها، صبروا على الناس، وصبروا حين البأس وعلى المكاره، فجزاهم على هذا الصبر. ﴿ **..جَنَّةً وَحَرِيرًا** ﴾: صاروا بالجنان والسعادة والإقبال والمشاهدة، هذا حالهم دائماً. **وحريراً**: لا حرَّ فيها حيث بإقبالهم على الله شفوا من كل العلل الجهنمية وتحررت نفوسهم منها ومن سلطان الجسم فغدت حرة طليقة لا يقيدها زمان ولا مكان. تحرَّروا عن قوانين التكليف: لهم ما يشاؤون ومن الله المزيد والإكرام فقد فازوا.

١٣- ﴿ **مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ..** ﴾: كل واحد منهم متكئ على ما يراه من أعمال طيبة قدمها في حياته بالدنيا، متكئ على ما رجعت عليه أعماله من

﴿..لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ..﴾.

سعادة وجنة وإقبال حيث إنَّ هذه الأعمال تجعل لنفوسهم ثقةً ووجهاً أبيض فيقبلون على الله ويعرجون في مشاهدات أسمائه العلية.

﴿..**لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا** ﴾: برداً، فالدنيا انتهت ولم يبقَ تكليف وانتهت المحظورات، فلا حرَّ فيها ولا برد.

١٤ـ﴿ **وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا..**﴾: التجلي من الله والحياة عليهم. ﴿..**وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا..**﴾: استسلمت، العطاء لهم. ﴿.. **تَذْلِيلًا** ﴾: صار يقطف العطاء فيها شيئاً بعد شيء، وكل شيء مسموح به.

١٥ـ﴿ **وَيُطَافُ عَلَيْهِم..**﴾: الملائكة تطوف عليهم دائماً حولهم وتذكرهم بأعمالهم العالية. ﴿..**بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ..**﴾: مما أتى من أعمال نقية حيث كانت نواياهم من أعمالهم صافية نقية لا غاية لهم منها إلا الله ورضاؤه.

﴿..**وَأَكْوَابٍ..**﴾: تنكب عليها النفس لما فيها ولما ينتج عنها من نعيم وجنات وسعادة. ﴿..**كَانَتْ قَوَارِيرَا** ﴾: مستقرة في نفوسهم والملائكة تذكرهم بها.

١٦ـ﴿ **قَوَارِيرَا..**﴾: هذه الأعمال مستقرة باقية أبد الآبدين، وخيراتها عليهم لا تنقطع أبداً. ﴿..**مِن فِضَّةٍ..**﴾: نقية، لهم على هذه الأعمال عطاء كبير صافٍ

﴿..قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلاً ﴿١٨﴾﴾.

نقي من كل ما ينغص، فلا شقاء ولا مرض ولا ملل، كل هذا بسبب أعمالهم ونواياهم العالية الصافية النقية.

﴿..**قَدَّرُوهَا**..﴾: بحالهم بما فيهم من كمال، كسبوا كمالاً من الله بإيمانهم وبالنور الذي معهم شاهدوا ما تعود عليهم الأعمال الصالحة. ﴿..**تَقْدِيرًا**﴾: وجدوها عالية وأعمالهم ذات قيمة وقدر لا تخجلهم، فهم عملوا وأنفقوا من كل ما هو محبب عند نفوسهم، ضحوا بالذي له قيمة بنفوسهم.

١٧ـ﴿ **وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا**..﴾: جامع لأعمالهم الطيبة العالية التي صدرت عنهم. ﴿..**كَانَ مِزَاجُهَا**..﴾: طعمها. ﴿..**زَنجَبِيلاً**﴾: لها رائحة طيبة. فهم يرون طعمها ورائحتها حيث في الآخرة كل شيء مرئي ومشهود فالطعوم والروائح مرئية والله متجلٍ عليها بأسمائه الحسنى.

١٨ـ﴿ **عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلاً**﴾: اطلب تعط، فكل العطاءات على الإرادة، ولهم ما يشاؤون ولدى الله المزيد، فإن أراد امرؤ من أهل الجنة أن يجتمع بأي أحد آخر يراه ماثلاً أمامه مباشرة بلا زمن أو يمْثُلُ أمامه ولو كان نبيّاً أو رسولاً يجتمع به من بين أهل الجنة أجمعين بلا زمن على الإرادة بكلمة كن إن أراد. وإذا أحب الطعام على الفور يأتي الطعام ويأكل، وإذا امرأةٌ تقيّةٌ أحبت

﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ ﴾.

الألماس فالله سبحانه يجعل لها كلَّ شيء ألماساً بواسطة هذه العين المحمدية التي يتمُّ الله عطاءاته على عباده المتقين بها. العين: هي النفس المحمدية.

١٩ـ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ.. ﴾: يدخلون عليهم برفق. ﴿..وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ.. ﴾: بحال عالٍ عظيم، وهذا حال منعكس عليهم من الأنبياء والأتقياء الذين يطوفون عليهم لخدمتهم فيسيرون إلى أهل الجنة ويدخلون عليهم بهذا الحال من الطواف حاملين لهم الأنوار والسعادة وما يسرُّهم، كذلك يطوفون عليهم من أجل الخدمة. فهؤلاء الولدان هم الأولاد الذين ماتوا قبل سن التكليف وهم على درجة واحدة حتى ولو كان أحدهم ابن نبي رسول.

﴿..إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا.. ﴾: نفوسهم نقية صافية تتلألأ بالأنوار فهم لم يقترفوا أشياء مؤذية في الدنيا، ماتوا وهم صغار، حيث إن الله أكْبَرَ مغامرتهم وتصديهم لحمل الأمانة ولكنه أماتهم قبل سن التكليف حيث إنهم غيَّروا بالأزل وأنه لا قابلية لديهم للرجوع إليه تعالى ودخول الجنة إن تجاوزوا سن التكليف، فأماتهم وجعلهم خدماً لأهل الجنة، فعندما ينظر أهل الجنة لهؤلاء الولدان المخلدون يرون حالهم العظيم لشدة صفائهم ونقائهم أي تنعكس أحوال أهل الجنة النفسية عليهم وبذلك حين ينظرون إليهم يشاهدون حالهم العظيم فيهم. ﴿..مَّنثُورًا ﴾: عليهم أي على أهل الجنة.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ۝٢٠ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ.. ﴾.

٢٠-﴿ **وَإِذَا رَأَيْتَ.**﴾: إذا آمن الإنسان وارتبط مع رسول الله ﷺ برابطة نفسية يشاهد هذا الشيء من الدنيا قبل أن يصل للآخرة.

﴿**..ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا..**﴾: تجد نعيماً في نفسك يغنيك عن وجودك ويغنيك عن الدنيا وما فيها من فتن بما تراه في نفسك من أنوار وجمال، فكلمة (**ثَمَّ**) بفتح الثاء معناها: أن الإنسان إذا ذاق طعماً طيباً يقولها تعبيراً عما يراه ويجده في نفسه من لذة ونعيم ومسرَّات وسعادة بالشيء الذي رآه وذاقه، وهؤلاء الذين آمنوا وارتبطوا برسول الله ﷺ صار معهم نور، بنورهم يرون ما ينعكس من جمال وأنوار الولدان المخلدين فيتنعمون بمشاهدتهم.

﴿**..وَمُلْكًا كَبِيرًا** ﴾: وهذا الشيء لا يزول عنك ملك لك إلى أبد الآباد، فالله سبحانه وتعالى إذا ملَّكَ النفس شيئاً فالنفس تهفو إليه وتغمره، تسمعه وتشاهده وترى روائحه وتتنعم به فكل شيء لأهل الجنة مرئي مشهود، أما الملك الدنيوي فالإنسان إذا ملك مهما ملك لا يرى إلا المكان الذي هو فيه.

٢١-﴿ **عَالِيَهُمْ..**﴾: دائماً أهل الجنة برقي، فهم يرقون من مرتبة لمرتبة أعلى فوقهم ومن حال لحال ومن مشاهدة وجنة إلى مشاهدات وجنات أعلى مما سبقها.

﴿**..ثِيَابُ..**﴾: مما يثوبهم من أعمال قدموها، فهم لابسون ثياب المهابة والعظمة والرحمة، ألبسهم الله إياها على حسب ما قاموا من أعمال وتقلبوا بها بهذه الدنيا.

﴿..سُندُسٍ خُضۡرٞ وَإِسۡتَبۡرَقٞۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا ٢١ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمۡ جَزَآءٗ وَكَانَ سَعۡيُكُم مَّشۡكُورًا ٢٢﴾.

﴿..**سُندُسٍ**..﴾: مما أسند إليهم من أعمال عالية. ﴿..**خُضۡرٞ**..﴾: فيها حياة من الله تحيا بها نفوسهم. ﴿..**وَإِسۡتَبۡرَقٞ**..﴾: يشاهدون أعمالهم لها أنوار تبرق أمامهم. ﴿..**وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ**..﴾: تحلية فيها سرورٌ بها تحلى نفوسهم وهم دائماً بالسرور، والسرور يساورهم، فهذا ما يتحلَّى به أهل الجنة. ﴿..**مِن فِضَّةٖ**..﴾: السبب أعمالهم ونفوسهم نقية من كل شائبة.

﴿..**وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا** ﴾: تجلَّى عليهم ربهم بحياة طاهرة من كل نغص وبهذا الشراب طهرت نفوسهم، وهذا شراب الأتقياء يشربون منه بمعية الرسل والأنبياء عليهم السلام، وكل من شرب منه أضحى بالسعادة والجنان ولا يخرج منهما.

٢٢ـ﴿ **إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمۡ جَزَآءٗ** ..﴾ : على ما قدمتم من أعمال صالحة طيبة عالية. ﴿..**وَكَانَ سَعۡيُكُم**..﴾: الإيماني. ﴿..**مَّشۡكُورًا** ﴾: يُقدَّم لك جنات وأعطيات عليه، فأهم شيء الإيمان لأنَّه يُبنى عليه كل شيء، فهؤلاء آمنوا بربهم، فكروا وضحوا بكل غالٍ ونفيسٍ حتى آمنوا، وبإيمانهم صارت صلاتهم شهودية وتفتحت بصائرهم واستنارت، صاروا يشاهدون ربهم قريباً منهم. عاملوا حاضراً لذلك شاهدوا كل شيء منه سبحانه وتعالى فقدموا أعمالاً عاليةً صافية.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلاً ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً ﴿٢٦﴾﴾.

٢٣ـ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ..﴾: متناسباً مع إقبالك وحالك. ﴿..تَنزِيلاً ﴾: فالله أنزل القرآن على رسوله ﷺ في ليلة واحدة.

(إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ)[1].

(إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ..)[2].

ونزل على الصحابة الكرام رضوان الله عليهم على مدى ثلاثٍ وعشرين سنة.

٢٤ـ﴿ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا..﴾: لا تسكت لفاسق مجرم. ﴿..أَوْ كَفُورًا ﴾: كافراً يزداد بكفره من كفر إلى كفر.

٢٥ـ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ..﴾: يا محمد ﷺ حنانه ورحمته وعطفه. ﴿..بُكْرَةً..﴾: من الأزل. ﴿.. وَأَصِيلاً ﴾: إلى الأبد وهذه خاصة برسول الله ﷺ فوظيفته جارية على الخلق من بداية الخلق إلى الأبد (وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ)[3].

٢٦ـ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ..﴾: اطلب الفضل منه تعالى لك ولهم. ﴿..وَسَبِّحْهُ..﴾: اسبح في فضله. ﴿..لَيْلاً طَوِيلاً ﴾: طوال حياتك، حتى يوم

---

[1] سورة القدر: الآية (١).

[2] سورة الدخان: الآية (٣).

[3] سورة الأنبياء: الآية(١٠٧).

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ﴿٢٧﴾ نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡۖ وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴿٢٩﴾﴾.

القيامة، أخرج الصادقين بطلب الحق من ظلمات الدنيا القلبية إلى نوري فيبصرون الخير من الشر، فهو ﷺ رحمة للعالمين وظيفته القلبية دائمية.

٢٧ـ﴿ **إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ..**﴾: يحبون الشهوة العاجلة الدنيوية.

﴿..**وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا** ﴾: يوم القيامة حسابه عليهم سيكون ثقيلاً.

٢٨ـ﴿ **نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡ..**﴾: وإن كنّا أعطيناهم الاختيار لكن سيرهم بيدنا، فالله سبحانه وتعالى وحده هو المسير الفعال لا فعل لأحد سواه، أنت تختار لكن الفعل والإمداد والتسيير منه سبحانه وتعالى والمناسب يجريه.

﴿..**وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلًا** ﴾: أهلكناهم وجئنا بغيرهم صفاتهم: أذلةٍ على المؤمنين أعزة على الكافرين لا يخشون في الحق لومة لائم.

٢٩ـ﴿ **إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞ..**﴾: هذا البيان المنزل من الله على رسوله تذكرة لكي ترجعوا إلى الله وتنالوا جناتكم. ففي هذه الدلالة الإلَٰهية نور وضياء بالالتفات إلى تاليها ﷺ يوصل النفس المؤمنة بنوره لنور الله، فبه يتذكر عهده مع الله ويشاهد الأزل والقيامة. والحياة الآخرة وجناتها.

﴿..**فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا** ﴾: لكل من شاء ففكَّرَ وسار ضمن الحق هذا البيان تذكرة له.

﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ﴿٣١﴾﴾.

٣٠ـ﴿ **وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ..**﴾ : الفعل فعله سبحانه وتعالى فالإنسان لا يستطيع أن يعمل شيئاً إلا بإذنه تعالى. ﴿**..إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا..**﴾ : بكل واحد، عليم بنيته. ﴿**..حَكِيمًا** ﴾ : يعطيه حقه.

٣١ـ﴿ **يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦ..**﴾ : للإنسان مشيئتان :

❖ المشيئة الأولى هي الصدق بالطلب أو عدمه. وقد تمّ ذلك في عالم الأزل، وبصدقه ﷺ تفوَّق ونال تلك المنزلة فكان رفيع الدرجات إمام الرسل والأنبياء عليهم أزكى الصلاة والسلام النبي الأمِّي لهم جميعاً.

❖ والمشيئة الثانية السير في العمل أو عدمه لأنه تعالى عليم في المشيئة الأولى التي شئتها حكيم في السير. أما العمل فيتمّ في الحياة الدنيا وبه يرقى الرسل والأنبياء عليهم السلام والصديقون والشهداء والمؤمنون والسالكون بصدق مع السابقين الصادقين. إن كانت نيتك صادقة فتح لك وأعطاك فهو عليمٌ بنيتك والأعمال بالنيات. إن لم تكن صادقاً فلن يفتح لك طريق العمل.

﴿**..وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا** ﴾ : ظالمين لأنفسهم لم يسلكوا طريق الإيمان كما سلكها سيدنا إبراهيم عليه السلام فلم يتَّخذ من مقام إبراهيم مصلىً. لا جعل الله لنا النار لزاماً. تُبْنا يارب.




عَدَدُ آياتِها
٥٠
تأويلُ
سُورَةِ المُرْسَلاتِ
رَقْمُ السُّورَة
٧٧

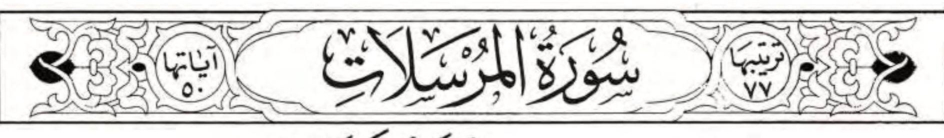
سورة المرسلات

ترتيبها ٧٧ — آياتها ٥٠

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ﴿١﴾ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ﴿٣﴾
فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ﴿٤﴾ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ﴿٥﴾ عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا
تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ ﴿٧﴾ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ
﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ
﴿١٢﴾ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٤﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ
لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ
﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾
أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلۡنَٰهُ فِي قَرَارٖ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٖ
مَّعۡلُومٖ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرۡنَا فَنِعۡمَ ٱلۡقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾
أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحۡيَآءٗ وَأَمۡوَٰتٗا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ
شَٰمِخَٰتٖ وَأَسۡقَيۡنَٰكُم مَّآءٗ فُرَاتٗا ﴿٢٧﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾
ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ
شُعَبٖ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٖ وَلَا يُغۡنِي مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ

كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾
هَذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ
لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي
ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا
بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ
يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١﴾.

١ـ﴿ وَٱلْمُرْسَلَٰتِ ..﴾ : الشمس والقمر... كلٌّ ما فيه حياتك مما أوجد الله تعالى من النباتات والأشياء الأخرى العظيمة أرسلها إليك عن طريق هذا الكون، وما فيه من مخلوقات غير مكلفة سخرها الله لك وشكَّلها بأشكال وألوان وحجوم مختلفة متباينة حبّاً وعطفاً ورحمة بك، كل هذا حتى تفكر وتقنع نفسك وتقيم صلة مع خالقك ومربيك، إن فكرت بهذا رأيت رحمة الله بك وعطفه عليك فتحبَّ الله. ﴿..عُرْفًا﴾: تُعرِّفك بفضله تعالى عليك أيُّها الإنسان، فكلُّ هذه المخلوقات وما خلق الله لك يعرِّفك بفضله، يعرِّفك بأن لك مربياً يربيك ويعتني بك، وأنه سبحانه وتعالى خلقك وأوجدك بهذه الدنيا لغاية سامية عالية، لا من أجل أن تنشغل بما خلقه من أجلك وسخّره لك، بل من أجل أن تتعرف عليه سبحانه كي تؤمن به وتعمل صالحاً فتنال السعادة، سعادة الدارين الدنيا والآخرة وتدخل الجنة، فهذا الكون وهذه المخلوقات وما أوجده الله لك كي تشهد أنه لا إلَه إلا الله، فانظر أيها الإنسان إلى عناية الله بك، كذلك

﴿فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ۝٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ۝٣﴾.

أرسل لك رسلاً يدلُّونك على الله وأرسل كتاباً وجعل لك قوانين وأنظمة وملائكة تلهمك: "**يا عبد الله ارجع إلى الله، فكِّر، ابحث عن سعادتك، يا نفس اسمعي كلام الله، انظري في الكون، استدلِّي على الله**". إن سرت بالقانون وفكرت توصلت إلى لا إلّه إلا الله، فتشهد أن محمداً رسول الله، وعن طريق التفكير توصَّل سيدنا إبراهيم العظيم عليه السلام وأهل الكهف والصحابة الكرام فأحبُّوا ربَّهم وهاموا به.

٢ـ﴿ **فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ..**﴾: الرياح التي تعصف في وظائف متعددة.

﴿..**عَصۡفٗا** ﴾: ضمن أنظمة وقوانين، فالرياح تعصف حتى تصعد بالأبخرة وتحملها، فهناك رياح تشكل الغيوم ورياح تدفعها، وهناك رياح باردة وغيرها حارة، وكل واحدة ولها وظيفة وترتيب، والكل من أجلك أيها الإنسان.

٣ـ﴿ **وَٱلنَّٰشِرَٰتِ..**﴾: ناشرات الخيرات على الخلق من فضلنا، فهذه الغيوم تحمل الماء الذي فيه الحياة والخير من الله وتنشره عليكم. (**وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ**)[1].

﴿..**نَشۡرٗا** ﴾: ضمن الحكمة، فكلٌّ ينال حقه واستحقاقه وعلى حسب ما يناسبه، فهناك من يصبح غنياً وهناك من يفتقر، فالله سبحانه وتعالى حكيم وكل أعماله ضمن الحكمة.

---

[1] سورة الذاريات: الآية (٢٢).

﴿فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ۝٤ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٥ عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ۝٦﴾.

٤-﴿ **فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا** ﴾: التي تحصل بها أنواع وأجناس الأشياء، كلٌّ جنس مما خلقه الله له شكل ولون ورائحة وطعم يختلف عن باقي الأجناس، فهذه الأجناس والتشكيلات المتعددة كل واحدة تختلف عن الأخرى ولها الفائدة للإنسان.

٥-﴿ **فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ.**﴾: عليكم يا عبادي. ﴿..**ذِكۡرًا**﴾: تذكركم بالخالق العظيم إذا فكرتم به، فالله سبحانه وتعالى لهذا خلقها، لكي تتذكروا أن لكم خالقاً خلقكم، ورباً يربيكم ويعتني بكم، فتقبلوا عليه وتعملوا الخير وتنالوا السعادة، ولم يخلقها للأكل والشرب فقط.

٦-﴿**عُذۡرًا..**﴾: غير مثمر. ﴿..**أَوۡ نُذۡرًا**﴾: مثمر. ﴿ **عُذۡرًا..**﴾ : غير مثمر. مثال: أب اعتنى بابنه، أرسله لأحسن المدارس والجامعات وهيَّأ له أفضل الأساتذة والإمكانيات. الابن بدل أن يدرس ترك الدراسة والجدَّ والاجتهاد وما عبأ بالمعلمين وما اكترث بالمنهاج وذهب للرذيلة والملاهي، النتيجة رسب. فهذا الابن هل يلوم أباه أم يلوم نفسه؟ كذلك ربُّ العالمين يقول لهذا الإنسان الذي جاء للدنيا ولم ينجح ولم يثمر يقول له:

عبدي أنا أرسلت لك كلَّ شيء تحتاجه من أجل هدايتك، أرسلت لك أنبياء ورسلاً وخلقت لك هذا الكون العظيم، أنت ما أقبلت عليّ وما أثمرت (**عذراً**): فكلُّ ما في الكون حجَّة عليك (**قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُ..**)[1].

---

[1] سورة الأنعام: الآية (١٤٩).

﴿**إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ۝٧**﴾.

فمن طرف حضرة الله (**عُذْرًا**): أي حجة على هذا الإنسان.

﴿..**أَوْ نُذْرًا**﴾: مثمر: إذا خافت النفس تتذكر وترجع إلى الله فتثمر وتنتج الصالحات وقد أجدى بها الإنذار، خوفان لا يجتمعان على قلب المرء الذي خاف في الدنيا ونفعته الإنذارات فحاسب نفسه قبل أن يحاسب، هذا لا يخاف في الآخرة. (..**إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**)[1]. فهؤلاء سمعوا من رسول الله ﷺ أو من المرشدين، خافوا على مصيرهم طلبوا الخلاص. فكروا بالموت خافوا فاستقاموا على طاعة الله، فكروا بالكون شاهدوا لا إله إلا الله، هؤلاء أُنذروا فاستجابوا، جاؤوا للدنيا نجحوا وأثمروا ولهم الجنات.

٧ـ﴿ **إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ** ﴾: هذه الأشياء إن فكرت بها واهتديت للخالق عرفت أن وعده حق واقع لابد منه، لأنها توصلك إلى الله سبحانه وتعالى فترى بنوره وبنور رسوله ﷺ أنَّ هناك حساباً ومسؤولية. فما مراده تعالى من خلق الكون على هذا النظام البديع، وما مراده من خلق الإنسان؟! وما مراده مما أمر به هذا الإنسان؟! إذن لابد أن هناك حساباً ومسؤولية، إن فكرت بالموت والسؤال خافت نفسك فاستسلمت إليك فسعت للوصول للمربي، قبل

---

(١) سورة سبأ: الآية (٤٦).

﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ۝٨ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ۝٩ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ۝١٠﴾ .

كل شيء آمِنْ بالآخرة عندها يوصلك تعالى بنوره ونور رسوله ﷺ فتشاهد الحقائق.

٨ ـ﴿ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ﴾: أنوارها. يوم القيامة تذهب أنوارها، وعند الموت تذهب هذه الأنوار عنك أيها الإنسان.

٩ـ﴿ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ﴾: كشفت عنك، فهذه السماء العظيمة نفس واهية والله ألبسها هذا الثوب من الوسعة والعظمة، وجعل لها هذه الوظيفة فهي كباقي المخلوقات تحبُّ الحرية ولا تحب التقيُّد، فالسماء يوم القيامة تنتهي وظيفتها وتتحرر من ثوبها وتذهب لنعيمها.

١٠ـ﴿ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ﴾: لم يبقَ لها وجود، نسفت نسفاً نهائياً لا رجعة لها. فبعد هذه الدورة في الحياة الدنيا دار العمل التي نحن الآن بها لا امتحان ثانية ولا رجعة للدنيا أبداً، لأن الإنسان الكافر ولو رجع لعاد لما كان عليه من الكفر والشقاق. (..وَلَو رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ)[1]: على أنفسهم، لا يؤمنون بذاتهم بآيات ربهم الكونية. فهذا الإنسان ظهرت نتيجته بعد أن اختُبِر ولا أمل له في التغيير، لو عاد للدنيا مرة ثانية وجعل له ربه كوناً لما استفاد ما دامت هذه البذرة الخبيثة في نفسه فلا جدوى له،لذلك هذه الجبال نسفت نسفاً نهائياً لا رجعة لها ولا يبقى لها وجود.

---

[1] سورة الأنعام: الآية (٢٨).

﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ۝١١ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ۝١٢ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ۝١٣ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ۝١٤﴾.

١١ـ﴿ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ﴾: الوظيفة الجسمية لفترة من الزمن لأن صورتهم تزول من على وجه الأرض، بيَّنوا لك أن ساعة الحساب "جُعل لها وقتٌ" وذلك بالنور الإلٓهي الذي معهم، بهذا النور يكشفون لك أيها الإنسان كل شيء فلا يبقى شيءٌ مستوراً عنك أو مخفياً، وترى كلَّ شيءٍ بنورهم، وترى يوم القيامة وأحداثه. هكذا شاهد السحرة الذين اتقوا بنور رسول الله موسى عليه السلام الآخرة وما فيها.

١٢ـ﴿ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ﴾: كلُّ رسول له زمن. (..**ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ**..)[1]. كل زمن يناسبه نبي أو رسول العصر، وهم قائمون على وظائفهم ولا تنتهي حتى يوم القيامة، وظائفهم سارية على الخلق لمن يبغي وجه الله.

١٣ـ﴿ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ﴾: وهذه الوظيفة النفسية مستمرة ليوم القيامة القضاء الفاصل. يقال فُصلت القضية، أي انتهت وصدر الحكم وتحتم كل شيء، كذلك يوم القيامة.

١٤ـ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ﴾: ما أعظمه عليك أيها الإنسان! ما هي الوسائل التي أعددتها لتشاهد هذا اليوم؟! هل سلكت طريق الحق لتشاهد ما في

---

[1] سورة الأنعام: الآية (١٢٤).

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝١٥ أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٦ ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ ۝١٧ كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝١٨ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝١٩﴾.

ذلك اليوم؟! السحرة استناروا بسراجهم المنير سيدنا موسى عليه السلام فرأوا الآخرة وتحدَّثوا عن أحوال أهل الجنة في الجنة وكذلك أهل النار كما بيَّنا.

١٥-﴿ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴾: أي: ما أعظم ما ولَّى عنهم من الخير والسعادة! وما أعظم ما سيحل بهم من الشقاء والهلاك الذي أوقعوا أنفسهم به!.

١٦-﴿ أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾: أما فكرت بمن سبق، أين هم الآن، ماذا حل بهم، أين الأقوام الماضية قوم عاد وثمود وفرعون، أما تركوا هذه الدنيا ورحلوا عنها، أفلا تموت أنت وترحل عنها؟! ماذا في القبر، أما فكرت به؟! وماذا بالآخرة؟!.

١٧-﴿ ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴾: الذين يطغون مثلهم هلكوا ورحلوا عن الدنيا وتركوا كل شيء.

١٨-﴿ كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾: وهذا قانون عام فكل من يطغي هذا مصيره، كل من يجرم بحق نفسه وبحق غيره هذا مصيره، المجرم: خيره زال، حيث إنه لا يفكر فلا خير فيه قطعاً، ملتهٍ بالرذيلة، ما فكر بآيات الله.

١٩-﴿ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴾: عند الهلاك وفي الآخرة، كم سيكون ألمهم كبيراً وشقاؤهم عظيماً بما سيحل بهم؟! والله بهذه الآية يحذِّرنا مما سنوقع أنفسنا به حتى نغيِّر ونسير باتجاه الحقِّ، ودلَّنا على الطريق وهو أن يفكِّر

﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٢٠﴾.

الإنسان بأصله وما كان عليه، وبهذا التفكير يرى عطف الله ورحمته وحنانه به ويرى أنه لم يكن شيئاً مذكوراً، فيتنازل عن رأيه وتكبُّره على خالقه فيحبُّه ويقبل عليه وينال الخير والسعادة.

وبعد أن حذرنا تعالى من نتائج التكذيب وما يعود به الفعل الخبيث على صاحبه من سوء المصير وما سيوقع به نفسه، دلَّنا على طريق التغيير والسير باتجاه الحق والتوبة لاكتساب الكمال منه تعالى بالإقبال عليه، فهو منبع كل خير ومعدن كل كمال.

٢٠ـ﴿ **أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ** ﴾: محتقر بنظركم. أي انظر أيها الإنسان وفكِّر في أصلك وما كنت عليه وكيف تكوَّنت وممَّ خلقت.

خلقت من ذلك الماء الذي تحتقره وتشمئزّ منه. فمن هذا الماء تكوَّنت. كنت تسبح به مع ملايين النطاف وصرت إنساناً سوياً، فمن ذلك الماء المهين خلقك الله سبحانه وتعالى وجعل لك ما جعل من الأجهزة والأعضاء والدم والعروق والعظام، أفلا تفكِّر بهذا كلّه؟! أفلا تفكِّر بفضله تعالى عليك؟! ولولا ما خلق الله لك في أحسن تقويم ما كنت لتستطيع أن تعمل شيئاً. إن فكرت بهذا اهتديت وعرفت أن لك خالقاً مربياً ومسيِّراً فتقبل عليه وينطبع بك الكمال والرحمة والحنان، فتعمل المعروف وتنال الجنة.

﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾﴾.

٢١ـ﴿ **فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ** ﴾: بأمان، في رحم الأم المكان المناسب الجامع للشرائط الضرورية لحياة الجنين، ففيه الحرارة المناسبة والغذاء اللازم لك، فمَن الذي أوجد لك هذه الشرائط الضرورية لحياتك، وجعل لك رحم أمك مستودعاً أميناً وقراراً مكيناً حتى صرت إنساناً سوياً كامل الخلقة؟ أفتنسى هذا الفضل وهذه الرحمة والعناية التي رعاك ويرعاك الله بها حين تبلغ أشدّك؟!.

٢٢ـ﴿ **إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ** ﴾: تسعة أشهر أو سبعة أشهر "سبيعي".

٢٣ـ﴿ **فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ** ﴾: بأثنائها أنعمنا عليه بالخلق والسمع والبصر والفؤاد.

٢٤ـ﴿ **وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ** ﴾: الذين ما فكروا بهذا الشيء، فهؤلاء سيكونون خاسرين.

٢٥ـ﴿ **أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا** ﴾: فيها كفاية دائمية لكم من طعام وشراب، كفاية دائمية كافية لكل آتٍ مما خلق وسيخلق الله. فلماذا الخوف والحرص والله متكفل برزقك أيها الإنسان من طعام وشراب وكل شيء مما يلزمك؟ وهذه الآية تنفي نظرية مالتوس القائلة بأنه إن لم تحدث حروب ففي عام ألفين للميلاد سوف تحدث مجاعات وأن الأرض لن تفي باحتياجات البشر لأنها تكون قد استهلكت مدخراتها الغذائية.

﴿أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ ..﴾.

٢٦ـ﴿ أَحْيَآءً..﴾ : المقبلين على الله الذين حييت نفوسهم بالإقبال على الله، وهم الذين فكروا بفضل الله تعالى وضحَّوا وأنفقوا كلَّ غالٍ ومحبَّب على نفوسهم، وقدَّموا صالح الأعمال لله، فصاروا بصلاة مع الله، هؤلاء يعطيهم الله ولا ينقص عليهم شيئاً، ولهم سعادة الدارين.

كذلك يأخذ هؤلاء من مكتسبات الأرض مما كسبت من ربها، فلكل شيء صورة وحقيقة، فالوردة صورتها جميلة وحقيقتها أجمل بما يمدها الله به من أسمائه الحسنى. والمؤمنون يرون ويأخذون ما وراء الصورة، يرون إمداده تعالى عليها فيقبلون عليه فيتجلى عليهم، بعدها يأخذون عطاءهم من الله عن طريق رسوله، فالدنيا لهؤلاء المؤمنين فيها رقي كبير وعظيم.

﴿..وَأَمْوَٰتًا ﴾: للمعرضين الذين أعرضوا عن ربهم، ما شاهدوا فضله وحنانه ورحمته، أصروا على الدنيا، هؤلاء لهم الاختيار والله يعطيهم ما أرادوا وصمَّموا عليه، فالأرض فيها كلُّ شيء مما يحقِّق لهم شهواتهم من طموحاتٍ دنيوية، مال وجاه ونساء وأولاد وأكل وشرب، والله يعطيهم إياها، ولكنّهم بهذا يخسرون خسراناً كبيراً.

٢٧ـ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ..﴾: جبال تثبتها، تثبت الأرض من الانسياح، ولولا هذه الجبال التي خلقها الله لانساحت القشرة الأرضية، فهذه الجبال أوتاد تثبت الأرض في جريها وسيرها في نظام دورانها اليومي من الانسياح.

﴿..شَٰمِخَٰتٍ وَأَسۡقَيۡنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ٢٧ وَيۡلٌ يَوۡمَئِذٍ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٢٨﴾.

﴿..شَٰمِخَٰتٍ..﴾: بالفضاء، عالية عظيمة كبيرة، اشتقت من الله العظمة، وكل من يبغي الإيمان وينظر فيها ويفكر يرى عظمة الله بها.

وهذه الجبال مثلما تثبت الأرض بالصورة من عدم الانسياح كذلك تثبت الأرض بالحقيقة. فهذه الأرض نفس ألبسها الله هذا الثوب وجعل لها هذه الوظيفة لخدمة الإنسان، وتكون سبباً لإيمانه بربه، فعندما تشاهد ما يحدث عليها من فساد وفجور وإجرام ومعصية لله تصل لدرجة لا تتحمل فيه هذا الفساد وتكاد تترك وظيفتها، فيأتي دور الجبال وتثبتها على خدمتها ووظيفتها.

﴿..وَأَسۡقَيۡنَٰكُم..﴾: انظروا لهذا الفضل. ﴿..مَّآءً فُرَاتًا﴾: فرَّ عنه كل أذى، آتٍ هذا الماء من خزانات الجبال العالية، فالماء دائماً يجري من أعلى إلى الأسفل وتكون مياهه نظيفة طاهرة لا جراثيم فيها عند المنبع، فالله سبحانه وتعالى طهَّره لك حباً بك وعطفاً عليك.

٢٨ـ﴿ وَيۡلٌ يَوۡمَئِذٍ..﴾: يوم القيامة. ﴿..لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾: كم خسروا بعدم إيمانهم وسلوكهم. الذين كذبوا الحق الويل لهم، حيث سيحل بهم الشقاء والحسرة والندامة عندما يرون ما خسروا من فضل وعطاء أعدَّه الله لهم وقد أضاعوه بتكذيبهم.

﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝٢٩ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٍ ۝٣٠ لَّا ظَلِيلٍ..﴾ .

٢٩-﴿ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾: إلى النار، كالذي يصرخ ألماً من أوجاعه ويطلب الذهاب إلى المشفى، كذلك هؤلاء المكذبون الذين كذَّبوا بالحساب والنار، غداً تحلُّ بهم الآلام والأوجاع ويطلبون النار التي هي مشفى، فيقال لهم انطلقوا إليها. وفي الحديث الشريف: «**إن العار ليلزم المرء يوم القيامة حتى يقول: يا رب لإرسالك بي إلى النار أيسر عليَّ مما ألقى ، وإنه ليعلم ما فيها من شدة العذاب**»[1].

٣٠-﴿ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴾: ثلاث أمكنة للمداواة وهي تشمل المنافق والكافر والفاسق، فلكلٍّ منهم مكان يداوى به. فالله لا يتركهم بل رحمته تقتضي علاجهم.

٣١-﴿ لَّا ظَلِيلٍ..﴾: لا يجد غيره، لا يجد غير النار، فلا ظليل له غيرها، الظليل هو التجلي الإلّهي، فالمؤمنون يستظلون بهذا التجلي الذي يتجلى الله به عليهم، الكافرون والمنافقون والفاسقون لا يستطيعون أن يستظلوا بربهم بسبب أعمالهم السيئة وخجلهم من ربهم ولأنهم ما عرفوا ربهم في الدنيا ولم يؤمنوا به فيستظلون بالنار، والنار ليست ظليلاً لهم فلا يجدون فيها السعادة، وإنما السعادة

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم رقم الحديث: (٨٨٧١).

﴿..وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾﴾.

لمن استظل بربه، فالنار تسكِّن مؤقتاً ولا تشفي. **(ولا تشفى نفس إلاَّ بربها)**.

﴿..**وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ**﴾: لا يجد شيئاً يدفع عنه، لا يشفي اللهب الذي بنفسه، حريق النار ينسيه ويخفف عنه فقط، الشفاء بالله وحده، النار لا تشفي. بإقبالك عليه تعالى التجلي الإلۤهي يمحو السوء من نفسك، الشافي هو الله لا أحد سواه، إذن لا بدَّ من الإيمان للنجاة.

٣٢-﴿ **إِنَّهَا**..﴾: النفس التي تلتهب فيها جهنم. ﴿..**تَرْمِى**..﴾: جهنم النار التي بنفس هذا المعرض، نار الشهوات المحرمة ونار الخزي والعار والحسرة والندامة على ما فرَّط به وما خسر من مقام عالٍ وجنات وسعادة أعدها الله له. ﴿..**بِشَرَرٍ**..﴾: فالله سبحانه وتعالى يشبه لنا حال هذا المعرض وما بنفسه من هياج نار جهنم كالنار التي يخرج منها الشرر ويتطاير من شدتها وقوتها، وهذه الحالة الصعبة الرهيبة تجعله يطلب نار الله الموقدة ويرمي بنفسه عليها حتى ينسى ما به من جهنم.

﴿..**كَٱلْقَصْرِ**﴾: تحصرهم حصراً بأعمالهم الشريرة السابقة، حالتهم جهنمية تحيط بهم، فهؤلاء المعرضون الذين جاؤوا للدنيا وما فكروا وما سلكوا طريق الإيمان وما سمعوا من رسول الله ﷺ ما يدلُّهم على الله وما توصلوا للإنسانية والعمل الطيب الناتج عن الإيمان بالله، بالآخرة مقصورون على هذه الحالة

﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ۝٣٣ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٣٤ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۝٣٥ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ۝٣٦ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٣٧ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ۝٣٨﴾.

الجهنمية الصعبة وهي محيطة بهم كما يحيط السور وتحيط الأشجار بالقصر.

٣٣ـ﴿ **كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ** ﴾: فحالتهم هذه كحال الجمال الهائجة التي أصابها مرض وخوف وذعر، فهذا المعرض وبما فيه من آلام وندامة وجهنم تهيج نفسه مثل الجمال الهائجة التي أصابها الذعر والخوف.

٣٤ـ﴿ **وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ** ﴾: الذين كذَّبوا بالحق وكذَّبوا الرسل، ما طبقوا دلالة الخالق العظيم، ساروا بهوى أنفسهم وأهوائهم المهلكة، سيرهم واختيارهم بماذا سيعود عليهم يوم القيامة؟!.

٣٥ـ﴿ **هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ** ﴾: لا يستطيعون الكلام لأنهم مشاهدون لأعمالهم وهي ماثلة أمامهم، لذا فهم لا يستطيعون أن ينطقوا بأي كلمة.

٣٦ـ﴿ **وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ** ﴾: حيث لا فائدة من الاعتذار، فالذي يعتذر يُغَيِّرْ ما هو فيه ويُقبل بعد التغيير، وهؤلاء بما أنهم لم يغيِّروا فلا فائدة من اعتذارهم.

٣٧ـ﴿ **وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ** ﴾: لابد من العلاج.

٣٨ـ﴿ **هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ** ﴾: الذين لحقتم بهم وجعلتموهم أئمة واتبعتم كلامهم بدل كلام الله ورسوله ﷺ، كذلك الحضارة التي قامت

﴿فَإِن كَانَ لَكُمۡ كَيۡدٞ فَكِيدُونِ ٣٩ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٤٠ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٖ وَعُيُونٖ ٤١ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشۡتَهُونَ ٤٢ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٤٣ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٤٤﴾.

الآن إنَّما قامت على أساس حضارات الأولين ونظريات علمائهم أمثال تالس، أرخميدس، فيثاغورث... وغيرهم، "الكهرباء كانت موجودة في الشوارع قبل أديسون، ولكن هو أدخلها للبيوت".

٣٩ـ﴿ **فَإِن كَانَ لَكُمۡ كَيۡدٞ فَكِيدُونِ** ﴾: ماذا تفيدكم اختراعاتكم وخططكم الدنيوية؟! الآن ضيعتم سعادتكم من أجل الدنيا وما فيها. وأنتم ما خُلقتم لها بل للسمو والعلو.

٤٠ـ ﴿ **وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ** ﴾: كلمة (**وَيۡلٞ**): مأخوذة من كلمتي "**وَيْ**" و "**ولّى**". وي للتعجب، أي كم ولَّى عنهم من خيرات ضيَّعوها! ولّى عنهم كلُّ شيء؛ الدنيا وشهواتها والآخرة وسعادتها وما أعدَّه الله لهم فيها.

٤١ـ﴿ **إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٖ**..﴾: في ظلال التجليات الإلَٰهية، تجليات إلَٰهية متزايدة. ﴿..**وَعُيُونٖ**﴾: من الخيرات والأسماء الإلَٰهية الحسنى التي تفيض عليهم.

٤٢ـ﴿ **وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشۡتَهُونَ** ﴾: لذائذ عظيمة.

٤٣ـ﴿ **كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ** ﴾: كل ذلك لكم بسبب ما قدمتم من أعمال طيبة عالية.

٤٤ـ﴿ **إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ** ﴾: قانون عام، هذا العطاء لكل محسن.

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٤٥ كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجۡرِمُونَ ٤٦ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٤٧ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرۡكَعُواْ لَا يَرۡكَعُونَ ٤٨ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٤٩ فَبِأَيِّ حَدِيثِۢ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ٥٠﴾.

٤٥-﴿ **وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ** ﴾: ذهب هذا العطاء عنهم، خسروا سعادتهم وجناتهم.

٤٦-﴿ **كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا..** ﴾: بهذه الدنيا. ﴿ **..إِنَّكُم مُّجۡرِمُونَ** ﴾: لا خير فيكم.

٤٧-﴿ **وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ** ﴾: الويل لهم بسبب تكذيبهم وانشغالهم بتمتُّعهم وأكلهم حتى زال عنهم كل خير.

٤٨-﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرۡكَعُواْ لَا يَرۡكَعُونَ** ﴾: إذا قال لهم الرسول وأهل الإرشاد اخضعوا لأمر الله، فكِّروا بهذا الكون تستعظموا ربكم وتصلُّوا، لكنهم لم يطبقوا.

٤٩-﴿ **وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ** ﴾: كم ولّى عنهم من خيرات بسبب عدم طاعتهم وسماعهم كلام الحق!.

٥٠ -﴿ **فَبِأَيِّ حَدِيثِۢ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ** ﴾: بعد هذا البيان الحق العالي والدلالة على الله. فبأي حديث يؤمنون بعده؟!.




تم بحمد الله

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ (القمر: ٤٠)

نفحاتٌ روحانيةٌ يُتحفُنا الإلهُ بها، ويزدادُ خيرُه، ويفيضُ برُّه ويتنامى إحسانُه، وتتالى النفحاتُ القدسيةُ كلَّ حينٍ. تلكَ منّةُ الله على عبادِهِ المؤمنين على لسانِ العلّامةِ الإنسانيِّ الكبيرِ

محمد أمين شيخو (قدّس الله سرّه)

دفقاتُ ماءٍ غدقٍ مونقٍ يروي القلوبَ الظمأى ويبعثُ فيها الحياةَ من جديدٍ لتغنى بالنعيمِ المقيمِ بدلاً من لذائذِ الشقاءِ والآلامِ والضنكِ السقيمِ.

قبسٌ من النورِ الإلهيِّ يخرجُ من مشكاةِ النبوّةِ، يضيءُ دروبَ التائهين، ودليلاً يهدي الحائرين، وغياثاً لكلِّ مستغيثٍ.

إنّهُ مشعلُ الحكمةِ بين أيدي المتقين، جاءت المعاني روحٌ وريحانٌ لسالكي طريقِ الإيمانِ بفكرٍ مستنيرٍ.

الناشر